

أُسس الايمان
في القرآن

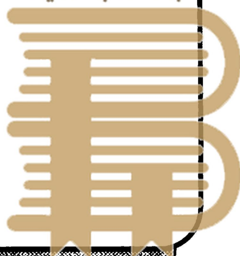
آية الله محمد اليزدي

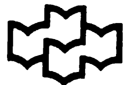
اصول الدّين

و

أسس الإيمان في القرآن

آية الله الشيخ محمّد اليزدي





النّاشر نداء المهدي (عج)
قم - ص - ب ٣٧١٨٥ - ٥٦٣
هاتف - فاكس ٧٣٢١٨٧

اصول الدّين وأسُس الإيمان في القرآن

▣ مؤلّف: آية الله الشّيخ محمّد اليزدي
▣ الطّبعة الأولىٰ صيف ١٣٧٦ هـ ش
▣ الكمية ٦٠٠٠ نسخة
▣ المطبعة الباقري
ISBN ـ ٩٦٤ ـ ٩١٥٤٥ ـ ٠ ـ ٧

المقدّمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ محمّد وآله الطاهرين المعصومين ، واللعن الدائم علىٰ أعدائهم أجمعين .

أمّا بعد : حينما كنّا نتفحّص الكتاب الكريم استيثاراً للآيات التي تخصّ الأحكام الشرعية وتهيئةً لرسالتنا : «فقه القرآن» فقد شافهتنا الآيات التي تخصّ أُصول الاعتقادات الاسلامية الحقّة فوجدناها مبسوطة منتشرة في ربع الكتاب العزيز وهي متقدّمة علىٰ آيات الاحكام الشرعية ، فاستأثرناها أيضاً حسب طاقتنا لنجمعها في رسالة مستقلّة بنفسها مختصرين البحث حولها لتكون مقدّمة لها ، وها نحن نشرع فيها بعون الله تعالىٰ وتوفيقه بعدما وفّقنا اللّه تعالىٰ لإتمام مجهودنا الأوّل (فقه القرآن) في مجلدات .

من المعلوم أنّ الدّين ليس مجرد اعتقاد خاص وصرفَ تفكير معيّن، كما انّه ليس منحصراً بإتيان أعمالٍ محدّدة وأفعال معلومة ؛ فإنّ كلاً منهما بدون الآخر ليس بدينٍ ينتج النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة ، لأنّ الأول بدون الثاني صرف صُور ونقوش، صاحبُه كالشجر بلا ثمر أو كالسحاب بلا مطر ، واخيراً فهو يضيء لغيره فيهتدي ، ويحترق هو بنفسه فيبور وينعدم . كما أنّ الثاني بدون الأول انما هو جهل ، معمول لا وقع له كالظلمة بلانور. والأكثر منه هو ترتيب أثر المعاشرة باحترام النفس والمال

مالم يعلم عدم «اعتقاده»[١] وليس امتداد خط الانسان ومسيره من المولد الىٰ القبر فحسب وإنّما هو منه الىٰ الأبد .

فلابدّ في طلب النجاح والفلاح منهما بل معهما ، ولابدّ من رابطةٍ يختلط بها كلٌّ مع الآخر ايضاً نحو تأثير العلم في العمل ، وانبثاق العمل من العلم ، ليتبعه أثر الايمان في الدارين .

فمن أتىٰ بوظائف المؤمن لا عن اعتقاد بالله تعالىٰ واليوم الآخر لا فلاح له ، كما ان المعتقد بهما من دون العمل هو خاسر أيضاً .

وعندئذٍ ، فالسؤال المعروف الذي اشتبه على البعض ، وهو أنّه كيف يتصور فلاح انسانٍ عاديّ معتقد عامل بواجباته الظاهرية ، وخسران انسان آخر من جنسه غير معتقد بالمبدأ والمعاد ، مع وجود خدماته القيّمة المنتشر تأثيرها علىٰ مستوىٰ البشريّة العالمية عامة كالمكتشفين والمخترعين [٢]؟ !

الجواب : الكتاب الكريم الذي هو تبيانٌ لكلّ شيء يجيب عن هذا السؤال بالتفصيل ، وسنتلوا آياته ليتضح البحث ويُعلم انحصار الفلاح بالإيمان ، ثمّ نتلو آيات أصوله علىٰ الترتيب ان شاء الله تعالى لنتزّكىٰ ولنتعلم الحكمة بعون اللّه تعالىٰ وتوفيقه .

وآيات المسألة علىٰ أقسام أربعة ؛ نذكر في كل قسم منها الآيات التي تنادي وتصرّح بالمطلوب من غير استقصاء كامل :

---

١ ـ بل اعتقاده بعدم ما لابدّ وان يعتقد به؛ كما سيأتي.

٢ ـ مثل باستور المكتشف لجراثيم الامراض ، وقد تطور بعده (وبسببه) الطبّ بشكل مؤثر وسريع ، وأديسون المكتشف للكهرباء الذي غيّر باكتسافه مختلف مستويات المعيشة الفردية والاجتماعية ، ونيوتن مكتشف الجاذبية العامة الموجب لتحوّل مجاري كثير من العلوم المادية لاسيا الفضائية كما لايخفىٰ ، و ويل برايت المخترع للطيّارة وغيرهم .

القسم الأول: لا فلاح بلا ايمان:

قال تعالىٰ: -

١ - ﴿ مَنْ عمِل صالحاً مِن ذكرٍ أو أُنثىٰ وهو مؤمنٌ فَلَنُحيينّهُ حيواةً طيّبة و لنَجزينّهُم بأحسن ماكانوا يعملون ﴾ (سورة النحل ١٦: الآية ٩٧).

٢ - ﴿ ... وَمَنْ عَمل صالحاً من ذكرٍ أو أُنثىٰ وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة يُرزقون فيها بغير حساب ﴾ (سورة المؤمن ٤٠: الآية ٤٠).

٣ - ﴿ ومَنْ يعمل من الصالحات من ذكرٍ أو أُنثىٰ وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة ولا يُظلون نقيرا ﴾[1] (سورة النساء ٤: الآية ١٢٤).

٤ - ﴿ وَمَنْ يعملْ مِنَ الصالحات وهو مؤمن فلايخاف ظُلماً ولا هضما﴾ (سورة طه ٢٠: الآية ١١٢).

٥ - ﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلاكفران لِسَعْيِه وإنّا له كاتبون ﴾ (سورة الانبياء ٢١: الآية ٩٤).

٦ - ﴿ وَمَنْ أراد الآخرة وسعىٰ لها سعْيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾ (سورة الاسراء ١٧ الآية ١٩).

٧ - ﴿ إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارىٰ والصّابئين مَنْ آمَنَ بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنون ﴾ (سورة البقرة ٢ الآية ٦٢).

٨ - ﴿ بلىٰ من أسلم وجهه للهِ وهو محسنٌ فله أجره عند ربّه ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (سورة البقرة ٢ الآية ١١٢).

٩ - ﴿ وَمَنْ يبتغِ غيرَ الاسلامِ ديناً فلنْ يُقبَلَ منه وهو في الآخرة من

---

١ - اطلاق حرف «من» وان كان يشمل النساء الا ان التصريح والبيان بقوله تعالى من ذكر أو انثىٰ يشير الى مقامهن الانساني ومسؤوليتهنّ كما لايخفىٰ.

الخاسرين﴾ (سورة آل عمران ٣ الآية ٨٤).

١٠ ـ ﴿ وَمَنْ أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملّة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله ابراهيم خليلا ﴾ (سورة النساء ٤ الآية ١٢٥).

الظاهر من هذه الآيات الكريمة تقييدها بأن الايمان باللّه تعالىٰ واليوم الآخر شرط لتأثير العمل الصالح ـ سواء كان من ذكر أو من أُنثىٰ ـ في طيب الحياة في الدنيا والجزاء الأحسن في الآخرة كالدخول في الجنة والرزق فيها بغير حساب. فلايُكتب سعي العبد إذن بدون الايمان ولا يثبت في لوح بل يُكفي عمله الصالح ويعدم ويهضم، فهو خاسر في الآخرة وغير مشكور وعليه أن يخاف خالقه ويحزن على سالفه.

ثم تفيد الآيات الكريمة أيضاً ـ علىٰ الإجمال ـ أنّ الإيمان المذكور هو تسليم الوجه والجهة للّه تعالىٰ واتّباع ملّة إبراهيم وأنّه لا دين أحسن منه كما فصّل ذلك في آيات أُخرىٰ أيضاً [1]؛ وهذا هو الاسلام الذي لايُقبل غيره ديناً، ويلجىء الذين هادوا والنصارىٰ والصابئين وغيرهم بعد الإيمان بالله تعالىٰ واليوم الآخر الىٰ التبعيّة في أعمالهم الصالحة لشريعة محمّد رسول الله وخاتم النبيين(ﷺ) وملّته ملّة إبراهيم الحنيف.

القسم الثاني: الكفر مانع عن الفلاح:

قال تعالىٰ: ـ

١ ـ ﴿ مثلُ الذين كفروا بربّهم أعمالهم كرمادٍ اشتدّت به الريح في يومٍ عاصفٍ لايقدرون ممّا كسبوا علىٰ شيءٍ ذلك هو الضلال البعيد ﴾.

(سورة ابراهيم [١٤] الآية ١٨)

---

١ ـ ﴿... ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّٰكم المسلمينَ من قبل...﴾ الآية (سورة الحج [٢٢] الآية ٧٨).

٢ ـ ﴿ والذين كذّبوا بآياتِنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يُجزَونَ إلّا ماكانوا يعملون ﴾. (سورة الأعراف [٧] الآية ١٤٧)[1]

٣ ـ ﴿ إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ أُولئك عليهم لعنة الله والملٰئكة والناس أجمعين ﴾. (سورة البقرة [٢] الآية ١٦٢)

٤ ـ ﴿ إنّ الذين كفروا وصدّوا عن سبيلِ الله ثم ماتوا وهم كفّارٌ فلن يغفر الله لهم ﴾. (سورة محمّد [٤٧] الآية ٣٤)

٥ ـ ﴿ ... فلن يغفر الله لهم ذلك بأنّهم كفروا بالله ورسوله والله لايهدي القوم الفاسقين ﴾. (سورة التوبة [٩] الآية ٨٠)[2]

٦ ـ ﴿ إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفّار فلن يُقبَل من أحدِهم ملءُ الأرض ذهباً ولو آفتدىٰ به أُولئك لهم عذابٌ أليم ومالهم من ناصرين ﴾.

(سورة آل عمران [٣] الآية ٩١)

٧ ـ ﴿ إنّ الذين كفروا لن تُغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من اللّه شيئاً وأُولئِكَ أصحاب النار هم فيها خالدون* مثلُ مايُنفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريحٍ فيها صِرٌّ أصابت حرثَ قومٍ ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم اللّه ولكنْ أنفسهم يظلمون ﴾. (سورة آل عمران [٣] الآية ١١٦ و ١١٧)

٨ ـ ﴿ إنّ الذين كفروا لن تُغنيَ عنهم أموالُهم ولا أولادُهم من اللّه شيئاً وأُولئِكَ وقودُ النار ﴾. (سورة آل عمران [٣] الآية ١٠)

٩ ـ ﴿ ولا يَحزُنْكَ الذين يُسارعون في الكفر انهم لن يضرّوا اللّه شيئاً يُريد

---

١ ـ ومثل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتىٰ اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب* أو كظلماتٍ في بحرٍ لجيّ ...﴾.
(سورة النور [٢٤] الآية ٣٩ و ٤٠).

٢ ـ وقريبٌ منه قوله تعالىٰ: ﴿وما منعهم أن تُقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله﴾ الآية.
(التوبة [٩] الآية ٥٤).

اللّه ألاّ يجعلَ لهم حظّاً في الآخرة ولهم عذابٌ عظيم ﴾ .

(سورة آل عمران [٣] الآية ١٧٦)

١٠ ـ ﴿ ليستِ التوبةُ للذين يعملون السّيئاتِ حتىٰ اذا حَضر أحدَهم الموتُ قال إنّي تُبْتُ الآن ولا الذين يموتون وهم كفّار أولئكَ أعتدنا لهم عذاباً أليما﴾. (سورة النساء [٤] الآية ١٨)

١١ ـ ﴿ ولِلّذين كفروا بربِّهم عذابُ جهنّمَ وبئسَ المصير ﴾ .

(سورة الملك [٦٧] الآية ٦)

١٢ ـ ﴿ إنّ الذين كفروا وظلموا لم يكنِ اللّهُ ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً* إلا طريقَ جهنّم خالدين فيها أبداً وكان ذلك علىٰ الله يسيراً ﴾.

(سورة النساء [٤] الآية ١٦٨ ـ ١٦٩)

١٣ ـ ﴿ إنّ الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتُفتّح لهم أبواب السّماءِ ولايدخلون الجنّة حتىٰ يلج الجملُ في سَمِّ الخياط وكذلك نجزي المجرمين* لهم من جهنّم مهادٌ ومن فوقهم غواشٍ وكذلك نجزي الظالمين ﴾.

(سورة الاعراف [٧] الآية ٤٠ ـ ٤١)

المستفاد من صريح هذه الآيات الكريمة هو ان الذين كفروا بالله تعالىٰ وظلموا أنفسهم بتكذيب آياته ولقاء الآخرة ، فاستكبروا نتيجة ذلك ولم يؤمنوا باللّه العزيز الحميد واليوم الآخر فماتوا وهم كفّار .. أعمالُهم في هذه الحياة الدنيا ـ أيّاً كانت ـ [١] كرمادٍ اشتدّت به الريحُ في يومٍ عاصفٍ، أو اصابه ريحٌ فيها صِرٌّ وشدّة فتفرّقت أجزاؤها وانتشرت حتىٰ لم يبق منها شيء وهي محبوطة أيضاً ، فلا يقدرون ممّا كسبوا علىٰ شيء ولن تُغني عنهم أموالُهم ولا أولادهم وليس لهم التوبة من كفرهم

---

١ ـ من الصالحات الجزئية المحدودة أو الخدمات الكلية اللامحدودة التي تكون سبباً لعجب عاملها مما هو المبحوث عنه.

ولن يغفر اللّه لهم أبداً ولا حظّ لهم في الآخرة ولا تُفتّح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنّة وعليهم اللعنة ولهم البُعد عن رحمة الله ولا طريق لهم إلّا طريق جهنّم ، فهم وقودُ النار ولهم عذابٌ عظيم أليم، ولهم من جهنّم مهاد ومن فوقهم غواش يسترهم في العذاب .. هم فيها خالدون أبداً ، فالكفر اذن مانع عن الفلاح والنجاح . اللّهم قنا عذاب النار واجنبنا موجِبها . موجبها .

القسم الثالث : الايمان والعمل ينقذان من النار :

قال تعالىٰ : ـ

١ ـ ﴿ بسم الله الرحمٰن الرحيم * والعصر * إنّ الانسان لفي خسر * إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾.

(سورة العصر [١٠٣] الآية ١ ـ ٣)

٢ ـ ﴿ لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم * ثم رددْناه أسفل سافلين * إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجرٌ غير ممنون ﴾. (سورة التين [٩٥] الآية ٤ـ٦)

٣ ـ ﴿ إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربّهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾. (سورة البقرة [٢] الآية ٢٧٧)

٤ ـ ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبىٰ لهم وَحُسْنُ مآب ﴾ .

(سورة الرعد [١٣] الآية ٢٩)

٥ ـ ﴿ وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاءً الحسنىٰ وسنقول له من أمرنا يسراً ﴾. (سورة الكهف [١٨] الآية ٨٨)

٦ ـ ﴿ وإنّي لغفّارٌ لِمَنْ تابَ وآمن وعمِلَ صالحاً ثمّ اهتدىٰ ﴾.

(سورة طه [٢٠] الآية ٨٢)

٧ ـ ﴿... وَعَدَ اللّه الّذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجراً

عظيما ﴾. (سورة الفتح [٤٨] الآية ٢٩)

٨ ـ ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سنُدْخِلُهمْ جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها أبداً وَعْدَ اللّهِ حقاً ومن أصدقُ من اللّهِ قيلا ﴾.

(سورة النساء [٤] الآية ١٢٢)

٩ ـ ﴿ وَبَشِّرِ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّ لهم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهارُ كلّما رُزِقوا منها من ثمرةٍ رزْقاً قالوا هذا الذي رُزِقْنا مِن قبلُ وأُتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواجٌ مطهّرة وهم فيها خالدون ﴾. (سورة البقرة [٢] الآية ٢٥)

١٠ ـ ﴿ وأُدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربِّهم تحيّتُهم فيها سلام ﴾. (سورة إبراهيم [١٤] الآية ٢٣)

١١ ـ ﴿ ... ومن يؤمنْ باللّه ويعملْ صالحاً يدخلْه جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها أبداً قدْ أحسن له رزقا ﴾. (سورة الطلاق [٦٥] الآية ١١)

١٢ ـ ﴿ إلّا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأُولئك يدخلون الجنّة ولايُظلمون شيئا ﴾. (سورة مريم [١٩] الآية ٦٠)

١٣ ـ ﴿ قل يا أهل الكتاب لستم علىٰ شيء حتىٰ تُقيموا التوراة والانجيل وما أُنزل اليكم من ربّكم الآية ...، إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارىٰ مَن آمن باللّه واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾.

(سورة المائدة [٥] الآية ٦٨ و ٦٩)

ملخص ماتفيده صراحة هذه الآيات المباركة هو أنّ الإنسان بنوعه ـ كائناً من كان وفي أيّ زمان وأيّ مكان كان، مع أنّه في أحسن تقويم، فهو في خُسْر وخطر إلّا الذين آمنوا منهم باللّه تعالى واليوم الآخر واطمأنّوا بذلك فلم يكتفوا بالاعتقاد والايمان فقط، بل عملوا الصالحات وسابقوا الىٰ الخيرات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وغيرهما فصلحوا فرداً ومجتمعاً لتواصيهم بالحق والمعروف وكذا بالصبر في

طريق اثبات الحق وسبيل إحقاقه ، ولتناهيهم عن الباطل والمنكر أيضاً .

وعندئذٍ ، أيْ بعدَ تعانُق الايمان والعمل وتصافُق كلٍّ منهما الآخر ؛ فهم المهتدون الفائزون الذين يغفر اللّٰه لهم سيّئاتهم ويجزيهم جزاء الحسنىٰ وأجراً عظيماً فيدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ويرزقهم فيها رزقاً حسناً من الثمار ولهم فيها أزواج مطهّرة وهم فيها خالدون .

كما تفيد الآيات المتقدّمة أنّ أهل الكتاب بعد إيمانهم باللّٰه تعالى واليوم الآخر أيضاً ليسوا علىٰ شيء حتىٰ يقيموا التوراة والانجيل ويعملوا بأحكام اللّٰه تعالىٰ وحدوده ويطبقوا شريعته وما أُنزل إليهم من ربّهم دون ما دسّوا فيه وحرّفوه ممّا ينكره العقل والشرع معاً.

وان كان اللّٰه تعالىٰ سوف يفصل بينهم وبين الذين أشركوا يوم القيامة، وكذلك يفصل بين كلٍّ من الذين آمنوا أي المسلمين، والذين هادوا أي اليهود، والصابئين من أيّ قوم كانوا وسواء كانوا علىٰ دين نوح أو من النصارىٰ أو المجوس أو المشركين فينتهي كلٌّ إلىٰ منتهاه الذي لابدّ منه ، ولا يبعد الأوّل ؛ فإنّ اللّٰه تعالىٰ لايغفر أن يُشرَكَ به ويغفرُ مادون ذلك، مع تفاوت بين الملّيين أيضاً في الدرجات .

وكيف كان ، فأهلُ الكتاب علىٰ طبقاتهم ليسوا علىٰ شيء إلّا أن يعملوا بالكتاب ويقيموا حدود اللّٰه تعالىٰ وأحكامه النازلة من عنده .

والحاصل : ان تلك الآيات الكريمة تنادي بوضوح بعد الفراغ عن ضرورة الايمان بالله تعالىٰ واليوم الآخر للفلاح ، بأنّه لايؤثّر مجرّد ذلك مالم ينضمّ إليه العمل الصالح.

كما أنّ مجرد العمل الصالح بل كلُّ خير وخدمة لاينتج نجاحاً ولا فلاحاً إلّا مع الايمان، وهما معاً ينقذان من عذاب النار ويُدخلان الجنّة ذات الأنهار؛ وإلّا لم يكن وجهٌ لذكرها معاً من غير فصْلٍ بينهما .

وأمّا أنّه تعالىٰ لا يُضيع أجر من أحسن عملاً، فسيأتي بحثه في القسم الرابع انّه أيضاً ـ بعد الايمان، وإلّا فهو كرمادٍ اشتدّت به الريح، كما مضىٰ.

القسم الرابع : الايمان شرط والكفر مانع :

قال تعالىٰ : ـ

١ ـ ﴿إنَّ اللّٰه يُدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتٍ تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتّعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنارُ مثوىً لهم﴾.

(سورة محمّد [٤٧] الآية ١٢)

٢ ـ ﴿ إنّ شرّ الدوابِّ عند الله الذينَ كفروا فهم لا يؤمنون﴾ .

(سورة الأنفال [٨] الآية ٥٥)

٣ ـ ﴿ أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إنْ هم إلّا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا ﴾ . (الفرقان [٢٥] الآية ٤٤)

٤ ـ ﴿ يومَ يجمعُكم ليومِ الجمع ذلك يومُ التغابُن ومن يؤمنْ باللّٰه ويعملْ صالحاً يكفِّرْ عنه سيّئاته ويُدْخلْه جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أُولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ﴾. (سورة التغابن [٦٤] الآية ٩ و ١٠)

٥ ـ ﴿ والذين آمنوا باللّٰه وَرُسُلِهِ أُولئك هم الصدّيقون والشهداء عند ربِّهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أُولئكَ أصحاب الجحيم﴾.

(سورة الحديد [٥٧] الآية ١٩)

٦ ـ ﴿ ... ومن يُطِعِ اللّٰهَ ورسولَهُ يُدخلْه جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ومن يتولَّ يُعذِّبه عذاباً أليماً ﴾. (سورة الفتح [٤٨] الآية ١٧)

٧ ـ ﴿ لِلّذين استجابوا لربِّهم الحسنىٰ والذين لم يستجيبوا له لو أنّ لهم مافي

الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به أُولئك لهم سوءُ الحساب ومأواهم جهنّم وبئس المهاد ﴾. (سورة الرعد [١٣] الآية ١٨)

٨ ـ ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زُلفىٰ إلّا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاءُ الضعف بما عملوا وهم في الغُرفات آمنون* والذين يسعون في آياتنا معاجزين أُولئك في العذاب محضرون ﴾.

(سورة سبأ [٣٤] الآية ٣٧ و ٣٨)

٩ ـ ﴿ فمن يُردِ الله أنْ يهديَه يشرح صدرَه للاسلام ومن يُرِدْ أن يُضِلّه يجعلْ صدره ضيّقاً حرجاً كأنّما يصعد في السّماء كذلك يجعل الله الرجس علىٰ الّذين لايؤمنون ﴾. (سورة الأنعام [٦] الآية ١٢٥)

١٠ ـ ﴿ فأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفّيهم أُجورهم ويزيدهم من فضله وأمّا الذين آستنكفوا واستكبروا فيعذّبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله وليّاً ولا نصيرا ﴾. (سورة النساء [٤] الآية ١٧٣)

١١ ـ ﴿ وَعَدَ اللّهُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرةٌ وأجر عظيم* والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أُولئك أصحاب الجحيم ﴾. (سورة المائدة [٥] الآية ٩ و ١٠)

١٢ ـ ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإمّا يأتينّكم منيّ هدى فمن تبع هداي فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون* والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾. (سورة البقرة [٢] الآية ٣٨ و ٣٩)

١٣ ـ ﴿ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة* أُولئك أصحاب الميمنة* والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة* عليهم نارٌ مؤصدة ﴾. (سورة البلد [٩٠] الآية ١٧ ـ ٢٠)

هذه آيات مباركة تقدّم فيها حكم المؤمنين؛ على العكس من آيات مباركة أُخرىٰ:

١٤ ـ ﴿ فأمّا الذين كفروا فأعذّبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين* وأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفّيهم أجورهم واللّهُ لايُحبُّ الظالمين ﴾. (سورة آل عمران [٣] الآية ٥٦ و ٥٧)

١٥ ـ ﴿ إنّ الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلّما نضجت جلودُهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إنّ اللّه كان عزيزاً حكيماً* والذين آمنوا وعملوا الصالحات سنُدخلُهم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهّرة ونُدخلهم ظِلاً ظليلاً ﴾. (سورة النساء [٤] الآية ٥٦ و ٥٧)

١٦ ـ ﴿ الذين يصدّون عن سبيل اللّه ويبغونها عِوَجاً وهم بالآخرة هم كافرون* أُولئك لم يكونوا مُعجزين في الأرض وما كان لهم من دون اللّه من أولياءَ يُضاعف لهم العذاب ماكانوا يستطيعون السمع وماكانوا يُبصرون* أُولئك الذين خسروا أنفسهم وضلَّ عنهم ماكانوا يفترون* لا جرم أنّهم في الآخرة الأخسرون* إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلىٰ ربهم أُولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون ﴾ (سورة هود [١١] الآية ١٩ ـ ٢٣)

١٧ ـ ﴿ بل الذين كفروا يكذّبون* واللّه أعلم بما يوعون* فبشّرهم بعذابٍ أليم* إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجرٌ غير ممنون ﴾.

(سورة الانشقاق [٨٤] الآية ٢٢ ـ ٢٥)

١٨ ـ ﴿ إنّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذابُ جهنّم ولهم عذاب الحريق* إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير ﴾. (سورة البروج [٨٥] الآية ١٠ ـ ١١)

والآيات التي ذكرناها في آخر القسم الثاني تشترك مع آيات القسم الرابع مع ملاحظة؛ فراجع.

١٩ ـ ﴿ وقلِ الحقُّ مِنْ ربِّكم فمن شاءَ فليؤمن ومن شاء فليكفر إنّا أعتدْنا

للظالمين[١] ناراً أحاط بهم سُرادِقها وإنْ يستغيثوا يُغاثوا بماءٍ كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً* إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّا لانُضيع أجر من أحسن عملاً* أُولئك لهم جنّات عدنٍ تجري من تحتهم الأنهار... ﴾ . (سورة الكهف [١٨] الآية ٢٩ ـ ٣١)

وأصرح من ذلك كلّه قوله تعالىٰ : ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً* الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً* أُولئك الذين كفروا بآيات ربّهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا...﴾ .

(الكهف [١٨] الآية ١٠٣ ـ ١٠٥)

وغيرها من الآيات الكثيرة في ذلك السياق مثل التي في سورة آل عمران [٣] الآيات ١٢ الى ١٧، وفي سورة النساء [٤] الآيات ١٣ و ١٤، و في سورة طه [٢٠] الآيات ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ وسورة الحج [٢٢] الآية ٥٦ و ٥٧ .

محصّل ماتُعطيه مجموع هذه الآيات المباركة لصراحتها مع عنايتها بطرفي القضية هو اشتراط اتحاد الايمان والعمل الصالح في تحقيق السعادة والفيض في الدنيا والنجاة والفوز في الآخرة، ومانعيّة الكفر عن تأثير كل عمل صالح وخير في ذلك، وبنوعيها من ذكر حكم المؤمنين أوّلاً أو الكفّار .

إنّ الذين آمنوا بالله تعالىٰ واليوم الآخر واستجابوا لربّهم واتّبعوا هداه وأخبتوا اليه فأطاعوا الله ورسوله وعملوا الصالحات ؛ أولئك عندئذٍ يشرح الله تعالىٰ صدورهم للاسلام ـ بالمعنىٰ الذي عرفت ـ فلا خوفٌ عليهم ممّا سيأتي ولا يحزنون على مامضىٰ ولهم المغفرة فيكفّر عنهم سيئاتهم ويوفي أُجورهم بحسناتهم بل لهم جزاءُ الضعف، ويزيدهم الله تعالىٰ من فضله ، ولا استحقاق وهم عند الله من

---

١ ـ من المعلوم ان المراد هنا الكفار للتخيير السابق في صدر الآية والجزاء الشديد اللاحق الذي لايناسب كل ظلم.

الصدّيقين ، وفي النهاية يُدخلهم اللّه تعالىٰ جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ، وهم في غرفاتها آمنون ، ولهم فيها أزواج مطّهرة ، بل لهم الفوز العظيم الكبير الذي هو أجرة غير ممنون ، ونورهم عند ربّهم بل : ورضوان من اللّه أكبر ذلك هو الفوز العظيم (آخر آية ٧٢ من سورة التوبة [٩]) الذي وعد اللّه تعالىٰ عباده المؤمنين والمؤمنات ، فلهم في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة .

وأمّا الذين كفروا بربّهم وكذّبوا بآيات اللّه واستكبروا عنها ولم يستجيبوا فاولئك الذين لم يؤمنوا باللّه تعالىٰ وهم بالآخرة هم كافرون ، وبطريقهم هذا قد صدّوا عن سبيل اللّه وابتغوه عوجا . فانهم في الدنيا يتمتّعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والبهائم لايجوزون شهواتهم الحيوانية المضلّة، ويجعل اللّه صدورهم ضيقةً حرجةً لايذوقون طعم الأمن والاطمئنان ، ومثلهم كالذي يصّعّد في السّماء بلا سلطان وواسطة ، فهم أصحاب المشئمة غير معجزين في الأرض[1] ؛ كذلك يجعل اللّه عليهم الرّجس . وفي الآخرة : النارُ مثوىً لهم فهم أصحاب الجحيم ومأواهم جهنّم وفي العذاب الأليم محضرون وفي النار خالدون ، النار التي أحاطت بهم سُرادقها وكلّما نضجت جلودهم فيها بدّل اللّه لهم جلوداً أخرىٰ غيرها وإنْ يستغيثوا يُغاثوا بماءٍ كالمهل يشوي الوجوه فلا يقام لهم الوزن وجزاؤهم جهنم أعاذنا اللّه تعالىٰ منها ومنهم .

وعليه فقد خسروا أنفسهم ، وماكانوا يستطيعون السمع وماكانوا يُبصرون ، فلابدّ إذن لكل انسان أن يسمع لنداء الخلقة وصوت الحياة وصفير العالم الحي ومافيه ويبصر مافيها من بدائعه أن تكون عظيمة تهدي اليه تعالىٰ في الآفاق وفي

---

١ ـ أي غير فائقين في مبارزاتهم اللاتي يريدون بها عجز أنبياء اللّه وشرائعهم بانهزامهم في الكفاح فهم يسعون ويجحدون في آياتنا معاجزين ولم يكونوا بمعجزين خصومهم ومكافحيهم فانّ حزب اللّه هم الغالبون وان كان ظاهر تعبير نفي المعاجز انه لايعد مخالفتهم مقابلة ومبارزة اصلاً الاّ انهم مغلوبون .

أنفسهم ، ولكن هؤلاء المعنيين لهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها فلهم عذابٌ شديدٌ في الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

ويعبارة أخرىٰ : ان الانسان ـ كائناً من كان ، مالم تطمئن نفسه بالايمان باللّه تعالىٰ واليوم الآخر وما لم يُدخل في عبادته بالعمل الصالح بما أنزل اللّه تعالى على رسله ، مطيعاً له مخبتاً اليه ، لايدخل الجنة ونعيمها[1] وبدون الايمان ، ان كان من تكذيب وتقصير في الكفر فأعماله الصالحة أيضاً ـ كائناً ماكان ـ كرمادٍ اشتدّت به الريح في يوم عاصف ، وهو في النار التي عرفت أوصافها ، وأمّا إن كان عدم ايمانه عن قصور فلايصدق معه التكذيب والاستكبار، ولا تحرقه النار التي عرفت أوصافها، وان لم يدخل الجنّة أيضاً ؛ فانّ علىٰ الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم ، فلم يدخلوها وهم يطمعون[2] وتفصيل الكلام في محله .

وروح الكلام وجوهره هو قوله تعالىٰ : ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً* الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يُحسنون صنعاً* أولئك الذين كفروا بآيات ربّهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيٰمة وزناً* ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً* إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً* خالدين فيها لايبغون عنها حِوَلاً ﴾. (سورة الكهف [١٨] الآية ١٠٣ ـ ١٠٨)

نعم ، بعدما علمنا أنّ الأعمال بالنيّات[3] وأنّها هي المقياس والميزان في تقويمها ، فان القاصد بالعمل الدنيا وحطامها فجزاؤه هي ، ولو كان عمله في صورة عبادةً من العبادات ، ومن أراد الآخرة وسعىٰ لها سعيها على اختلاف المراتب

---

١ ـ قال تعالىٰ : ﴿ ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي الىٰ ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي ﴾ (سورة الفجر [٨٩] الآية ٢٧ الى ٣٠).

٢ ـ كما في آية ٤٦ من سورة الاعراف [٧] عند بيان مناقشاتهم.

٣ ـ كما في الحديث النبوي .

مـن رضوان الله تعالىٰ أو جنّاته أو الوقاء من النار وهو مؤمن به سبحانه واليوم الآخر، أو أنّه أراد الخدمة والاحسان للنوع الانساني من بسط العدل وتسهيل المعاش ودفع الآلام لما في نفس ذلك من نشاط ولذّة أو شهرة ـ كما قد يكون من غير المؤمنين ـ فقد عرفت حكمه حسب الآيات الكـريمة بـالنسبة الىٰ العـذاب والثـواب ، وأمّـا بحسب المراتب فلايبعد الفرق بين من أحسن الى الناس وغيره من الكفار في النار من تقليل وتخفيف بمقتضىٰ العمل .

والجدير ذكره في ختام هذا البحث هو الفرقُ بين عملٍ انتهىٰ بنفسه ، وعلى مجراه الطبيعي ، الىٰ الاحسان والخدمة ، وعمل كان له ذلك أي قصد فيه منذ البدء الخيرُ والخدمة والاحسان في ظرف ايقاعه؛ والكلام فـي الثـاني ، وأكـثر مـاعمله المخترعون وابتكره المكتشفون هو من النوع الأول بحيث لم يكن يتصوّر العـامل الأوّل كثيراً من انتاجاته أحياناً ، كما لايخفىٰ[1] . ثم إنّ كلّ ذلك حسب سنّة الله تعالىٰ التي لن تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً .

وأمّا فضل الله ورحمته الواسعة فهو مايطمع فيه كلُّ أحد بأيّ وجه ـ ونـحن نرجو فضله ورحمته ـ فإنّ مقتضىٰ الإيمان والكفر ولوازم الأعمال الصالحة أو الطالحة من ناحية العبد هي غير أثر العفو والرحمة ، ومقتضىٰ المالكية المطلقة من جانب المولىٰ ، فإنّه تعالىٰ لا يُسأل عمّا يفعل والعباد هم المسؤلون ، وهذه هو السرّ الأصلي والعامل الأساسي الذي يجعل العبد لايأمن من مكر اللّه وارادته ، ولا يطمئن بأعماله الصالحة وطاعاته ، كما يجعله لاييأس من رَوْح اللّه وعناياته تـعالىٰ ؛ فـمع أنّـه لا خوف عليه ولا يحزن فهو بين الخوف والرجاء دائماً .

***

---

١ ـ والله تعالىٰ هو الذي أراد ان ينعم عباده به على ذلك المجرىٰ .

ثمّ بعدما تبيّن الأمر بوضوح لاريب فيه من أنّه لا فلاح بلا ايمان ، ولايفلح المؤمن إلّا بعمله الصالح المنبثق عن ايمانه وإطاعته للّه تعالىٰ ورسوله ، وانّه لاسبيل للكافر إلّا سبيل جهنم ولا طريق له إلّا طريق النار وإن أحسن الىٰ الناس وعمل صالحاً، علينا أن نتعرّف علىٰ أسس الايمان وأصول الدين التي بمعرفتها والاعتقاد بها يكون الانسان مؤمناً ويفلح بعدها بعمله الصالح ؛ وبانكارها وتكذيبها يكون كافراً خاسراً .

ولقد تفحّصنا آيات الباب واستأثرناها حسب باعنا القليل باحثين في كل فصل منها عن قليل منها ، فانها بنفسها أوضح تبيان وأدلّ دليل كما ترىٰ .

ولنقدّم كلاماً قصيراً في معنىٰ الدين وروح الايمان حتىٰ نكون علىٰ بصيرة عند معرفة أصوله وأسسه القويمة .

معنىٰ الدين :

الدين هو الشريعة والملّة الألهية يعتقد بأصولها الأنسان ويسلك سبيلها فيأتي بفروعها العملية حتىٰ الفلاح . قال تعالىٰ : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحقّ ليُظهره علىٰ الدين كلّه ولو كره المشركون** ﴾ (التوبة [٩] الآية ٣٣) والدين الانقياد والاطاعة لهذه الشريعة الحقّة. وهذا هو الاسلام وهو التسليم للّه تعالىٰ ولأوامره ونواهيه وحده. قال تعالىٰ : ﴿ **ومن أحسن ديناً ممّن أسلَم وجهَه للّهِ وهو محسنٌ واتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً واتّخذ اللّهُ إبراهيمَ خليلا** ﴾ (النساء [٤] الآية ١٢٥) وأما الدساتير والمناهج البشرية فليست بدين ، وان كان فيها خير ، قال تعالىٰ: ﴿ **أفغير دين اللّه يبغُون وله أسلَمَ مَن في السّموات والأرض طوْعاً وكرهاً واليه يُرجعون** ﴾ (آل عمران [٣] الآية ٨٣) .

وحينئذٍ فمن آبتغىٰ غير الاسلام ديناً واتّبع غير طريق الحق سبيلاً فإنّه

لايطمئن باستقامته ووصوله الىٰ الغرض والهدف النهائي من الخلق . فقد خاب وخسر . قال تعالىٰ : ﴿ ومن يبتغِ غيرَ الاسلام ديناً فلن يُقبلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (آل عمران [٣] الآية ٨٥) .

ومن المعلوم أنّ اتّباع طريق الحقّ والخير وسلوك سبيل اللّه تعالىٰ والانقياد له تعالى أمرٌ طبيعي فطري ينبثق من أعماق وجود الانسان[١] بل من كل موجود بمعنى، قال تعالىٰ : ﴿ فأقِم وجهَك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّينُ القيّم ولكنّ أكثر الناس لايعلمون﴾ (الروم [٣٠] الآية ٣٠). ﴿ ولايغرنّك تقلّب الذين كفروا في البلاد ﴾ (آل عمران [٣] الآية ١٩٦).

إنّ تسابق الناس في الكفر وضلالتهم بظلمهم أنفسهم وانحرافهم عن الدين والحق لن يضرّ اللّه شيئاً ، قال تعالىٰ: ﴿ إنّ الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضرّوا الله شيئاً ولهم عذابٌ أليم ﴾ (آل عمران [٣] الآية ١٧٧).

فعليك نفسك في اتّباع الحق وملازمة التقوىٰ ومرافقة أهلها والمجاهدة في سبيله بالمال والنفس في طريق ارشاد الناس وهدايتهم وخوض المعارك لإعلاء كلمة التوحيد وإظهار دين الحقّ بسلاحٍ قاطع وقوّةٍ قاهرة مادّيةٍ ومعنوية ، وأساسه بل أُسّ أساسِ الايمان باللّه تعالىٰ واليوم الآخر[٢] ، وقد ضمِن اللّه تعالىٰ نصرةَ من ينصرهُ بقوله : ﴿ إنْ تنصروا الله ينصرْكم ويثبّتْ أقدامكم ﴾ (محمد [٤٧] الآية ٧).

---

١ ـ ولذلك أطلق علىٰ أُصول معارفه وأركان أعماله الذكرى والتذكرة في كثير من الآيات، وأطلق علىٰ الرسول المذكّر. قال تعالىٰ : ﴿... إن هو إلاّ ذكرىٰ للعالمين﴾ (الانعام [٦] الآية ٩٠). وقال : «الاّ تذكرة لمن يخشىٰ» (طه [٢٠] الآية ٣) وقال : ﴿فذكّر انما انت مذكر﴾ (الغاشية [٨٨] الآية ٢١) وغيرها مالايسع المقام ذكرها فراجع.

٢ ـ ولقد تكلمنا في ذلك بشيء في كتاب الجهاد من جهودنا «فقه القرآن» .

معنىٰ الايمان :

والإيمان هو الأمن والاطمئنان في القلب الذي هو مركز الحياة ومداره ، ولا يوجد الايمان إلا بالإتكال علىٰ الله الذي هو مركز الوجود ومتكأ الخلقة وقيّوم العالم كلّه ، فهو الخالق البارئ فقط ، ولايوجد الايمان بشيء من زخرف الدنيا وزينتها من الأموال والبنين . قال تعالىٰ : ﴿ **الّذين آمنوا وتطمئنُّ قلوبُهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوب** ﴾ (الرعد ١٣ ـ ٢٨) .

والقلب المتوكّل علىٰ الله تعالىٰ الخاشع له واقعاً ، هو المطيع له حقاً وتتبعه الجوارح وتقتفي أثره ، فيعترف بالحق ويقرّ بلسانه ويعمل بالأركان بمقتضاه .

وذكر اللّه تعالىٰ ـ المبدأ ـ يقارن ذكر يوم القيٰمة ـ المعاد ـ ومعرفتهما للناس تتحصّل بعد تعقّل الرسالة ـ الوساطة ـ بين الخلق والخالق باصطفاءٍ منه تعالىٰ الأخيار من عباده والوحي إليهم لذلك ؛ والمفلحون هم الذين آمنوا بالله تعالىٰ ورُسله واليومِ الآخر ، كما في آيات كثيرة . وهذه الأُسس الأولية والأصول الأساسية للدين والايمان ؛ وأوّلها وأُسّ أساسها التوحيد الذي هو وحدانية الخالق والربّ .



الأصل الأوّل:

التوحيد



التوحيد

وآيات الباب على أنواع :

النوع الأول : ـ قال تعالى :

١ ـ ﴿ إنّهم كانوا إذا قيل لهم لا إله الاّ اللّهُ يستكبرون﴾. (الصافات [٣٧] الآية ٣٥)

٢ ـ ﴿ فاعلمْ أنّه لا إله إلاّ اللّه وآستغفِر لذنبك ... ﴾. (محمد [٤٧] الآية ١٩)

٣ ـ ﴿ ... ومامن إله إلّا اللّه وإنّ اللّه لهو العزيزُ الحكيم ﴾. (آل عمران [٣] الآية ٦٢)

٤ ـ ﴿ قل إنما أنا منذِرٌ وما مِن إله إلّا اللّه الواحدُ القهّار ﴾. (ص[٣٨] الآية ٦٥)

٥ ـ ﴿ لقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال ياقومِ آعبدوا اللّـهَ مالكم من إلـه غيرُه...﴾. (الاعراف [٧] الآية ٥٩)

النوع الثاني : ـ قال تعالى :

١ ـ ﴿ وإلٰهكُم إلهٌ واحد لا إلهَ إلا هُوَ الرحمٰنُ الرحيم ﴾. (البقرة [٢] الآية ١٦٣)

٢ ـ ﴿اللّهُ لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم لاتأخذه سِنةٌ ولا نوم...﴾.

(البقرة[٢] الآية ٢٥٥)

٣ ـ ﴿ اللّه لا إله إلّا هو الحيّ القيوم ﴾. (آل عمران [٣] الآية ٢)

٤ ـ ﴿هو الذي يُصوّركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلّا هو العزيز الحكيم﴾.

(آل عمران [٣] الآية ٦)

٥ ـ ﴿ شهِد اللّهُ أنه لا إله إلّا هو والملائكةُ وأُولو العلم قائماً بالقسط لا إلهَ هو العزيز الحكيم ﴾. (آل عمران [٣] الآية ١٨)

٦ ـ ﴿ اللّهُ لا إله إلّا هو ليجمعنّكم الى يوم القيٰمة لاريب فيه ومَنْ أصدقُ من

الله حديثاً ﴾. (النساء [٤] الآية ٨٧)

٧ ـ ﴿ ذلكم اللهُ ربُكم لا إله إلّا هو خالقُ كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ﴾. (الانعام [٦] الآية ١٠٢)

٨ ـ ﴿اتّبع ما أُوحي إليك من ربّك لا إله إلا هو وأعرِض عن المشركين﴾. (الانعام [٦] الآية ١٠٦)

٩ ـ ﴿ ... الذي له ملكُ السموٰات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت﴾. (الاعراف [٧] الآية ١٥٨)

١٠ ـ ﴿ فإن تولّوا فقل حسبيَ اللهُ لا إله إلا هو عليه توكّلتُ وهو ربُّ العرشِ العظيم ﴾. (التوبة [٩] الآية ١٢٩)

١١ ـ ﴿ فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا انّما أُنزل بعلم الله وأنْ لا إله إلّا هو فهل أنتم مسلمون ﴾. (هود [١١] الآية ١٤)

١٢ ـ ﴿...قل هو ربيّ لا إلهإلّا هو عليه توكّلت وإليه متاب﴾. (الرعد[١٣]الآية ٣٠)

١٣ ـ ﴿ الله لا إله إلّا هو له الأسماء الحُسنىٰ ﴾. (طه [٢٠] الآية ٨)

١٤ ـ ﴿إنّما إلٰهكم الله الذي لا إله إلّا هو وَسِعَ كلَّ شيء علماً﴾. (طه[٢٠] الآية ٩٨)

١٥ ـ ﴿ فتعالَىٰ اللهُ الملكُ الحقُّ لا إله إلّا هو ربُّ العرشِ الكريم ﴾. (المؤمنون [٢٣] الآية ١١٦)

١٦ ـ ﴿ اللهُ لا إله إلّا هو ربُّ العرشِ العظيم ﴾. (النمل [٢٧] الآية ٢٦)

١٧ ـ ﴿ وهو اللهُ لا إله إلّا هو له الحمد في الأولىٰ والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ﴾. (القصص [٢٨] الآية ٧٠)

١٨ ـ ﴿ ولا تدعُ معَ اللهِ إلٰهاً آخر لا إله إلّا هو... ﴾. (القصص[٢٨]الآية٨٨)

١٩ ـ ﴿ .. هل مِنْ خالقٍ غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلّا هو فأنّىٰ

تؤفكون ﴾. (فاطر [٣٥] الآية ٣)

٢٠ ـ ﴿ ذٰلكم الله ربكم له الملك لا إلٰه إلّا هو فأنّىٰ تصرفون ﴾. (الزمر [٣٩] الآية ٦)

٢١ ـ ﴿ غافرِ الذّنبِ وقابلِ التوبِ شديدِ العقابِ ذي الطولِ لا إلٰه إلّا هو اليه المصير ﴾. (المؤمن [٤٠] الآية ٣)

٢٢ ـ ﴿ ذٰلكم اللّهُ ربُّكم خالقُ كل شيء لا إلٰه إلّا هو فأنّىٰ تؤفكون ﴾.
(المؤمن [٤٠] الآية ٦٢)

٢٣ ـ ﴿ هو الحيُّ لا إلٰه إلا هُو فادْعوه مخلِصين له الدين .. ﴾.
(المؤمن [٤٠] الآية ٦٥)

٢٤ ـ ﴿ لاإلٰه إلّا هو يحيي ويميت ربُّكم وربُّ آبائكم الأولين ﴾.
(الدخان [٤٤] الآية ٨)

٢٥ ـ ﴿ هو اللّهُ الذي لا إلٰه إلّا هو عالمُ الغيب والشهادة هو الرحمٰن الرحيم * هو الله الذي لا إلٰه إلّا هو الملكُ القدّوسُ السلام... ﴾. (الحشر [٥٩] الآية ٢٢ ـ ٢٣)

٢٦ ـ ﴿ اللّهُ لا إلٰه إلا هو وعلىٰ اللّٰه فليتوكّل المؤمنون ﴾. (التغابن [٦٤] الآية ١٣)

٢٧ ـ ﴿ ربُّ المشرق والمغرب لاإلٰه الّا هو فاتّخذْه وكيلا ﴾. (المزمل [٧٣] الآية ٩)

هذه تمام الآيات الكريمة التي تخصّ النوع الثاني ، وحيث أنّ ضمير «هو» الموجود فيها جميعها راجع الىٰ الظاهر «الإلٰه» إلٰهكم أو اللّه كما في الأكثر، أو «الربّ» ربي أو ربك أو ربّكم أو ربّ المشارق والمغارب إسماً أو وصفاً للّه تعالىٰ أيضاً فهي ترجع الآيات الىٰ النوع الأول « لا إلٰه إلّا اللّه » كما هو ظاهر .

النوع الثالث : ـ قال تعالىٰ

١ ـ ﴿ يُنزِّل الملٰئكةَ بالروح مِن أمره علىٰ مَن يشاء مِن عبادِه أنْ أنذِروا أنّه لاإلٰه إلّا أنا فاتّقونِ ﴾ (النحل [١٦] الآية ٢)

٢ ـ ﴿ إنّني أنا اللّهُ لا إلٰه إلا أنا فاعبدني وأقِم الصلاة لذكري ﴾. (طه [٢٠] الآية ١٤)

٣ - ﴿ وما أرسلْنا من قبلك من رسول إلّا نـوحي إليـه أنـّـه لا إلٰـه إلا أنـا فاعبدون ﴾. (الانبياء [٢١] الآية ٢٥)

وحيث ان هذه الآيات المباركة الثلاثة أيضاً كما تراها تحكي عن أمر واحـد وهو أن اللّه تعالى ينزل المـلائكة عـلى مـن يشـاء مـن عـباده والذيـن هـم رسله المصطفَون الأخيار فيوحى إليهم فيما يوحي ان انذروا الناس بأنّه لا إله إلّا أنا، وما من رسول إلّا وقد أُوحي إليه ذلك كما أُوحي الىٰ موسىٰ حينما آنس ناراً وذهب إليها ليقتبس منها فنودي : اني أنا ربك وقد اخترتك فاستمع لما يوحى ، والقائل هنا عزّ من قائل والمنادي هو اللّه تعالىٰ ، والرب ، فإن هذه الآيات الكريمة ترجع الىٰ النوع الأول أيضاً ، وتكون لا إله إلّا اللّه .

النوع الرابع : ـ قال تعالىٰ

١ ـ ﴿ وإلٰهكم إلهٌ واحدٌ لا إله إلّا هو الرحمٰنُ الرحيم ﴾. (البقرة [٢] الآية ١٦٤)

﴿ وما مِن إلٰهٍ إلّا إلهٌ واحد... ﴾. (المائدة [٥٠] الآية ٧٣)

﴿ ... قل انما هو إله واحد وانني برىء مما تشركون ﴾. (المائدة [٥٠] الآية ١٩)

٢ ـ ﴿ ... وَليعلموا أنّما هو إلهٌ واحد وليذّكر أُولوا الألباب ﴾.

(ابراهيم [١٤] لآية ٥٢)

٣ ـ ﴿إلٰهكُم إلهٌ واحد فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة...﴾.

(النحل [١٦] الآية ٢٢)

٤ ـ ﴿وقال الله لاتتخذوا إلٰهين اثنين انّما هو إله واحد...﴾. (النحل[١٦] الآية ٥١)

٥ ـ ﴿ قل إنّما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليّ أنّما إلٰهكم إلهٌ واحد ... ﴾.

(الكهف [١٨] الآية ١١٠)

٦ ـ ﴿ قل إنّما يوحىٰ إليّ انما إلٰهكم إلهٌ واحد فهل أنتم مسلمون ﴾.

(الانبياء [٢١] الآية ١٠٨)

٧ ـ ﴿ ... فالٰهكم إلٰهٌ واحدٌ فله أسلموا وبشّر المخبتين ﴾ (الحج [٢٢] الآية ٣٤)

٨ ـ ﴿إنّ الٰـهكم لواحـد* ربُّ السّـمٰوات والأرض ومـا بـينهما وربُّ المشارق﴾.

(الصافات [٣٧] الآية ٤ ـ ٥)

٩ ـ ﴿قل إنّما أنا بشرٌ مثلكم يوحىٰ إليّ انّما إلٰهكم إلٰـهٌ واحـد فـاستقيموا إليه...﴾. (فصلت [٤١] الآية ٦)

الآيات الكريمة ـ كما ترىٰ ـ لم تتعرض إلّا لتوصيف شطر واحد من شطري الآيات الكريمة السابقة بلسانها الراجع الى أمر واحد من النفي والاثبات، نفي كل إلٰه ومعبود عن لياقة لك واستحقاقه ثم اثبات الالوهية والمعبودية بحق، وأهليّتها للّه تعالى فقط، فهو المعبود الذي يأله فيه الانسان ويتحير. فتصفه تلك الآيات الكريمة بالوحدة وانّ إلٰهكم إلهٌ واحدٌ[1] وسيأتي إجمال من الكلام فيه ان شاء الله.

الاستدلال علىٰ التوحيد

النوع الخامس: ـ قال تعالىٰ:

١ ـ ﴿ قُل لو كان معه آلهةٌ كما يقولون إذاً لابتغوا الىٰ ذي العرش سبيلا ﴾.

(الاسراء [١٧] الآية ٤٢)

٢ ـ ﴿لو كان فيهما آلهةٌ إلا اللّٰه لفسـدَتا فَسُبحانَ اللّٰـه ربِّ العـرش عـمّا يصفون﴾. (الانبياء [٢١] الآية ٢٢)

٣ ـ ﴿ مااتّخذَ اللّٰهُ مِن ولدٍ وماكان معه مِن إلٰهٍ إذاً لذهب كلُّ إلٰهٍ بما خلق ولعلا

---

١ ـ وقد ذكر الموصوف بنفسه ايضاً في قوله تعالىٰ: ﴿إنما اللّه إلٰهٌ واحدٌ﴾ (النساء [٤] الآية ١٧١) وسيأتي الكلام فيه في بحث نفي الوله ان شاء الله.

بعضُهم علىٰ بعض سبحان الله عمّا يصفون ﴾. (المؤمنون [٢٣] الآية ٩١)

الآيات الكريمة ـ كما ترىٰ ـ تتعهد بالبرهان علىٰ نفي وجود إلٰه آخر غير اللّٰه تعالىٰ وانّه يمتنع أن يكون معه ـ سبحانه ـ إلٰه بالذات ، فإنّ الإلٰه هو المعبود المستحقُّ لذلك الاستحقاق لايكون جُزافاً بل بما أنعم علىٰ عباده ؛ والإنعام لايمكن إلّا بعد الوجدان والقُدرة ، ولو كان لغير اللّٰه تعالىٰ أيضاً واحدية وقدرة في ذاته[1] وبذاته لذاته لابتغىٰ بقدرته تلك الى القادر المتعال مبدئ الخير ذي العرش سبيلاً[2]، ولغلب عليه، ليكون هو اللّٰه القادر المعطي مستحقاً للعبادة والٰهاً من دونه ، وحينئذٍ يدفعه الآخر ذو العرش والقدرة بقدرته الذاتية فيتكافحان ويتصارعان ، فتفسد الأرض والسماء بمصارعتهما هذه ، أو لعلا بعضهم على بعض في النهاية ، فتنحصر ـ حينئذٍ ـ القدرة الذاتية بالعالي الذي ليس فوقه عال ، وكل عال الذي يعلوه عال فهو اللّٰه الكبير المتعال ، وآخر الفروض أنّه لذهب كل إلٰه بما خلق، وكان شيءٌ مخلوقاً لأحدهما، والآخر للآخر، ولكانا محدودين لايقدران النفوذ في أحدهما ومخلوقه ، فكلّ منهما ضعيفٌ محكوم لمن حدّه وجعله كذلك لايقدر سعةً وضيقاً، ولا يستحق أيٌّ منهما أن يُحمد ويُعبد بل ان من حدّدهما وتسلّط عليهما بجعلهما كذلك فهو القادر عليهما وعلىٰ كل شيء وهو الخالق المتعال المستحق للحمد والعبادة ، فاذاً يمتنع أن يكون معه سبحانه إلٰه آخر امتناعاً ذاتياً؛ ويطلق على ذلك في الاصطلاح: «برهان التمانع» فالحق الواقع أنّه لا إلٰه إلا هو : ﴿ومن يدْعُ مع اللّٰه إلٰهاً آخر لابرهان له به...﴾. (المؤمنون [٢٣] الآية ١١٧).

وهذه هي الوحدة الحقّة الحقيقية التي لاتكون عددية في المفاهيم ولا

---

١ ـ حق يصح اطلاق الموجود عليه بلا واسطة عروضاً وثبوتاً وبدون حيثية تقييدية أو تعليلية.

٢ ـ ولقد استنقذنا معنى العرش من آيات الباب بتفصيل في رسالتنا مباحثات علمية تحت عنوان (بحث حول العرش).

هندسية في حدود المعدودات، بل هي واحد حقيقته الوحدة وهي وحدة حقيقتها الواحد، فإنّه ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار العزيز المتعال .

شبهة ابن كمونة

وأمّا ما اشتهر عن ابن كمّونة من فرض تعدد الآلهة من غير تضارب بينهم حتىٰ يحصل الفساد في الأرض والسماء ، ولا تغالب بينهم حتىٰ يعلو بعضهم علىٰ بعض، ولا تصالح بينهم ليذهبَ كلُّ إله بما خلق ؛ وفرض الامتياز بالذّات وفي الذات، فقد أُجيب في محلّه بالتفصيل ؛ وإجماله أن التّعدّد لاينفك عن التميّز ، ثمّ ان ما يمتاز به كل عن الآخر؛ أمّا عين وجه اشتراكهم أو غيره، فعلىٰ الأول: لاتعدّد بـل مـراتب، وأعلىٰ المراتب التي لاتعلوه مرتبة هو الحقُّ الواحد ؛ وعلىٰ الثاني : التعدّد في ذات كلٍّ منهم ؛ وحينئذٍ فجهة الاشتراك هي العينية الخارجية لا الذهنية الفكرية واحدة[1] الغالبة عليهم بأجمعهم وهو فوقهم أحق ووجه الامتياز بغلوب محكوم في الجميع[2] والغالبُ هو الحقُّ الواحد القهّار ولا إله إلّا اللّٰه .

هذا كلُّه بحسب الذّات إجمالاً ، وامّا صفاته تعالىٰ فقد أشـار إليـها الكـتاب الكريم؛ الذاتية منها الراجعة الىٰ الحقيقة الواحدة التي ليست إلّا الذات من الحياة

---

١ ـ ويعبارة المصطلح أهل الفن : لايمكن انتزاع مفهوم واحد بما هو واحد عن المتعدّد بما هو متعدّد.

٢ ـ بعد الغمض عن ايجاب ذلك التركّب المقتضي للافتقار الى الأجزاء المنافي للوجوب والاستقلال، وحاصل استدلال الآيات الكريمة ثلاثة أقسام : الأول : أنّ التعدّد بجهة الاشتراك يلازم فقداً ما في كل منها فيبتغي الى ذي العرش والقدرة الواجد المطلق سبيلا جبراً للنقد، اذاً ذو العرش هو الإله . الثاني: تصادم جهة الاشتراك عند إرادة الخلق والايجاد مع اقتضاء جهة الامتياز له بعد تخالفهما فيها ولزوم السنخية بين العلّة والمعلول، وهذا هو الفساد في السماوات والأرض: لو كان فيها آلهة إلاّ اللّه . الثالث : تصادم كلٍّ منها الآخر عند طلبه مايفقده مما أوجب الامتياز؛ وحينئذٍ فإمّا أن يعلو بعضهم على بعض فالعالي هو الإله أو يذهب كلُّ إله بما خلق ويبق على الضعف والمحدودية . فالقاهر عليها الجاعل إيّاها كذلك هو الإله، فالحق أنّه لا إله إلاّ اللّهُ الواحد والقهّار .

والقدرة والعلم والإرادة والتعدّد حسب المتعلّق المراد والمعلوم وهكذا ، أو الفعلية من الخلقة والربوبية وغيرها نشير إليها في فصول ، هي :

الفصل الأول :

في علمه تعالىٰ

وأنّ الله لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وآياتُ الفصل على أنواع ، هي :

النوع الاول ـ قال تعالىٰ:

١ ـ ﴿ أنّ اللّٰه لايخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾.

(آل عمران [٣] الآية ٥)

٢ ـ ﴿ وماتكون في شأن وما تتلو من قرآن ولاتعملون من عمل إلّا كنّا عليكم شهوداً اذ تُفيضون فيه ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتاب مبين ﴾. (يونس [١٠] الآية ٦١)

٣ ـ ﴿ إنّما إلٰهكم اللّٰه لا إلٰه إلّا هو وسع كلّ شيء علماً ﴾. (طه [٢٠] الآية ٩٨)

٤ ـ ﴿ ألمْ تعلمْ أنّ اللّٰه يعلم ما في السماء والأرض إنّ ذلك في كتاب انّ ذلك علىٰ اللّٰه يسير ﴾. (الحج [٢٢] الآية ٧٠)

٥ ـ ﴿ عالِمُ الغيبِ والشهادة فتعالىٰ عمّا يشركون ﴾. (المؤمنون [٢٣] الآية ٩٢)

٦ ـ ﴿قل أنزله الذي يعلم السّرَّ في السمٰوات والأرض...﴾. (الفرقان [٢٥] الآية ٦)

٧ ـ ﴿ قل كفىٰ باللّٰه بيني وبينكم شهيداً يعلم مافي السموات والأرض...﴾. (العنكبوت [٢٩] الآية ٥٢)

٨ ـ ﴿ يعلم مايَلِجُ في الأرض وما يخرجُ منها وما ينزِل من السماء وما يعرجُ فيها...﴾[١]. (سبا [٣٤] الآية ٢)

٩ ـ ﴿... عالِمُ الغيبِ لايعزبُ عنهُ مِثقال ذَرّةٍ في السمٰوات ولا في الأرض ولا أصغر[٢] منْ ذلك ولا أكبر إلّا في كتاب مبين ﴾. (سبا [٣٤] الآية ٣)

١٠ ـ ﴿ إنّ اللّهَ عالِمُ غيْب السّمٰوات والأرض إنّه عليمٌ بذات الصدور ﴾.

(فاطر [٣٥] الآية ٣٨)

١١ ـ ﴿ قل أتعلِّمون اللّه بدينكم واللّه يعلم مافي السمٰوات وما في الأرض واللّهُ بكلِّ شيءٍ عليم ﴾. (الحجرات [٤٩] الآية ١٦)

١٢ ـ ﴿إنّ اللّه يعلم غيْبَ السمٰوات والأرض واللّه بصير بما تعملون ﴾.

(الحجرات [٤٩] الآية ١٨)

١٣ ـ ﴿ ألم تر أنّ اللّه يعلَمُ ما في السمٰوات ومافي الأرض ما يكون من نجوىٰ ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنىٰ من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا ثم ينبّئهم بما عملوا يوم القيامة إنّ بكل شيءٍ عليم ﴾.

(المجادلة [٥] الآية ٧)

١٤ ـ ﴿ يعلم مافي السمٰوات والأرض ويعلمُ ما تُسِرّون وما تُعلِنون واللّهُ عليمٌ بذات الصدور ﴾. (التغابن [٦٤] الآية ٤)

١٥ ـ ﴿ عالمُ الغيبِ والشهادة العزيزُ الحكيم ﴾. (التغابن [٦٤] الآية ١٨)

والتوصيف بأنه تعالىٰ عالم الغيب والشهادة تراه في كثير من الآيات الكريمة التي لايسع المجال لذكرها.

---

١ ـ ويعين ذلك آخر آية ٤ من سورة الحديد [٥٧].

٢ ـ الأصغر من ذرة لعلّه الالكترونات والبرتونات والنترونات التي تتركب منها الذرة (Autom) والأكبر منها الجزيئات المركبة منها.

١٦ ـ ﴿ ... وأنّ اللّهَ قد أحاط بكلِّ شيءٍ علما ﴾. (الطلاق [٦٥] الآية ١٢)

وفي نهاية كثير من الآيات يَرِدُ قولهُ تعالىٰ :﴿ إنّ اللّه بكلِّ شيء عليم ﴾ كما في آخر آية ٧٥ من سورة الانفال والآية ١١٥ من سورة التوبة وغيرها.

وهذا النوع ـكما ترى ـ بصدد بيان شمول علمه تعالىٰ كلّ شيء في السمٰوات أو في الأرض من عالم الغيب أو عالم الشهادة المستور أو المكشوف ولا يعزب عن علمه مثقال ذرّة ولا يخفىٰ عليه شيء ولو كان أصغر منها .

النوع الثاني ـ قال تعالى :

١ ـ ﴿... واعلموا أنّ اللّه يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أنّ اللّه غفورٌ حليم ﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٣٥)

٢ ـ ﴿ أو لايعلمون أنّ اللّه يعلم مايسرّون ومايُعلِنون ﴾. (البقرة[٢] الآية ٧٧)

٣ ـ ﴿ قل إنْ تُخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يَعلَمْه اللّه ويعلم ما في السمٰوات وما في الأرض واللّه على كل شيء قدير ﴾. (آل عمران [٣] الآية ٢٩)

٤ ـ ﴿ ...إنّ اللّه عليمٌ بذات الصدور ﴾. (آل عمران[٣] الآية ١١٩)

٥ ـ ﴿ ... واللّه عليم بذات الصدور ﴾.(آل عمران [٣] الآية ١٥٤) وآخر الآية ٤ من سورة التغابن [٦٤] (وآخر الآية ٣٨ من فاطر [٣٥]كما عرفت) .

٦ ـ ﴿ ما علىٰ الرسول إلّا البلاغ واللّه يعلم ماتبدون وما تكتمون ﴾.

(المائدة[٥] الآية ٩٩)

٧ ـ ﴿ وهو اللّه في السمٰوات والأرض يعلم سرّكم وجهركم ويعلم ماتكسبون﴾. (الانعام [٦] الآية ٣)

٨ ـ ﴿... إنه عليم لسميعٌ عليم ﴾. (الأنفال [٨] الآية ٤٢)

٩ ـ ﴿ لا جَرمَ أنّ الله يعلمُ ما يسِرّون وما يُعلنون إنّه لايحبّ المستكبرين ﴾.

(النحل [١٦] الآية ٢٣)

١٠ ـ ﴿ وإنْ تجهرْ بالقول فإنّه يعلم السرّ وأخفىٰ ﴾. (طه [٢٠] الآية ٧)

١١ ـ ﴿ .... ويعلمُ ماتُخفون وماتُعلنون ﴾ (النحل [٢٧] الآية ٢٥)

١٢ ـ ﴿ وإنّ ربك ليعلمُ ماتُكِنُّ صُدورهُم ومايُعلِنون ﴾. (النمل[٢٧] الآية ٧٤)

١٣ ـ ﴿ وربّك يعلمُ ماتُكِنُّ صدورُهم وما يُعلنون ﴾. (القصص [٢٨] الآية ٦٩)

١٤ ـ ﴿ يعلم خائنةَ الأعين وما تُخفي الصدور ﴾. (المؤمن [٤٠] الآية ١٩)

١٥ ـ ﴿ ولقدْ خلقْنا الانسانَ ونعلمُ ماتُوسْوِسُ به نفسهُ ونحنُ أقربُ اليه من حبل الوريد ﴾. (ق [٥٠]الآية١٦)

١٦ ـ ﴿ .... وأنَا أعلمُ بما أخفيتم وما أعلنتم ﴾. (الممتحنة [٦٠] الآية ١)

١٧ ـ ﴿ وأسِرّوا قولكم أو آجهروا إنّه عليمٌ بذات الصدور* ألا يعلمُ مَـنْ خَلَقَ وهو اللطيفُ الخبير ﴾. (الملك [٦٧] الآية ١٣ ـ ١٤)

وهذا النوع ـكما ترى ـ بصدد بيان نفوذ علمه تعالىٰ المكنون في نفوس الناس وأنه لا يخفىٰ عليه مايُسرّون وينوونه تحت الاستار ، بل وأخفىٰ ، مماً لايـظهرونه بوجه، ويتستّرون عليه في نفوسهم ، فكيف بما يُعلنون ويـعملونه جـهارا ؟ وأنّـه لايمكن اختفاء شيء عنه تعالىٰ منكم وممّا في نفوسكم.. ألاّ يعلم مَنْ خلقَ مخلوقه ومن أعطىٰ وأفاض عنايته وفيْضَه وهو اللطيف النافذُ بلطفه أنحاء الوجود والحياة من غير اختلاط ، الخير والعليم بكل شيء من غير انتزاع نقش وصورة ، وعلمهُ تعالىٰ حضوري، لديه نفس المعلوم، لا حصولي ليلزم المحاذير من تغيّر وتحوّل فيه بصور ونقوش، وليس هذا افهام الكلام فيه .

النوع الثالث ـ قال تعالىٰ:

١ ـ ﴿ ....والله بما تعملون خبير ﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٣٤)

٢ ـ ﴿ ....إنّ الله بما تعملون بصير ﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٣٧)

٣ ـ ﴿ لن تنالوا البرَّ حتىٰ تُنفقوا مما تُحبّون وما تنفقوا من شيءٍ فإن الله به

عليم ﴾. (آل عمران [٣] الآية ٩٢)

٤ - ﴿ .... وما الله بغافل عمّا تعملون ﴾. (آل عمران [٣] الآية ٩٩)

٥ - ﴿ .... والله خبير بما تعملون ﴾ . (آل عمران [٢] الآية ١٥٣)

٦ - ﴿... والله بما تعملون خبير ﴾ . (آل عمران [٢] الآية ١٨٠)

٧ - ﴿... وكان اللّهُ عليماً حكيماً ﴾ . (النساء [٤] الآية ١٠٤)

٨ - ﴿ ...وكان الله بما يعملون محيطاً ﴾. (النساء [٤] الآية ١٠٨)

٩ - ﴿وهو الذي يتوفّاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار...﴾. (الانعام [٦] الآية ٦٠)

١٠ - ﴿ ولكلٍ درجات ممّا عملوا وماربك بغافل عما يعملون ﴾.

(الانعام [٦] الآية ١٣٢)

١١ - ﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلّا كنّا عليكم شهوداً إذ تُفيضون فيه ومايَعزُبُ عن ربّك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولاأكبر إلّا في كتاب مبين ﴾[1]. (يونس [١٠] الآية ٦١)

١٢ - ﴿... يعلم مايسّرون ومايُعلنون إنّه عليمٌ بذات الصدور* وما من دابّة في الأرض إلّا علىٰ الله رزقُها ويعلمُ مستقرّها ومستودعها كلّ في كتاب مبين﴾.

(هود [١١] الآية ٥ - ٦)

١٣ - ﴿ الله يعلم ماتحمل كلُّ أنثىٰ وما تغيض الأرحام وماتزداد وكلُّ شيءٍ عنده بمقدار* عالمُ الغيب والشهادة الكبير المتعال* سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مُستَخفٍ بالليل وساربٌ بالنهار ﴾. (الرعد [١٣] الآية ٨ - ١٠)

١٤ - ﴿ يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولا يُحيطون به علما﴾. (طه [٢] الآية ١١٠)

١٥ - ﴿ قال ربي يعلمُ القولَ في السماء والأرض وهو السميع العليم ﴾.

---

١ - وانا ذكرناه في هذا النوع أيضاً بعدما جعلناه من آيات النوع الأول بلحاظ صدرها الناظر الى شمول علمه تعالىٰ للجزئيات أيضاً كما سيأتي في الكلام فيه ان شاء الله.

(الانبياء [٢١] الآية ٢٨)

١٦ ـ ﴿يعلم مابين أيديهم وما خلفهم وإلىٰ تُرجع الأمور﴾. (الحج [٢٢] الآية ٧٦)

١٧ ـ ﴿ ألا إنّ للّه ما في السمٰوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا واللّه بكل شيء عليم ﴾. (النور [٢٤] الآية ٦٤)

١٨ ـ ﴿ إنّ اللّه يعلم مايدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم ﴾.

(العنكبوت [٢٩] الآية ٤٢)

١٩ ـ ﴿ .... والله يعلم ما تصنعون﴾. (العنكبوت [٢٩] الآية ٤٥)

٢٠ ـ ﴿ ... واللّه بما تعملون خبير ﴾. (الحديد [٥٧] الآية ١٠)

٢١ ـ ﴿ .... واللّه علىٰ كل شيء شهيد ﴾. (المجادلة [٥٨] الآية ٦)

٢٢ ـ ﴿ قد سمع اللّه قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى اللّه واللّه يسمع تحاوركما إنّ الله سميعٌ بصير ﴾. (المجادلة [٥٨] الآية ١)

٢٣ ـ ﴿ إنَّ ربك يعلم أنك تقوم أدنىٰ من ثُلثَي الليل ونصفه وثُلثه... ﴾.

(المزمل [٧٣] الآية ٢٠)

أضف إلى هذا النوع الآيات التي تتناول شهادة الله تعالىٰ وأنّه على كل شيء شهيد ، وهي كثيرة .

مدار آيات هذا النوع هو بيان شمول علمه تعالىٰ للجزئيات من أقوال الانسان وأفعاله ـ سواء كان مستخفياً بالليل أو سارباً بالنهار ـ وكذلك تصرّفاته التي يحيط بها من صنائعه وما يترتب عليها ـ قهراً ـ من بين يديه ومن خلفه ، وحتىٰ ما تحمل كلّ أنثىٰ (ولعلّه يعمّ الانسان) زماناً ومكاناً وكيفيةً ـ ذكراً وأنثىٰ ، وما تغيضه وتبلعه فتفسده الأرحام، كذلك وما تقبله وتربيه وتزداد في مراحل تكامل الجنين حسب القواعد والنواميس الالهية ؛ وكلُّ شيء عنده بمقدار ، وهو تعالىٰ شهيد على كلّ ذلك، يعلمه ويراه وهو الذي لاتدركه الأبصار ، فكيف الكلّيات الثابتات من تلك

القواعد والمقادير .

ولاينافي تغير الجزئيات وعدم ثباتها المقام ، فإنّ علمه تعالىٰ بكلّ معلوم حضوري بنحو أبسط من غير حدود ، وكلّ مرتبة من الوجود محاطة ومتقومة بأصل الوجود القائم بنفسه ، الواجد لكل كمال ، بل نفس كل كمال، الحيّ القيوم، فلا يمكن أن يعزب عن علمه مثقال ذرّة أو يغيب عن محضره شيء أصلاً، كما فُصّل في محله .

النوع الرابع ـ قال تعالىٰ:

١ ـ ﴿ ... يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولايُحيطون بشيء من علمه إلّا بما شاء وسع كرسيُّه السّمٰواتِ والأرض... ﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٥٥)

٢ ـ ﴿ وعنده مفاتِحُ الغيب لايعلمُها إلّا هو ويعلم ما في البرّ والبحر وماتسقط من ورقة إلّا يعلمها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾. (الانعام [٦] الآية ٥٩)

٣ ـ ﴿ ويقولون لولا أُنزل عليه آيةٌ من ربه فقل إنّما الغيب للّه فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين ﴾ . (يونس [١٠] الآية ٢٠)

٤ ـ ﴿ وللّه غيب السمٰوات والأرض واليه يُرجع الأمر كله فاعبده وتوكّل عليه وما ربّك بغافل عمّا تعملون ﴾ . (هود [١١] الآية ١٢٣)

٥ ـ ﴿ وللّه غيب السمٰوات والأرض وماأمرُ السّاعة إلّا كلمح البصر أو هو أقرب إنّ اللّه علىٰ كل شيء قدير ﴾ . (النحل [١٦] الآية ٧٧)

٦ ـ ﴿قل اللّهُ أعلم بما لبثوا له غيبُ السمٰوات والأرض ﴾. (الكهف [١٨] الآية ٢٦)

﴿ قل لايعلم من في السمٰوات والأرض الغيب إلّا اللّهُ وما يشعرون أيان يُبعثون ﴾. (النحل [٢٧] الآية ٦٥)

٧ ـ ﴿ انّ اللّه عنده علم السّاعة وينزّل الغيث ويعلم ما في الأرحام وماتدري نفسٌ ماذا تكسب غداً وماتدري نفسٌ بأيّ أرضٍ تموت إنّ اللّه عليمٌ خبير﴾.

(لقمان [٣١] الآية ٣٤)

٨ ـ ﴿ اليه يُردُّ علمُ السّاعة وما تخرج من ثمراتٍ من أكمامها وما تحمل من أنثىٰ ولا تضع إلّا بعلمه... ﴾. (فصلت [٤١] الآية ٤٧)

٩ ـ ﴿ عالم الغيب فلا يظهر علىٰ غيبه أحداً* إلّا مَن ارتضىٰ من رسول فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ﴾. (الجن [٧٢] الآية ٢٦ و ٢٧)

مركز ثقل آيات هذا النوع ومدارها هو توضيح اختصاص علم الغيب بالله تعالىٰ وأنه سبحانه يعلم كلّ ما هو غائب غير مرئي وكل مستتر غير مكشوف سواء كان بحسب الزمان مما لم يأت أو مضى وقته ، ﴿ ماخلقكم ولا بعثكم إلّا كنفس واحدة إنّ اللّه سميع بصير ﴾ (لقمان [٣١] الآية ٢٨)، أو كان مغيَّباً عن أعين الناس مما بعد عنها مما في السموات والأرض ، أو في انفسهم ، فإنّه تعالىٰ عالم الغيب والشهادة، ﴿وما من غائبةٍ في السماء والأرض إلّا في كتاب مبين﴾ (النمل [٢٧] الآية ٧٥)، والناس لايحيطون بشيء من علمه ولايمكن لهم نيل المعلوم بحده وكما هو .

ثم تشير بعضها الىٰ مصاديق خاصة هي من أخفى الخفيات ، ليكون شمول علمه تعالىٰ لها ، واختصاص الغيب به أبين ، مثل أمر الساعة والقيامة ، وما في الأرحام وما تكسب نفس غداً ، وأنها بأيّ أرض تموت ، وما تخرج من ثمرات من أكمامها وغيرها مما لايتمكن الانسان من العلم به والاحاطة به بما هو، وإن علم فهو بشي يسير منها، وما أوتيتم من العلم إلّا قليلا . كما تشير الآيات الكريمة الى الفرق الجوهري الحقيقي بين علم الله تعالىٰ بكل شيء وما أُوتي الانسان من علم قليل، بعد ذاتية الاول وغيرية الثاني، فان نفس المعلوم هو حاضر لدى الباري تعالى وغير غائب عنه ، فهو الذي لايعزب عن علمه مثقال ذرّة ، وما للانسان فهو نقش وصورة، وهو المعلوم له أولاً وبالذات دون المعلوم من غير احاطة، وهذا ما عبّرت عنه الآية الكريمة: ﴿ لايحيطون بشيء من علمه ﴾ وقوله تعالىٰ : ﴿ ماأوتيتم من العلم إلّا

قليلا. ﴾ ، فان المؤتىٰ صورة كما عرفت من دون احاطة ونيل بصاحبها أصلا، وتمام الكلام في محله .

ثم إنّ الآيات الكريمة قد صرّحت بأمر آخر وهو إمكان وجود علم الغيب لغير الله تعالىٰ مع اختصاصه باعطائه له وعنايته اليه بما شاء ولمن شاء وارتضىٰ من رسول. فالرسول (ﷺ) ومن يحذو حذوه يعلم الغيب بأمر من الله تعالىٰ وبما شاء الله وأعطاه لابنفسه ، وهذا يعني المستثنون من بين الناس ، بقوله تعالىٰ :﴿إلاّ بما شاء﴾ و ﴿ إلّا من ارتضىٰ من رسول ﴾.

الفصل الثاني :

في قدرته تعالىٰ

وأنه علىٰ كل شيء قدير وأنه يفعل مايشاء ولايفعل مايشاء غيره ، ومن المعلوم أنّه لايصح توصيف غير اللّه تعالىٰ بالقدرة على الاطلاق. فإنّه تعالىٰ هو الذي تكون السمٰوات مطويات بيمينه والأرض جميعاً قبضته[١] وغيره لايقدر علىٰ شيء إلّا بقدرته حيث هو ممكن محدود مهما اُوتي من قوة، والظاهر أنها وصف ثبوتي له تعالىٰ وعين ذاته من غير رجوع الى نفي العجز ليكون سلبياً كما عن المفردات، ولو كان ذلك من جهة ملازمة توصيف التعدّد لكان عليه إرجاع العلم أيضاً الى عدم الجهل والتعدّد من ناحية المقدور والمعلوم والمراد، لا في مرتبة الذات كما ذكرناه من قبل .

---

١ ـ مقتبس من قوله تعالى: ﴿... والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه..﴾ «الزمر[٣٩] الآية ٦٧».

وكيف كان فآيات الفصل قسمان :

القسم الاول ماتعطي اطلاق قدرته تعالىٰ وشموله كل شيء:

١ ـ ﴿ ماننسخ من آية أوننسها نأتِ بخير منها أو مثلها ألم تعلم أنّ الله علىٰ كل شيء قدير ﴾ . (البقرة [٢] الآية ١٠٦)

٢ و ٣ ـ ﴿ ... إنّ الله على شيء قدير ﴾ . (البقرة [٢] الآية ٢٠ و ١٤٨)

٤ ـ ﴿ ... ولكن الله يفعل مايُريد ﴾ . (البقرة [٢] الآية ٢٥٣)

٥ ـ ﴿ .... والله علىٰ كل شيء قدير ﴾. (البقرة[٢]الآية ٢٨٤)و(الانفال[٨]الآية ٤١)

٦ ـ ﴿ .... كذلك الله يفعل مايشاء ﴾ . (آل عمران [٣] الآية ٤٠)

٧ ـ ﴿ .... فهو علىٰ كل شيء قدير ﴾ . (الانعام [٦] الآية ١٧)

٨ ـ ﴿ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾ . (الانعام [٦] الآية ١٨)

٩ ـ ﴿ وهو القاهر فوق عباده ويُرسل عليكم حفظة ... ﴾ . (الانعام [٦] الآية ٦١)

١٠ ـ ﴿...فأخذهم الله بذنوبهم إنّ الله قويّ شديد العقاب﴾. (الانفال[٨]الآية ٥٢)

١١ ـ ﴿ .... ويفعل الله مايشاء ﴾. (ابراهيم [١٤] الآية ٢٧)

١٢ ـ ﴿إنّما قولنا لشيء اذا أردنا أن نقول له كن فيكون﴾. (النحل[١٦]الآية ٤٠)

١٣ ـ ﴿ انّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾. (يس [٣٦] الآية ٨٢)

١٤ ـ ﴿ .... وكان الله علىٰ كل شيء مقتدراً ﴾ . (الكهف [١٨] الآية ٤٥)

١٥ ـ ﴿ لايُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون ﴾ . (الانبياء [٢١] الآية ٢٣)

١٦ ـ ﴿ .... إنّ الله يفعل مايريد ﴾ . (الحج [٢٢] الآية ١٤)

١٧ ـ ﴿ .... إنّ الله يفعل مايشاء ﴾. (الحج [٢٢] الآية ١٨)

١٨ ـ ﴿ كذّبوا بآياتنا فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ﴾ . (القمر [٥٤] الآية ٤٢)

١٩ ـ ﴿ إنّ المتقين في جنّات ونهر * في مقعد صدْقٍ عند مليك مقتدر ﴾.

(القمر [٥٤] الآية ٥٤ ـ ٥٥)

القسم الثاني : الآيات التي تعطي نفوذ قدرته تعالىٰ في أشياء خاصّة بفهم

عظمها وخطرها لاسيما الأمور التي لايقدر عليها الغير حتىٰ بالغير. قال تعالىٰ:

١ ـ ﴿ وقالوا لولا نزِّل عليه آيةٌ من ربّه قل إنّ اللّه قادر علىٰ أن ينزِّل آيةً ولكنّ أكثرهم لايعلمون ﴾ . (الانعام [٦] الآية ٣٧)

٢ ـ ﴿ والذين كذّبوا بآياتنا صمٌّ وبكمٌ في الظلمات من يشأِ اللّهُ يُضللْهُ ومن يَشأ يجعلْه على صراط مستقيم ﴾ . (الانعام [٦] الآية ٣٩)

٣ ـ ﴿ قل هو القادر علىٰ أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويُذيق بعضكم بأس بعض... ﴾ . (الانعام [٦] الآية ٦٥)

٤ ـ ﴿ إنّي توكّلت علىٰ اللّه ربّي وربّكم ما من دابّة إلّا هو آخذ بناصيتها إنّ ربّي علىٰ صراط مستقيم ﴾ . (هود [١١] الآية ٥٦)

٥ ـ ﴿ .... وإذا أراد اللّه بقوم سوءً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال* هو الذي يريكم البَرق خوفاً وطمعاً وينشيء السحاب الثقال* ويسبّح الرعدُ بحمده والملائكة من خيفته ويُرسل الصواعق فيُصيب بها من يشاء وهم يُجادلون في اللّه وهو شديد المحال ﴾ . (الرعد [١٣] الآية ١١ ـ ١٣)

٦ ـ ﴿ ... ان الله الذي خلق السماوات والأرض قادر علىٰ أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلاً لاريب فيه فأبىٰ الظالمون إلّا كفوراً ﴾. (الشورىٰ [١٧] الآية ٩٩)

٧ ـ ﴿ وأنزلنا من السماءِ ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنّا علىٰ ذهاب به لقادرون ﴾ . (المؤمنون [٢٣] الآية ١٨)

٨ ـ ﴿ وإنّا علىٰ أن نُريك ما نعدُهم لقادرون ﴾ . (المؤمنون [٢٣] الآية ٩٥)

٩ ـ ﴿ أوليس الذي خلق السمٰوات والأرض بقادر علىٰ أن يخلق مثلهم بلىٰ وهو الخلّاق العليم ﴾ . (يس [٣٦] الآية ٨١)

١٠ ـ ﴿ أوَ لَمْ يَروْا أنّ اللّه الذي خلق السمٰوات والأرض ولم يَعْيَ بخلقهنّ بقادر علىٰ أن يُحييَ الموتىٰ بلىٰ إنّه علىٰ كل شيء قدير ﴾ . (الاحقاف [٤٦] الآية ٣٣)

١١ ـ ﴿ فلا أُقسم بربِّ المشارق والمغارب إنّا لقادرون* علىٰ أن نُبدّل خيراً منهم ومانحن بمسبوقين ﴾ . (المعارج[٧٠]الآية ٤٠)

١٢ ـ ﴿ كلاّ إنّه تذكرة* فمن شاء ذكره* ومايذكرون إلا أن يشاء اللّه... ﴾.

(المدثر[٧٤]الآية ٥٦)

١٣ ـ ﴿ بلىٰ قادرين علىٰ أن نسويَ بنانه ﴾ . (القيامة[٧٥]الآية ٤)

١٤ ـ ﴿ أليس ذلك بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ ﴾ . (القيامة [٧٥]الآية ٤٠)

١٥ ـ ﴿ .... إنّه علىٰ رجعه لقادر ﴾ . (الطارق [٨٦]الآية ٨)

وانت ترى من ظواهر الآيات بقسميها أنّ قدرته تعالىٰ ومشيته وإرادته سارية علىٰ كل شيء وكل أمر وكل مقدور ومراد ، ولايمكن أن يعزب عنها مثقال ذرّة من شيء ، فإنّ كل ممكن فقير في وجوده وحياته وإرادته ، وكلُّ شأن منه ينتهي الى الغني العزيز الحكيم ، وهو تعالىٰ بغناه المطلق يفعل مايشاء ويحكم مايريد ولا يُسأل عماّ يفعل ؛ فكما يقدر تعالىٰ على خلق السمٰوات والأرض وإنشاء السحاب الثقال الراعدة وارسال الصواعق ليصيب بها من يشاء، وعلىٰ إنزال الماء منها بقدر واسكانه في الأرض بقدر أيضاً واحيائها بقدر ، كذلك فانه تعالىٰ يقدر على نفي كل منها بطيّ السمٰوات والأرض وذهاب كل من السحاب والماء وغيرها . وكما أنه سبحانه يقدر على خلق الانسان واعطائه النعم والخيرات وهناءة المعيشية وكرامتها ، كذلك يقدر على أن يبعث عليهم عذاباً من فوقهم ومن تحت أرجلهم بما يستحقونه وبما كسبته أيديهم بأن يجعلهم شيعاً يتفرقون ويتضاربون بينهم ويتحاربون ، فيذيق بعضهم بأس بعض فيسلخ عنهم صفاء المعيشة وكرامتها. وكما يقدر هو سبحانه على خلقهم ـ بوجه عرفته ـ فهو يقدر علىٰ ارجاعهم بعد الموت واحياء الموتىٰ، بل هو قادر على أن يسويَ بنانة كلّ واحد منهم بخطوطها الكثيرة المغايرة لغيرها التي لايشابه فيها احداً، وكما أنّه تعالىٰ يقدر على إرشاد الناس وتذكيرهم وهدايتهم وجعْلهم على

صراط مستقيم باعطائهم العقل وارسال الرسل اليهم وانزال الكتب وغيرها، فهو بقدر كذلك على اضلالهم وتركهم صمّاً وبكماً في الظلمات لايرون شيئاً وذلك باستحقاقهم بما كسبت أيديهم ، فهو على كل شيء قدير .

ولايتوّهم من ذلكَ الجبرُ حتىٰ في الأعمال الاختيارية للإنسان، فإنه تعالىٰ قد خلق الانسان حرّاً مختاراً في الجملة حتىٰ يتمكن من الوصول الىٰ أعلىٰ علّيين والظهور في اعلىٰ مراحل الكمال. ثم إنّ ارشاد الانسان وتأييده بإلهام النفس وإعلام الفطرة ، وتقويته ببرهان العقل وتحصينه بمسألة النبوة والكتاب ، الملازم وجوداً لعصيان كثير من بني الانسان وضلالتهم باتباعهم الهوىٰ واتخاذه الهاً، وخسرانهم بظلمهم هذا أنفسهم. وكلا الطرفين في مجموع النظام والانتفاع من الخلقة ونواميسها ـ لايكون بمعنىٰ اجبارهم في كل واحد منها. وعلى الاجمال ـ وليس هنا مقام التفصيل ـ : ان المعلول كما يصحّ انتسابه الىٰ آخر جزء من العلّة المركبة ، يصحّ انتسابه الى المبدأ الأول، وحيث أنّ الاختيار واقع في الطريق جنب مسألة الارشاد والهداية التشريعية، فما وقع تكويناً منه علىٰ سبيل الخير والحق فالأنسب انتسابه اليه تعالىٰ الخالق الباريء الهادي، وما وقع بسوء الاختيار انحرافاً عن السبيل وضلالة عنه، فالأنسب انتسابه الى نفس الإنسان المختارة التي اختار بها العمىٰ الى البصيرة، والضلالة على الهدىٰ؛ والكلّ في نظام الكون غير خارج عنه وعن قوانينه أو نواميسه، قال تعالىٰ : ﴿ .... وإنْ تُصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإنْ تُصبْهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كلٌ من عند الله ... ماأصابك من حسنةٍ فمن الله وماأصابك من سيئةٍ فمن نفسك... ﴾ (النساء [٤] الآية ٧٨ـ٧٩) والتفصيل راجع الى محله.

ومن هذه القدرة ـ بالمعنىٰ الذي عرفت ـ مالكيّته تعالىٰ ملكاً حقيقياً لكلّ شيءٍ ولكل أمر ، فإن المقدور مملوك للقادر وفي يده ، كما ترىٰ في الفصل الآتي ان شاء الله .

الفصل الثالث:

في مالكية الله تعالىٰ

انّ له تعالىٰ ما في السمٰوات وما في الأرض وجوداً وبقاءً، ملكيةً ليس المملوك إلا نفس الملكية والتعلّق والربط، ملكاً عينياً لا اعتبارياً جعلياً، فهو تعالىٰ مالك الملك يعطي الملك من يشاء ويصرفه عمن يشاء، وآيات الفصل أيضاً قسمان؛

الأول: ما يبيّن مالكيته المطلقة، مطلقاً. قال تعالى:

١ ـ ﴿ مالك يوم الدين ﴾. (الفاتحة الآية ٤)

٢ ـ ﴿ ألم تعلمْ أنّ الله له مُلك السمٰوات والأرض ومالكم من دون الله من وليّ ولانصير ﴾. (البقرة[٢]الآية ١٠٧)

٣ ـ ﴿لله مافي السمٰوات وما في الأرض وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبْكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء والله علىٰ كل شيء قدير﴾.

(البقرة [٢]الآية ٢٨٤)

٤ ـ ﴿ ولله ما في السمٰوات وما في الأرض والىٰ الله تُرجع الامور ﴾.

(آل عمران [٣]الآية ١٠٩)

٥ ـ ﴿ولله مافي السمٰوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء..﴾. (آل عمران [٣]الآية ١٢٩)

٦ ـ ﴿ .... قل إنّ الأمر كلّه لله ﴾ . (آل عمران [٣]الآية ١٥٤)

٧ ـ ﴿ ولله ملك السمٰوات والأرض والله علىٰ كل شيء قدير ﴾.

(آل عمران [٣]الآية ١٨٩)

٨ ـ ﴿ولله مافي السمٰوات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطاً﴾.

(النساء [٤]الآية ١٢٦)

٩ ـ ﴿... فإنّ للّه مافي السمٰوات ومافي الأرض وكان اللّه غنياً حميداً﴾.

(النساء [٤] الآية ١٣١)

١٠ ـ ﴿ولله مافي السمٰوات ومافي الأرض وكفىٰ بالله وكيلاً﴾. (النساء[٤] الآية ١٣٢)

١١ ـ ﴿... فانّ لله مافي السمٰوات والأرض وكان اللّه عليماً حكيماً﴾.

(النساء [٤] الآية ١٧٠)

١٢ ـ ﴿... وللّه مُلك السمٰوات والأرض وما بينهما يخلق مايشاء...﴾.

(المائدة [٥] الآية ١٧)

١٣ ـ ﴿... وللّه ملك السمٰوات والأرض وما بينهما واليه المصير﴾.

(المائدة [٥] الآية ١٨)

١٤ ـ ﴿ للّه ملك السمٰوات والأرض وما فيهنّ وهو علىٰ كل شيء قدير﴾.

(المائدة[٥] الآية ١٢٠)

١٥ ـ ﴿... ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين﴾. (الاعراف[٧] الآية ٥٤)

١٦ ـ ﴿إنّ اللّه له ملك السمٰوات والأرض يحيي ويميت ومالكم من دون الله من ولي ولانصير﴾. (التوبة[٩] الآية ١١٦)

١٧ ـ ﴿ ألا إنّ للّه من في السمٰوات ومن في الأرض ... ﴾. (يونس[١٠] الآية ٦٦)

١٨ ـ ﴿ اللّه الذي له ما في السمٰوات ومافي الأرض ... ﴾. (ابراهيم[١٤] الآية ٢)

١٩ ـ ﴿ولله يسجد مافي السمٰوات وما في الأرض من دابّة والملائكة...﴾.

(النحل[١٦] الآية ٤٩)

٢٠ ـ ﴿ له مافي السمٰوات ومافي الأرض ومابينهما وماتحت الثرىٰ ﴾.

(طه [٢٠] الآية ٦)

٢١ ـ ﴿وله من في السمٰوات والأرض ومن عنده لايستكبرون عن عبادته..﴾.

(الأنبياء[٢١] الآية ١٩).

٢٢ ـ ﴿له ما في السمٰوات ومافي الأرض وان الله لهو الغني الحميد﴾.
(الحج [٢٢] الآية ٦٤)

٢٣ ـ ﴿ولله ملك السمٰوات والأرض والىٰ الله المصير﴾. (النور[٢٤] الآية ٤٢)

٢٤ ـ ﴿ ألا إنّ لله مافي السمٰوات والأرض .... ﴾ . (النور[٢٤] الآية ٦٤)

٢٥ ـ ﴿ الذي له ملك السمٰوات والأرض ولم يتّخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ... ﴾. (الفرقان[٢٥] الآية ٢)

٢٦ ـ ﴿وله من في السمٰوات والأرض كلٌ له قانتون ...﴾. (الروم[٣٠] الآية ٢٦)

٢٧ ـ ﴿لله مافي السمٰوات والأرض إنّ الله هو الغنيّ الحميد﴾.
(لقمان[٣١] الآية ٢٦)

٢٨ ـ ﴿ قل من ذا الذي يعصمكم من الله أن أراد بكم سوءً أو أراد بكم رحمة ولايجدون لهم من دون الله ولياً ولانصيراً ﴾. (الاحزاب[٣٣] الآية ١٧)

٢٩ ـ ﴿الحمد لله الذي له مافي السمٰوات ومافي الأرض وله الحمد في الاخرة...﴾. (سباء[٣٤] الآية ١٧)

٣٠ ـ ﴿قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السمٰوات والأرض ثم اليه تُرجعون﴾.
(الزمر[٣٩] الآية ٤٤)

٣١ ـ ﴿له مقاليد السمٰوات والأرض والذين كفروا بآيات الله أُولئك هم الخاسرون ﴾. (الزمر[٣٩] الآية ٦٣)

٣٢ ـ ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسمٰوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالىٰ عمّا يشركون ﴾. (الزمر[٣٩] الآية ٦٧)

٣٣ ـ ﴿له مافي السمٰوات ومافي الأرض وهو العليّ العظيم﴾. (الشورىٰ[٤٢] الآية ٤)

﴿ صراط الله الذي له مافي السمٰوات ومافي الأرض ألا الى الله تصير الأمور ﴾. (الشورىٰ[٤٢] الآية ٥٣)

٣٤ ـ ﴿وتبارك الذي له ملك السمٰوات والأرض وما بينهما وعنده علم السٰاعة وإليه ترجعون ﴾ . (الزخرف[٤٣]الآية ٨٥)

٣٥ ـ ﴿ولله ملك السمٰوات والأرض ويوم تقوم السٰاعة يومئذٍ يخسر المبطلون ﴾. (الجاثية[٤٥]الآية ٢٧)

٣٦ ـ ﴿وله الكبرياءُ في السمٰوات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾.

(الجاثية[٤٥]الآية ٣٧)

٣٧ ـ ﴿..... ولله جنود السمٰوات والأرض وكان الله عليماً حكيماً﴾.

(الفتح[٤٨]الآية ٤)

٣٨ ـ ﴿ ولله جنود السمٰوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾.

(الفتح[٤٨]الآية ٧)

٣٩ ـ ﴿فلله الآخرة والأولىٰ * وكم من ملك في السمٰوات لاتُغني شفاعتهم شيئاً إلّا من بعد أنْ يأذن الله لمن يشاء ويرضىٰ﴾. (النجم[٥٣]الآية٢٥ـ٢٦)

٤٠ ـ ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام ﴾. (الرحمن[٥٥]الآية ٢٤)

٤١ ـ ﴿..... ولله خزائن السمٰوات والأرض ولكن المنافقين لايفقهون ﴾.

(المنافقون[٦٣]الآية ٧)

٤٢ ـ ﴿ الذي له ملك السمٰوات والأرض والله علىٰ كل شيء شهيد ﴾.

(البروج[٨٥]الآية ٩)

ومحصل هذه الايات الكريمة بلسانها المطلق هو أن الله تعالىٰ مالك السمٰوات وما فيها ومن فيها[1]، ومالك الأرض ومافيها ومن فيها وما تحت الثرىٰ، فله

١ ـ وهذه الآيات الكريمة تشير أيضاً إلى أن في السمٰوات خلقاً آخر من ذوي العقول ولعلّهم غير الملائكة؛ وقد صرحت بوجودهم آية سورةالنحل [١٦] الآية ٤٩، ويؤيد المحتمل قوله تعالى : ﴿وله من في السماوات﴾ وفي آية سورةالأنبياء [٢١] الآية ١٩).

خزائنها وأساسها ، ولايوجد شيء منها أو فيها إلا منْ عنده تعالىٰ وبإرادته وقدرته، وبيده مقاليدها التي تحيط بها أو مفاتيحها التي تفتح بها وتجري بها المجاري، فله جنود السماوات والأرض من كل عامل يعملها أو يعمل فيهما بأي نحو، وله الكبرياء والعظمة، وليس من دونه ولي أو نصير أو شفيع، وكل شيء له في الآخرة والأولىٰ، والأرض قبضته جميعاً، والسماوات مطوّيات بيمينه .

ومن المعلوم ان الملكية المطلقة الشاملة لكل شيء بحيث لايوجد شيء ليس مملوكاً له تعالىٰ ، لايعقل ان تكون اعتبارياً أو انتزاعياً تدور مدار اعتبار المعتبر أو المدرك المنتزع منه، بل إنّ الملكية الحقيقية العينية التي تكون بيد المالك وارادته هي أصل تحصل المملوك ووجوده، وتمام شؤونه ببسطهِ وقبضه، والىٰ اللّه المصير. وأين هذا من ذاك، كما هو ظاهر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

القسم الثاني : مايفيد أن ذلك المالك القادر القاهر بمقتضىٰ اطلاق ملكه وسعة إرادته وشمول قدرته يعطي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء. قال تعالىٰ:

١ ـ ﴿ .... واللّه يؤتي ملكه من يشاء واللّه واسع عليم ﴾. (البقرة[٢]الآية٢٤٧)

٢ ـ ﴿ قل اللّهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتُعزُّ من تشاء وتُذِلُّ من تشاء بيدك الخير إنك على كل شي قدير * تُولج الليل في النهار وتُولج النهار في الليل وتُخرج الحيّ من الميت وتُخرج الميت من الحيّ وترزق من تشاء بغير حساب ﴾ . (آل عمران[٣]الآية ٢٦ـ٢٧)

٣ ـ ﴿وإنْ يمسسْك اللّه بضرٍّ فلا كاشف له إلّا هو وإنْ يمسسْك بخيرٍ فهو علىٰ كل شيء قدير * وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾.

(الانعام[٦]الآية ١٧ ـ١٨)

٤ ـ ﴿ قل أرايتم إنْ أخذ اللّه سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم مَن إلَهٌ غير الله يأتيكم به ...﴾. (الانعام[٦]الآية ٤٦)

٥ ـ ﴿ للّه ملك السمٰوات والأرض يخلق مايشاء يهب لمن يشاءُ اناثاً ويهب لمن يشاءُ الذكورَ* أو يزوّجهم ذُكراناً واناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير﴾. (الشورىٰ [٤٢]الآية ٤٩ ـ ٥٠)

٦ ـ ﴿ وللّه ملك السمٰوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان اللّهُ غفوراً رحيماً ﴾ . (الفتح[٤٨]الآية ١٤)

٧ ـ ﴿ وللّه ملك السمٰوات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنىٰ ﴾ . (النجم[٥٣]الآية ٣١)

٨ ـ ﴿ إنَّ بطْشَ ربّك لشديد* إنّه هو يبدئ ويعيد ﴾. (البروج[٨٥]الآية ١٢ـ١٣)

ان الملكية التي يعطيها الله تعالى من يشاء من عباده لابد وأن تكون من سنخ ما كان له، من الحقيقية دون الاعتبارية المجعولة إلّا بما لها من التكوين ، أي القدرة الخلاقة الفعالة التي تمكّن العبد علىٰ شيء بالغير وتملكه بتمليك مالك الملوك إيّاه، فيقول : ﴿... إنّي أخلق لكم من الطين كهيئةالطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن اللّه وأُبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتىٰ بإذن اللّه وأُنبّئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم...﴾ (آل عمران[٣]الآية ٤٩) فانّ التصرف في عمق الخلقة بإعطاء الحياة وأخذها بالاشارة والارادة ، أو الاخبار عن الغير المستور عن غير المجاري الطبيعية لايمكن لانسان مخلوق مراد إلّا بالغير وبإذن اللّه تعالىٰ .

وهكذا بالنسبة الى مراتبها الخفيفة من الاقتدارات النفسانية التي يعطيها اللّه تعالىٰ عباده الصالحين المصطفين الاخيار، والمادية أيضاً في الدينا والولد إناثاً وذكوراً ، والعذاب أو الغفران في الآخرة .

وظاهر كلمة : (مَنْ) في الآيات الكريمة هو أنّ الذي يعطيه الله تعالى ملكه هو الانسان ذو العقل. وأكثر ماتصدق عليهم الكلمة : (من) هم ذوو العقول العالية والأنوار القاهرة والنفوس المتعالية لامطلق والجنود المأمورين الموجودين في السماوات والأرض، وان كان الأمر كذلك فمن باب أنّ اللّه تعالى هو الذي خلق كل شيء فهدى باعطائه الوجود وجعله في سبيل خيره وكماله، فيعمل ويتكامل في دائرة مضبوطة له. وهذه القدرة والعمل الدقيق تسلطٌ وملكٌ قد أفاضه اللّه تعالى بملكه وقدرته، لكنها غير مرادة من الآيات الكريمة المذكورة ظاهراً، وقد أُشير إليها في آيات القسم الأوّل كما عرفت .

وحاصل القسمين أن الانسان بعدما يرى بعين البصيرة العالم بأسره ـ من السماوات والأرض وما بينهما ومن فيهما ـ في قبضته وإرادته تعالى وملكوت قدرته، يؤمن ويعترف بأن مايجده في نفسه من قدرة وارداة واختيار وامكان التصرّف فيما يحيطه من الطبيعة واستخدامها في جهة مطلوبه وبإرادته هو أيضا من اللّه تعالىٰ ، أعطاه إيّاه سواء كان هداية وعلماً أو مالاً وولداً وهو يعطي من يشاء من عباده وينزع ممن يشاء .

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا ان هدانا اللّه، وإن يمسسْنا ضرٌّ فلا كاشف له إلّا هو وإن يمسسْنا خيرٌ فقد أعطاه الذي هو على كل شيء قدير. اللهم اهدنا لما تحب واغفر لنا ذنوبنا وقِنا عذابَ النار .

الفصل الرابع :

في خالقية الله تعالىٰ

ثم ان المالك الذي عرفت بمقتضى الملكية الحقيقية هو الخالق وكذلك هو الرب لكل مملوك ومخلوق ومربوب أي لايكون الخلق والايجاد إلّا بإرادته فان الخلق هو اعطاء الوجود وافاضته بعدما لم يكن، ومنه الاحياء بافاضته الحياة التي هي من أخفىٰ الأسرار وأعجب الآثار، وهذا غير التصرف في صورة الشيء والتغير فيه لصناعة ؛ والاوّل لايمكن إلّا لمن له الخلق والامر، وكذلك بقاء الوجود ونموّه بتحركه وتكامله على قدر معلوم لايمكن إلّا لمفيض الوجود ومعطيه، فالله تعالى المالك الحقيقي هو الخالق لكل شيء وهو ربّ العالمين. نذكر آيات البابين؛ والأوّل على أنواع :

الأول ـ ما يبيّن خلقه تعالىٰ كل شيء، قال تعالىٰ :

١ ـ ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾ . (الفرقان[٢٥]الآية ٢)

٢ ـ ﴿ اللّه خالق كل شيء وهو علىٰ كلّ شيء وكيل ﴾ . (الزمر[٣٩]الآية ٦٢)

٣ ـ ﴿إنّا كل شيء خلقناه بقدر* وما أمرنا الا واحدةٌ كلمح بالبصر﴾.

(القمر[٥٤]الآيتان ٤٩ ـ ٥٠)

٤ ـ ﴿ هو اللّه الخالق البارئُ المصوِّر له الأسماء الحسنىٰ... ﴾.

(الحشر[٥٩]الآية ٢٤)

وهذا القسم كما ترىٰ تعطي اطلاق خالقيته تعالى وشموله لكل شيء وأنه لايعزب عنه من خلقه شيء أيضاً وكذلك يعطي اطلاق تقديره لكل شيء ووكالته

على كل شيء .

الثاني ـ قال تعالىٰ :

١ ـ ﴿بديع السمٰوات والأرض واذا قضىٰ أمراً فإنّما يقول له كن فيكون﴾.

(البقرة[٢] الآية ١١٧)

٢ ـ ﴿الحمد للّه الذي خلق السمٰوات والأرض وجعل الظلمات والنور ...﴾.

(الانعام[٦] الآية ١)

٣ ـ ﴿ وهو الذي خلق السمٰوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون ... ﴾.

(الانعام[٦] الآية ٧٢)

٤ ـ ﴿ وهو الذي خلق السمٰوات والأرض في ستّة أيام ... ﴾. (هود[١١] الآية ٧)

٥ ـ ﴿ الذي خلق السمٰوات والأرض ومابينهما في ستّة أيام... ﴾.

(الفرقان[٢٥] الآية ٥٩)

٦ ـ ﴿خلق اللّه السمٰوات والأرض بالحق إنّ في ذلك لآيةً للمؤمنين﴾.

(العنكبوت[٢٩] الآية ٤٤)

٧ ـ ﴿ ولقد خلقنا السمٰوات والأرض وما بينهما في ستّة أيام وما مسّنا من لغوب ﴾. (ق[٥٠] الآية ٣٨)

ومحصل آيات هذا النوع : أن اللّه تعالىٰ ـ اضافة الى أنه خالق السمٰوات والأرض ومابينهما أي خالق كلّ شيء ـ فهو مبدع فيه ويكفي في تحصل الوجود وتحققه بأيّة مرتبة من مراتب إرادته تعالىٰ ؛ فإذا قضى أمراً وأراده ـ كائناً ما كان ـ فإنّما يقول له : كن فيكون ، وأما توقّف الشيء الموجود في تحصله على مدة ومادّة حسب اقتضاءات المهية ومعدّات الوجود فلا يرتبط بمسألة الافاضة .

فالابداع في مثل العقول الكلية والوجودات العالية لايتوقف إلّا علىٰ كلمة (كن) الوجودية بارادة اللّٰه تعالىٰ وفي غيرها من السمٰوات والأرض ومابينهما ممّا لها

مادّة. إما ناحية المبدع والمفيض فقد جفّ القلم بما هو كائن، ﴿وما أمرنا إلّا واحدة كلمح بالبصر﴾ (القمر [٥٤] الآية ٥٠) ﴿... وما أمر السّاعة إلّا كلمح البصر أو هو أقرب...﴾ (النحل [١٦] الآية ٧٧)، ومن ناحية المتحصّل فهو في ست مراتب وأيام؛ فإن اليوم الوارد في الآيات الكريمة المذكورة لايمكن أنْ يراد به ما يقابل الليل والنهار الحاصلين من حركة الأرض وضعياً، فانها بعد الخلق والتحصّل تمنع تدخلها فيه، والأمر كذلك في كل زماني ومكاني. بل في كل العالم المادّي أوّلاً وآخراً؛ فإن الجميع بوجوده غير زماني بالنسبة الى المبدع الموجد، وامّا التدرّج والتقدّم والتأخّر فيها فهو إذا قيس بعضها مع بعض:

١ ـ ﴿ ما خلْقكم ولابعْثكم إلّا كنفس واحدة إنّ الله سميع بصير ﴾.

(لقمان [٣١] الآية ٢٨)

٢ ـ ﴿.... كلَّ يوم هو في شأن ﴾. (الرحمن [٥٥] الآية ٢٩)

﴿... ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾. (الاعراف [٧] الآية ٥٤)

فان الأوّل يطلق على الثاني وبالعكس غالباً. وتفصيل الكلام في محله.

الثالث ـ قال تعالىٰ:

١ ـ ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوىٰ الىٰ السّماء فسوّٰهُنَّ سبع سمٰوات وهو بكل شيء عليم ﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٩)

٢ ـ ﴿ والله خلق كل دابّة من ماءٍ فمنهم من يمشي علىٰ بطنه ومنهم من يمشي علىٰ رجلين ومنهم من يمشي علىٰ أربع يخلق الله مايشاء إنّ الله على كل شيء قدير ﴾. (النور [٢٤] الآية ٤٥)

٣ ـ ﴿ واتّقوا اللّٰه الذي خلقكم والجِبِلّة الأوّلين ﴾. (الشعراء [٢٦] الآية ١٨٤)

٤ ـ ﴿ وربّك يخلقُ مايشاءُ ويختارُ ماكان لهم الخِيرةُ سبحانَ اللّٰه وتعالىٰ عمّا يشركون ﴾. (القصص [٢٨] الآية ٦٨)

إنّ آيات هذا النوع توجه النظر إلى خصوصيات الخلقة بعد الفراغ عن الحقيقة المبحوث عنها في الآيات الكريمة السابقة ، من أنّه تعالىٰ خلق ما في الأرض جميعاً من مختلف ظروف الحياة ومعدانها وأقسام متاعها ولذّاتها لانتفاع المؤمنين وتزوّدهم منها، بل انه تعالى خلق وما فيها مما يتوقف عليه تحصّل ما في الأرض لأجل ذلك أيضاً، وقد خلق اللّه تعالىٰ آباءكم والجبلّة الأولين، وأمّا غير المؤمنين فيأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام، أو مِنْ أنه لاخيرة ولاقوة لغير اللّه تعالىٰ في الخلق والايجاد، وهو تعالىٰ يختار مايشاء ويخلق من الأنواع والأقسام من كل ذي حياة وغيرها في السماوات والأرض، أو أن يخلق الدوابّ كلها بجميع أقسامها وأجزائها من ماء ـ سواء ممن يمشي على بطنه أو علىٰ رجلين أو علىٰ اربع. ومحصّل الجميع أنّ الخلق باعطائه الوجود وإفاضته الحياة مطلقاً بيد الله تعالىٰ وإرادته وأمره، من المبدعات المجرّدة والمخلوقات المادّية من السمٰوات والأرض وما فيها ومن فيها؛ وكل شيء بيد اللّه خلقاً وربوبية كما ذكرناه.

الفصل الخامس:

في ربوبيته تعالىٰ

وأما آيات الربوبيته فهي أيضا قسمان:

القسم الأول ـ قال تعالىٰ :

١ ـ ﴿ الحمد للّه ربّ العالمين ﴾. (فاتحة الكتاب[١]الآية ١)

٢ ـ ﴿ قل أغيرَ اللّه أبغي رباً وهو ربُّ كل شيء... ﴾ . (الانعام[٦]الآية ١٦٤)

٣ ـ ﴿ قل من ربُّ السمٰوات والأرض قلِ الله ... ﴾ . (الرعد[١٣]الآية ١٦)

٤ ـ ﴿ ربُّ السمٰوات والأرض وما بينهما... ﴾ . (مريم[١٩]الآية ٦٥)

٥ ـ ﴿ قال فرعون وما ربُّ العالمين* قال ربُّ السمٰوات والأرض وما بينهما إنْ كنتم موقنين* قال لمن حوله ألا تستمعون* قال ربُّكم وربُّ آبائكم الأولين* قال إنّ رسولكم الذي أُرسل اليكم لمجنون* قال ربُّ المشرق والمغرب وما بينهما إنْ كنتم تعقلون ﴾ . (الشعراء[٢٦]الآية ٢٣ ـ ٢٨)

٦ ـ ﴿ ربُّ السمٰوات والأرض وما بينهماوربُّ المشارق ﴾ . (الصافات[٣٧]الآية ٥)

٧ ـ ﴿ ربُّ السمٰوات والأرض ومابينهما العزيزُ الغفّار ﴾ . (ص[٣٨]الآية ٦٦)

٨ ـ ﴿ سبحان ربّ السمٰوات والأرض ربِ العرش عمّا يصفون ﴾.

(الزخرف[٤٣]الآية ٨٢)

٩ ـ ﴿ ربُّ السمٰوات والأرض ومابينهما إنْ كنتم موقنين ﴾ . (الدخان[٤٤]الآية ٧)

١٠ ـ ﴿ فللّه الحمدُ ربِ السمٰوات وربِ الأرض ربّ العالمين ﴾ .

(الجاثية[٤٥]الآية ٣٦)

١١ ـ ﴿ ربُّ المشرقين وربُّ المغربين ﴾[١] . (الرحمن[٥٥]الآية ١٧)

ظاهر آيات هذا القسم هو أنّ اللّه تعالىٰ الذي قد عرفت معنى ملكيته الحقيقية، وخالقيته بإعطاء الوجود وإفاضته ، هو ـ بمالكيته وخالقيته تلك ـ ربُّ كلّ شيء من السماوات والأرض ومابينهما يعطيها الوجود ويفيض عليها شيئاً فشيئاً إلى الكمال النهائي[٢] فلا يخلو شيء لحظة عن استفاضة الوجود والتحقق وقبول الفيض والوقوع ، وهو تعالىٰ مفيض دائما بحيث لو فرض انقطاع الفيض لحظة لانعدم العالم

---

١ ـ ولعل المراد مشرق الشمس والقمر ومغربها لاختلاف مدار كل منها بدوران الأرض حول نفسها بحركتها الوضعية ودوران القمر حول الأرض وهما حول الشمس كما هو ظاهر .

٢ ـ قال الراغب : الرب في الاصل التربية وهو انشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام.

ومافيه (١) وبذلك يعرف الله تعالىٰ من جهة المثبت ونرىٰ ملكه وقدرته وعلمه وخلقه وربوبيته في كل شيء كما عن المعصوم عليه السلام: (مارأيت شيئاً إلّا وقد رأيت اللّهَ قبله وبعده ومعه) وتفصيل الكلام في محله .

القسم الثاني ـ قال تعالىٰ :

١ ـ ﴿إنّ الله ربّي وربكم فاعبدوه وهذا صراط مستقيم﴾. (آل عمران[٣]الآية ٥١)

٢ ـ ﴿بديع السٰموات والأرض أنىٰ يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كلّ شيء وهو بكل شيء عليم * ذٰلكم الله ربّكم لا إلٰه إلّا هو خالق كلّ شيء فاعبدوه وهو علىٰ كلّ شيء وكيل﴾. (الأنعام [٦] الآية ١٠١ ـ ١٠٢)

٣ ـ ﴿ إنّ ربّكم اللّه الذي خلق السٰموات والأرض في ستة أيام ...﴾.

(الأعراف [٧] الآية ٥٤)

٤ ـ ﴿إنّ ربّكم الله الذي خلق السٰموات والأرض في ستّة أيّام... ﴾.

(يونس [١٠] الآية ٣)

٥ ـ ﴿ ربّكم الذي يُزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله... ﴾.

(الاسراء [١٧] الآية ٦٦)

٦ ـ ﴿ قال بل ربّكم ربُّ السٰموات والأرض الذي فطرهنّ ... ﴾.

(الأنبياء[٢١] الآية ٥٦)

٧ ـ ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخّر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجل مسمّىٰ ذٰلكم الله ربّكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ﴾. (فاطر [٣٥] الآية ١٣)

٨ ـ ﴿ خلقكم من نَفسٍ واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام

---

١ ـ عز المولوي : اگر نازى كند در هم فروريزند قالبها.

ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمّهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذٰلكم الله ربّكم له الملك لا إله إلّا هو فأنّىٰ تصرفون﴾. (الزمر [٣٩] الآية ٦)

٩ ـ ﴿ لا إله إلّا هو يحيي ويميت ربُّكم وربُّ آبائكم الأوّلين ﴾.

(الدخان [٤٤] الآية ٨)

وظاهر الآيات الكريمة كأنها تجيب عن شبهةٍ وتوّهم ؛ فإنّ الانسان يرىٰ ويلمس تأثير العوامل الظاهرية المحيطة بحياته وسلامته ونضجه وتمتّعه إثباتاً ونفياً، ولاينكر ذلك بدواً؛ فانّ الأرض والسماء والشمس والقمر والنجم والشجر ومابينها من الأمور التي يحتاج إليها الانسان ولايستغني عنها في أصل حياته وفي كيفياتها وجوداً وبقاءً. ومن ذلك يُتوهم ربوبية الشمس أو القمر أو الماء والمطر وغيرها دون أن يرىٰ فيها الأولوهية والمعبودية ، فإنّ احترام الانسان لما يحيطه لم يكن علىٰ ذلك الحدّ وان كان على حدّ الشرك وتأثيره مع الله تعالىٰ في العالم، سبحانه عمّا يقول المشركون .

فالآيات الكريمة بقسميها تردّ ذلك الوهم مع قبول الواقع والحق وتُبيّن أنّ ذلك التأثير غيريّ وبالواسطة، فلا شك في تأثير الشمس والقمر، ولاينكر الافتقار الى النجم والشجر، إلّا أنّ ذلك كلّه بأمر الله تعالىٰ ، وهم وسائط الفيض ومعابره؛ والربّ الأصلي الذي يفيض شيئاً فشيئاً وحالاً فحالاً هو ربُّ تلك العوامل الظاهرية التي ترونها، وهو ربُّ السمٰوات والأرض، وهو ربُّكم وربُّ آبائكم الأولين، فالله تعالىٰ هو ربُّ كلّ شيء وهو الرؤوف الرحيم [1]. وما تدعون من دونه أرباباً ما يملكون حتّىٰ شيئاً من قطمير فأنّىٰ تصرفون وأين تذهبون.

---

١ ـ وقد وصف الله تعالى ربوبيته بالرحمن قوله ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم﴾.

الفصل السادس :

انه تعالىٰ لا شريك له

ثم إنك بالتأمل فيما عرفت من معنى الوحدة والعلم والقدرة ومالكيته تعالىٰ وخالقيته وربوبيته ، تُدرِك ويَظهر لك بأظهر وجه معنىٰ نفي الشريك والولد ، وأنه لايمكن شركة شيء مع تلك الحقيقة الحقة، بل لاشيء في الوجود ولا وجود في شيء خارجاً عن إحاطته وقدرته وملكه حتىٰ يُتوهم شركته معه، فنفي الشريك والولد أظهر ، وتوهمه أبعد ، وآيات الأول على نوعين ؛ الاول : بيان المدعي ، والثاني : الدليل عليه.

النوع الأوّل ـ قال تعالىٰ :

١ ـ ﴿ ... فلا تجعلوا للّه أنداداً وأنتم تعلمون ﴾[1] . (البقرة[٢]الآية ٢٢)

٢ ـ ﴿ قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم ألّا نعبدَ إلّا اللّه ولا نشرك به شيئاً ولايتّخذ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون اللّه فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ . (آل عمران[٣]الآية ٦٤)

٣ ـ ﴿ لقد كفر الذين قالوا إنّ اللّه هو المسيحُ آبن مريم وقال المسيحُ يابني إسرائيل آعبُدوا اللّه ربّي وربّكم إنه من يُشرك بالله فقدْ حرم اللّه عليه الجنّة ومأواه النارُ وماللظالمين من أنصار ﴾ . (المائدة[٥]الآية ٧٢)

---

١ ـ قال الراغب : نديد الشيء مشاركه في جوهره وذلك ضرب من المماثلة فان المثل يقال في أي مشاركة كانت، فكل ند مثل وليس كل مثل ند .

٤ - ﴿ لقد كفر الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة وما مِنْ إله إلّا إله واحد ...﴾.
(المائدة[٥]الآية ١٧٣)

٥ - ﴿ واذ قال الله ياعيسىٰ ابن مريم ءأنت قلت للناس اتّخذوني وأُمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ماليس لي بحق ...﴾ .(المائدة[٥]الآية ١١٦)

٦ - ﴿ قل أي شيء اكبر شهادة قل اللهُ شهيدٌ بيني وبينكم وأُوحي اليّ هذا القرآن لأُنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أنّ مع الله الهةً أُخرىٰ قل لا أشهد قل انما هو إله واحد وانني بريءٌ مما تشركون ﴾ . (الانعام[٦]الآية ١٩)

٧ - ﴿ قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين * لاشريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين ﴾ . (الانعام[٦]الآية ١٦٢ - ١٦٣)

٨ - ﴿ ... قالوا ياموسىٰ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنّكم قوم تجهلون ﴾.
(الاعراف[٧]الآية ١٣٨)

٩ - ﴿لاتجعل مع الله الهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً﴾ . (الاسراء[١٧]الآية ٢٢)

١٠ - ﴿... ولاتجعل مع الله إلٰهاً آخر فتُلقىٰ في جهنم ملوماً مدحوراً﴾.
(الاسراء [١٧] الآية ٣٩)

١١ - ﴿ الذي له ملك السمٰوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدّره تقديرا ﴾ . (الفرقان[٢٥]الآية ٢)

١٢ - ﴿... سبحانه وتعالىٰ عمّا يشركون ﴾ . (الزمر[٣٩]الآية ٦٧)

١٣ - ﴿ ولاتجعلوا مع اللّه إلهاً آخر إنّي لكم منه نذير مبين ﴾.
(الذاريات[٥١]الآية ٥١)

١٤ - ﴿ أم لهم إله غير اللّه سبحان اللّه عمّا يشركون ﴾ . (الطور[٥٢]الآية ٤٣)

ومحصل آيات هذا القسم نفْي الشرك وتنزيهه تعالىٰ عنه والنهي عن توهمه والاعتقاد به ، والأمر بدعوة الناس الى عبادة الله الواحد، وترك الشرك به، وأنه كفرٌ

وجهلٌ، والمشرك مذموم مخذول مقهور في الدنيا وقد حرم عليه الجنّة ومأواه النار في الآخرة .

النوع الثاني ـ قال تعالىٰ :

١ ـ ﴿ لقد كفر الذين قالوا إنّ اللّه هو المسيح آبنُ مريم قل فمن يملك من اللّه شيئاً إنْ أراد أن يهلك المسيح آبنَ مريم وأُمه ومن في الأرض جميعاً وللّه مـلك السمٰوات والأرض ومابينهما يخلق مايشاء واللّه على كل شيء قدير ﴾ .

(المائدة[٥]الآية ١٧)

٢ ـ ﴿ قل أتعبدون من دون اللّه ما لا يملك لكم ضرّاً ولانفعاً والله هو السميع العليم ﴾ . (المائدة[٥]الآية ٧٦)

٣ ـ ﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يُخلقون * ولا يستطيعون لهم نصراً ولاأنفسهم ينصرون ﴾ . (الاعراف[٧]الآية ١٩١ ـ ١٩٢)

٤ ـ ﴿ وأن أقم وجهك للدّين حنيفاً ولاتكوننّ من المشركين* ولاتدعُ من دون الله ما لاينفعك ولايضرّك فإن فعلت فإنّك اذاً من الظالمين ﴾ .

(يونس[١٠]الآية ١٠٥ ـ ١٠٦)

٥ ـ ﴿ ماتعبدون من دونه إلا أسماءً سميّتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل اللّه بها من سلطان إن الحكم إلا لله ﴾ . (يوسف[١٢]الآية ٤٠)

٦ ـ ﴿ قل من ربُّ السمٰوات والأرض قل اللّه قل أفاتخذتم من دونه أولياء لايملكون لأنفسهم نفعاً ولاضراً قل هل يستوي الأعمىٰ والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا للّه شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهّار ﴾ . (الرعد[١٣]الآية ١٦)

٧ ـ ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلا ﴾ .

(الاسراء [١٧]الآية ٤٢)

٨ ـ ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذاً لذهب كلُّ إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون ﴾ . (المؤمنون[٢٣]الآية ٩١)

٩ ـ ﴿ومن يدعُ مع الله إلهاً آخر لابرهان له به ...﴾. (المؤمنون[٢٣]الآية ١١٧)

١٠ ـ ﴿ ولاتدعُ مع الله إلهاً آخر لا إله إلاّ هو كل شيء هالك إلاّ وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾ . (القصص[٢٨]الآية ٨٨)

١١ ـ ﴿ إنّما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً إنّ الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا...﴾ . (العنكبوت[٢٩]الآية ١٧)

١٢ ـ ﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يُميتكم ثم يُحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالىٰ عما يشركون ﴾ . (الروم[٣٠]الآية ٤٠)

١٣ ـ ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه...﴾. (لقمان[٣١]الآية١١)

١٤ ـ ﴿ قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم ﴾ .

(سبأ [٣٤]الآية ٢٧)

١٥ ـ ﴿ ... ذلكم الله ربّكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير* إنْ تدعوهم لايسمعوا دعائكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولاينبئك مثل خبير ﴾ . (فاطر[٣٥]الآية ١٣ ـ ١٤)

١٦ ـ ﴿ قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السمٰوات أم آيتناهم كتاباً فهم على بيّنة منه... ﴾ .

(فاطر[٣٥]الآية ٤٠)

١٧ ـ ﴿ ءأتخذ من دونه آلهة إن يُردنِ الرحمٰن بضرٌ لاتُغنِ عني شفاعتهم شيئاً ولاينقذون ﴾ . (يس[٣٦]الآية ٢٣)

١٨ ـ ﴿ واتّخذوا من دون الله آلهة لعلّهم ينصرون* لايستطيعون نصرهم

وهم لهم جندٌ محضرون ﴾ . (يس[٣٦]الآية ٧٤ ـ ٧٥)

١٩ ـ ﴿ ... قل أفرايتم ماتدعون من دون الله إنْ أرادني الله بِضُرٍّ هل هنّ كاشفات ضُرّه أو أرادني برحمة هل هنّ ممسكات رحمته... ﴾ . (الزمر[٣٩]الآية ٣٨)

٢٠ ـ ﴿ قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السمٰوات ..... ومن أضل مِمّن يدعوا من دون الله من لايستجيب له الى يوم القيٰمة وهم عن دعائهم غافلون ﴾ . (الاحقاف[٤٦]الآية ٤ ـ ٥)

ومحصل هذه الآيات الكريمة هو الاستدلال على مدّعىٰ الآيات السابقة من بطلان الشرك في الخلق والربوبية بتقريب أنّ غير الله تعالىٰ مخلوق ومملوك له، ومحاط بعلم الله تعالى وقدرته ، وهو لايملك شيئا حتى من القطمير (القشر الرقيق الموجود على نواة كل ثمرة) ولايقدر على نفع ولا ضرر ولايستطيع نصراً بل لايستطيع نصر نفسه وحفظ شخصه من الضرر ولايسمع دعاءً ولايستجيب لو سمع كل ذلك لايمكن بنفسه من نفسه .

فهل يستوي ربُّ السماوات والأرض ومابينهما وخالقهما مع الذي لايملك حتى لنفسه نفعاً ولا ضراً ؟ وهل يمكن أن يقتدر المخلوق المحكوم على ان يخلق ويحكم علىٰ شيء من عند نفسه ؟!

وأصل الاستدلال أنه لو كان مع الإله الخالق القادر الربّ إلٰهٌ اخر قادر علىٰ شيء لابتغى إلى ذي العرش القادر المطلق سبيلا، ولعلا حينئذٍ بعضهم على بعض، والعالي هو الخالق، كما فصّلنا ذلك في الجملة ـ في مسألة وحدة الإله ص ٣٣.

ثم تخاطب الايات الكريمة المشركين وتسألهم قائلة: أروني ماذا خلقتْ تلك الأصنام الجامدة التي افتريتموها وجعلتموها شركاء لنا؟ وهل هنّ كاشفات ضرٍ أو ممسكات رحمة؟ فليس ذلك إلّا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من

سلطان، ومن أضلُّ ممّن كان ذلك تفكير، أو اعتقاده [١]. فلا شريك له تعالىٰ في شيء، أي لايمكن ذلك، كما يمتنع وجود الصاحبة والولد أيضاً.

الفصل السابع:

انه تعالىٰ ليس له ولد

وآيات الباب ـ قال تعالىٰ:

﴿ وقالوا اتّخذ اللّهُ ولداً سبحانه بل له ما في السمٰوات والأرض كلٌّ له قانتون﴾. (البقرة[٢]الآية ١١٦)

﴿ ... إنّما اللّه إلهٌ واحد سبحانه أنْ يكون له ولد له مافي السمٰوات ومافي الأرض وكفىٰ بالله وكيلا ﴾. (النساء[٤]الآية ١٧١)

﴿ وقالت اليهود والنصارىٰ نحن أبناءُ اللّه وأحباؤه قل فلِم يَعذّبكم بذنوبكم بل أنتم بشر مِمّن خلق ... ﴾. (المائدة[٥]الآية ١٨)

﴿ وجعلوا للّهِ شركاء الجنّ وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالىٰ عمّا يصفون* بديع السمٰوات والأرض أنّىٰ يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كلّ شيء وهو بكلّ شيء عليم ﴾. (الانعام[٦]الآية ١٠٠ ـ ١٠١)

﴿ وقالت اليهود عُزَيْرٌ ابنُ الله وقالت النصارىٰ المسيحُ ابنُ الله ذلك قولهم بأفواههم يُضاهئون قول الذين كفروا قبل قاتلهم الله أنّىٰ يؤفكون ﴾.

(التوبة[٩]الآية ٣٠)

---

١ ـ فحقاً: ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾.
(الحج [٢٢] الآية ٣١)

﴿ قالوا اتخذ اللّه ولداً سبحانه هو الغني له مافي السمٰوات ومافي الأرض إنْ عندكم مِنْ سلطان بهذا أتقولون على اللّه مالا تعلمون ﴾ . (يونس[١٠]الآية ٦٨)

﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون﴾ . (النحل[١٦]الآية ٥٧)

﴿ أفأصفاكم ربُّكم بالبنين واتَّخذَ من الملائكة اناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيما﴾ . (الاسراء [١٧]الآية ٤٠)

﴿ وقل الحمد للّه الذي لم يتّخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليٌّ مِن الذلّ وكبِّره تكبيرا ﴾ . (الاسراء [١٧]الآية ١١١)

﴿ ويُنذِر الذين قالوا اتخذ اللّه ولداً* مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرتْ كلمةً تخرج من أفواههم إنْ يقولون إلا كذبا ﴾ . (الكهف[١٨]الآية ٤ ـ ٥)

﴿ ماكان للّه أن يتّخذ من ولدٍ سبحانه اذا قضىٰ أمراً فانّما يقول له كن فيكون ﴾ . (مريم[١٩]الآية ٣٥)

﴿ وقالوا اتّخذ الرحمٰن ولداً* لقد جئتم شيئاً إدّاً* تكاد السمٰوات يتفطّرن منه وتنشقُّ الأرض وتخِرُّ الجبال هدّاً* أنْ دعوا للرحمٰن ولداً* وماينبغي للرحمٰن أن يتّخذ ولداً* إنْ كلُّ من في السمٰوات والأرض إلّا آتي الرحمن عبدا ﴾ .

(مريم[١٩]الآية ٨٨ـ٩٣)

﴿ وقالوا اتخذ الرحمٰن ولداً سبحانه بل عبادٌ مكرَمون* لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ . (الانبياء [٢١]الآية ٢٦ ـ ٢٧)

﴿ مااتخذ اللّه من ولدٍ وماكان معه من إلٰه ... ﴾ . (المؤمنون [٢٣]الآية ٩١)

﴿ الذي له ملك السمٰوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كلَّ شي فقدّره تقديرا ﴾ . (الفرقان [٢٥]الآية ٢)

﴿ ألا إنّهم من إفكهم ليقولون* وَلَدَ اللّهُ وإنّهم لكاذبون ﴾ .

(الصافات [٣٧]الآية ١٥١ ـ ١٥٢)

﴿ لو أراد اللّه أن يتّخذ ولداً لاصطفىٰ ممّا يخلق مايشاء سبحانه هو اللّـه الواحد القهار ﴾ . (الزمر [٣٩] الآية ٤)

﴿ أم اتّخذ ممّا يخلق بنات وأصْفاكم بالبنين ﴾ . (الزخرف [٤٣] الآية ١٦)

﴿ قل إنْ كان للرحمٰن ولدٌ فأنـا أوّلُ العـابدين* سـبحانه ربّ السمٰوات والأرض ربّ العرش عمّا يصفون ﴾ . (الزخرف [٤٣] الآية ٨١ ـ ٨٢)

﴿ أم له البنات ولكم البنون ﴾. (الطور [٥٢] الآية ٣٩)

﴿ ألكم الذكرُ وله الأُنثىٰ* تلك إذاً قسمة ضيزىٰ ﴾ . (النجم [٥٣] الآية ٢١ ـ ٢٢)

هذه الآيات الكريمة كما تراها تردّ بشدّة على التوهم القائل بأن للّه ولداً ذكوراً وأناثاً وتشير على وجه الامتناع والبراءة من ذلك . بعدما عرفت من أنّ ذلك مقتضىٰ الوحدة والعلم والقدرة كما قلنا ، فإنّ اللّه الغني الذي له السماوات والأرض ومـا بينهما ومن فيهما كيف يتصور أن يكون له ولد ؟ وهو بديع السماوات والأرض فأنّىٰ يكون له ولد، ولم يكن له صاحبة ؟! وخلَق كلَّ شيءٍ. فما قالت اليهود والنصارىٰ من أنهم أبناء اللّه أو أنّ عزيراً أو عيسىٰ أبنان للّه، فهو كذب اختلقوه، فإنّهم مخلوقون وعباد مكرمون .

وظاهر التعابير أن مرادهم من ذلك التوهم هو كون الولد من الوالد بالتوليد، فردّ عليهم تعالىٰ بما عرفت دون الاستعادة وارادة التقرب تشبيهاً بقرابة الولد وتقرّبه الىٰ والده ، وإن كان يؤيد هذا الاحتمال تعبير: (نحن ابناء اللّه وأحباؤه) فردّ عليهم بأنّه لِمَ يُعذِّبُكم بذنوبكم إذن، كما يعمل مع سائر العباد إن كنتم صادقين؟ وقد خصَّ بذلك اليهود في قوله تعالىٰ: ﴿... ياأيُّها الذين هادوا إنْ زعمتم أنّكم أولياء للّه من الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ . (الجمعة [٦٢] الآية ٦)

فسبحان اللّه ربّ السماوات والأرض ومابينهما وخالق كل شيء أن يكون له شريك أو ولد أو صاحبة وسبحانه ربّ العرش عمّا يصفون .

ثم ان محصل آيات بحث التوحيد قد جمع في سورة التوحيد :

قال تعالىٰ :

﴿ بسم اللّه الرحمٰن الرحيم* قل هو اللّه أحد* اللّه الصمد* لم يـلِدْ ولم يُولدْ * ولم يكن له كفُواً أحد ﴾ . (الاخلاص [١١٢] الآية ١ ـ ٦)

والكلام إلى هنا هو بحثٌ في أصل من تـوحيد اللـه تـعالى ذاتـاً وصـفات، والاستدلال له بما عرفت ، إلّا أنّ في القرآن الكريم طريقاً آخر لاثبات المدّعى وهو أسهل نيلاً للعموم وأشمل دركاً لهم نذكر آياته تـحت عـنوان:(الخـالق فـي الخـلق والطابع في الطبع) وسوف نراها كيف تظهر الحق وتعلن الحقيقة على لسان يفهمه كل أحد . وآيات الباب على أنواعٍ نستعرضها في الفصل الثامن .

الفصل الثامن :

الخالق في الخلق

تنقسم آيات الفصل الىٰ ثلاثة أقسام : **الاول** : ما يتكلم حول نظام السمٰوات والأرض وإعلان آيات الله تعالى فيهما ، **الثاني** : مـاتريه عـند بـيان وضـع الأرض ومافيها ، **الثالث** : ماتبينه في خلق الانسان وتطوراته ؛ وفي المجموع إراءة الخالق في الخلق والطابع في الطبع بآياته الباهرة .

اما القسم الاول ـ قال تعالىٰ :

﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ...﴾ . (البقرة [٢] ٢٢)

١ ـ ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جـميعاً ثـم اسـتوىٰ الىٰ السـماء

فسوّيٰهن سبع سمٰوات وهو بكل شيء عليم ﴾ . (البقرة [٢] الآية ٢٩)

٢ ـ ﴿ إنّ في خلق السمٰوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفُلْك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل اللّه من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كلّ دابّة وتصريف الرياح والسحاب المسخّرِ بين السماء والأرض لآيات لقوم يعلقون ﴾ . (البقرة [٢] الآية ١٦٤)

٣ ـ ﴿ إنّ في خلق السمٰوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأُولي الألباب ﴾ . (آل عمران [٣] الآية ١٩٠)

٤ ـ ﴿ الحمد للّه الذي خلق السمٰوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربّهم يعدلون .... وهو اللّه في السمٰوات وفي الأرض يعلم سرّكم وجهركم ويعلم ماتكسبون ﴾ . (الانعام [٦] الآية ١ و ٣)

٥ ـ ﴿ قل أغير اللّه أتخذُ ولياً فاطر السمٰوات والأرض وهو يُطعِم ولايُطعم...﴾. (الانعام [٦] الآية ١٤)

٦ ـ ﴿وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السمٰوات والأرض وليكون من الموقنين﴾ .... الى قوله تعالىٰ ﴿ إنّي وجّهت وجهي للذي فطر السمٰوات والأرض حنيفاًوما أنا من المشركين ﴾ . (الانعام [٦] الآية ٧٥ ـ ٧٩)

٧ ـ ﴿ إنّ ربكم اللّه الذي خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام ثم استوىٰ على العرش يُغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخّراتٍ بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك اللّه ربُّ العالمين ﴾ . (الاعراف [٧] الآية ٥٤)

٨ ـ ﴿وهو الذي يُرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته حتىٰاذا أقلّتْ سحاباً ثقالاً سُقناه لبلد ميت فانزلنا به الماءَ فأخرجنا به من كلِّ الثمرات كذلك نُخرج الموتىٰ لعلكم تذكّرون ﴾ . (الاعراف [٧] الآية ٥٧)

٩ ـ ﴿ إنّ ربّكم اللّه الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوىٰ

على العرش يُدبّر الامر... ﴾ . (يونس [١٠] الآية ٣)

١٠ ـ ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق اللّهُ ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون* إنّ في اختلاف الليل والنهار وما خلقَ اللّه في السمٰوات والأرض لأيات لقوم يتّقون﴾ .

(يونس [١٠] الآية ٥ و ٦)

١١ ـ ﴿ وهو الذي خلق السمٰوات والأرض في ستّة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيُّكم أحسن عملا .. ﴾ . (هود [١١] الآية ٧)

١٢ ـ ﴿ اللّه الذي رفع السمٰوات بغير عمدٍ ترونها ثم استوىٰ على العرش وسخرّ الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمّىٰ يدبّر الأمر يفصّل الأيات لعلّكم بلقاء ربّكم توقنون* وهو الذي مدّ الأرض مجعل فيها رواسي وأنهاراً ومِنْ كل الثمرات جعل فيها زوجين آثنين يغشي الليل النهار إنّ في ذلك لأيات لقوم يتفكرون* وفي الأرض قطع متجاورات وجنّاتٌ منْ أعناب وزرعٌ ونخيلٌ صنوانٌ وغير صنْوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضهما علىبعض في الأُكل إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ . (الرعد [١٣] الآية ٢ ـ ٤)

١٣ ـ ﴿ هو الذي يُريكم البرق خوفاً وطمعاً ويُنشئ السّحاب الثقال* ويُسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويُرسل الصواعق فيُصيب بها من يشاء وهم يُجادلون في اللّه وهو شديد المحال ﴾ . (الرعد [١٣] الآية ١٢ ـ ١٣)

١٤ ـ ﴿ أنزل من السماء ماءً فسالتْ أودية بقدرها فاحتمل السيلُ زبَداً رابيا..﴾ . (الرعد [١٣] الآية ١٧)

١٥ ـ ﴿ ألم تر أنّ اللّه خلق السمٰوات والأرض بالحق إنْ يشأ يُذهبكم ويأت بخلقٍ جديد ﴾ . (ابراهيم [١٤] الآية ١٩)

١٦ ـ ﴿ اللّه الذي خلق السمٰوات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به

من الثمرات رزقاً لكم وسخّر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخّر لكم الأنهار* وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخّر لكم الليل والنهار ﴾ .

(ابراهيم [١٤] الآية ٣٢ ـ ٣٣)

١٧ ـ ﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيّناها للناظرين* وحفظْناها من كلّ شيطان رجيم* [١] إلا مَن استرق السمع فأتبعه شهابٌ مبين* والأرض مددْناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيءٍ موزون* وجعلنا لكم فيها معايش ومَنْ لستم له برازقين* وإنْ من شيء إلّا عندنا خزائنه وماننزّله إلّا بقدر معلوم* وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه وماأنتم له بخازنين ﴾ .

(الحجر [١٥] الآية ١٦ ـ ٢٢)

١٨ ـ ﴿ خلق السمٰوات والأرض بالحق تعالىٰ عمّا يُشركون ﴾ .(النحل [١٦] الآية ٣)

١٩ ـ ﴿ والله أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآية لقوم يسمعون ﴾ . (النحل [١٦] الآية ٦٥)

٢٠ ـ ﴿ أوَلم ير الذين كفروا أنّ السمٰوات والأرض كانتا رتْقاً ففتقناهما وجعلنا من الماءِ كلّ شيء حيّ أفلا يؤمنون* وجعلنا في الأرض رواسي أنْ تميد بهم وجعلنا فيها فِجاجاً سبلاً لعلّهم يهتدون* وجعلنا السماء سقْفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون* وهو الذي خلق اللّيلَ والنهار والشمس والقمر كلٌّ في فلك يسبحون ﴾ . (الانبياء [٢١] الآية ٣٠ ـ ٣٣)

٢١ ـ ﴿ ذلك بأن الله يُولج الليل في النهار ويُولج النهار في الليل وأنّ الله سميع بصير* ذلك بأنّ الله هو الحق وأنّ مايدعون من دونه هو الباطل وأنّ الله هو العليّ الكبير* ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماءً فتُصبحُ الأرضُ مخضرّةً إنّ الله لطيف خبير ﴾ . (الحج [٢٢] الآية ٦١ ـ ٦٣)

---

١ ـ كما في سورة الصافات والملك وفصلت كما سيأتي بيانه ان شاء الله .

٢٢ ـ ﴿ الله نُور السمٰوات والأرض مَثَلُ نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجةُ كأنّها كوكبٌ دُرّيٌ يُوقَدُ من شجرة مباركة... ﴾. (النور [٢٤] الآية ٣٥)

٢٣ ـ ﴿ ألم تر أنّ اللّه يُسبح له من في السمٰوات والأرض والطير صافّات كلٌّ قد علم صلاتَه وتسبيح واللّه عليم بما يفعلون * وللّه ملك السمٰوات والأرض وإلىٰ اللّه المصير * ألم تر أنّ اللّه يُزجي[1] سحاباً ثم يُؤلّف بينه ثم يجعله رُكاماً فترىٰ الودق يخرج من خلاله ويُنزّل من السماء من جبال فيهامن بَرَدٍ فيُصيب من يشاء ويصرفه عمَّن من يشاء يكادُ سنا بَرْقه يَذهبُ بالأبصار * يُقلّبُ اللّه الليلَ والنهار إنّ في ذلك لعبرةً لاولي الأبصار * واللّه خلق كلَّ دابّةٍ من ماءٍ فمنهم مَنْ يمشي علىٰ بطنه ومنْهم مَنْ يمشي علىٰ رجلين ومنْهم مَنْ يمشي علىٰ أربع يخلق اللّهُ مايشاء انّ اللّه على كل شيءٍ قدير ﴾. (النور [٢٤] الآية ٤١ ـ ٤٥)

٢٤ ـ ﴿ ألم ترَ الىٰ ربِّك كيف مدَّ الظلّ ولو شاء لجعله ساكناً ثمّ جعلنا الشمس عليه دليلا * ثم قبضناه الينا قبضاً يسيرا ﴾. (الفرقان [٢٥] الآية ٤٦)

٢٥ ـ ﴿ وهو الذي مرج البحرين هذا عذبٌ فرات وهذا ملحٌ أُجاج وجعل بينهما برزخاً وحِجراً محجورا ﴾. (الفرقان [٢٥] الآية ٥٣)

٢٦ ـ ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بُروجاً وجعل فيها سِراجاً وقمراً منيراً * وهو الذي جعل الليل والنهار خِلْفَةً لمن أراد أنْ يَذَّكَّر أو أراد شُكُورا ﴾.

(الفرقان [٢٥] الآية ٦١ ـ ٦٢)

٢٧ ـ ﴿ ألاّ يسجدوا للّه الذي يُخرج الخبْءَ[2] في السمٰوات والأرض ويعلم ماتُخفون وماتُعلنون ﴾. (النمل [٢٧] الآية ٢٥)

٢٨ ـ ﴿ ... اللّه خيرٌ أمّا يُشركون * أمّن خلق السمٰوات والأرض وأنزل لكم

---

١ ـ يدفعه لينساق ، والركام مايقع بعضه على بعض فيصير متراكباً والودق مايكون من خلال المطر كأنّه غبار.
٢ ـ يقال ذلك لكل مدخر مستور.

من السماء ماءً فأنبتْنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تُنْبِتوا شجرها ءإله مع اللّه بل هم قومٌ يعدِلون * أمّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنـهاراً وجـعل لهـا رواسي وجعل بين البحرَيْن حاجزاً ءالهٌ مع اللّه بل أكثرهم لايعلمون ﴾ .

(النمل [٢٧] الآية ٥٩ ـ ٦٥)

٢٩ ـ ﴿ خلق اللّه السمٰوات والأرض بالحق إنّ في ذلك لآية للمؤمنين ﴾ .

(العنكبوت [٢٩] الآية ٤٤)

٣٠ ـ ﴿ ولئن سألتهم من خلق السمٰوات والأرض وسخرّ الشمس والقـمر ليقولُنّ اللّهُ فأنّىٰ يُؤفكون * اللّه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إنّ اللّه بكل شيءٍ عليم * ولئن سألتهم من نزّل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولُنّ اللّهُ قل الحمدُ للّه بل أكثرهم لايعقلون ﴾ . (العنكبوت [٢٩] الآية ٦١ ـ ٦٣)

٣١ ـ ﴿أوَ لَمْ يتفكّروا في أنفسهم ماخلق اللّه السمٰوات والأرض ومابينهما إلّا بالحق وأجل مسمّىٰ وإنّ كثيراً من الناس بلقاء ربّهم لكافرون﴾ . (الروم [٣٠] الآية ٨)

٣٢ ـ ﴿ اللّه الذي يُرسلُ الرياح فتُثيرُ سحاباً فيبسُطه في السماء كيف يشاء ويجعلهُ كِسَفاً فترىٰ الودق يَخرجُ من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون * وإنْ كانوا من قبل أن ينزَّل عليهم من قبله لمُبْلِسين * فانظر الىٰ آثار رحمت اللّه كيف يُحيي الأرض بعد موتها إنّ ذلك لمحيي الموتىٰ وهو على كل شيء قدير ﴾ . (الروم [٣٠] الآية ٤٨ ـ ٥٠)

٣٣ ـ ﴿ خلق السمٰوات بغير عمدٍ ترونها وألقىٰ في الأرض رواسيَ أن تميد بكم وبثَّ فيها من كلّ دابّة وأنزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كلِّ زوج كريم ﴾ .

(لقمان [٣١] الآية ١٠)

٣٤ ـ ﴿ ولئنْ سألتهم من خلق السمٰوات والأرض ليقولُنّ اللّه قل الحمد للّه بل أكثرهم لايعلمون ﴾ . (لقمان [٣١] الآية ٢٥)

٣٥ ـ ﴿ألم تر أنّ الله يُولج الليل في النهار ويُولج النهار في الليل وسخّر الشمس والقمر كلٌّ الى أجل مسمّى وأنّ الله بما تعملون خبير * ذلك بأنّ الله هو الحق وأنّ مايدعون من دونه الباطل وأنّ الله هو العليُّ الكبير﴾.

(لقمان[٣١]الآية٢٩ ـ ٣٠)

٣٦ ـ ﴿ الله الذي خلق السموات والأرض ومابينهما في ستة أيّام ثم استوىٰ على العرش مالكم من دونه من وليّ ولا شفيع أفلا تتذكّرون * يُدبّر الامر من السماء الى الأرض ثم يَعْرجُ اليه في يوم كان مقداره ألف سنة ممّا تعُدون ﴾ .

(السجدة[٣٢]الآية ٤ ـ ٥)

٣٧ ـ ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعلِ الملائكة رُسلاً أُولي أجنحة مثنىٰ وثلاث ورُباع يزيد في الخلق مايشاء إنّ الله على كل شيءٍ قدير﴾ .

(فاطر [٣٥]الآية ١)

٣٨ ـ ﴿ يُولجُ الليل في النهار ويُولج النهار في الليل وسخّر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجل مسمّى ذلكم الله ربّكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير [١] ﴾ . (فاطر [٣٥]الآية ١٣)

٣٩ ـ ﴿ إنّ الله يُمسك السموات والأرض أنْ تزولا ولئن زالتا إنْ أمسكهما من أحد من بعده إنّه كان حليماً غفورا ﴾ . (فاطر [٣٥]الآية ٤١)

٤٠ ـ ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون * والشمس تجري لمستقرٍ لها ذلك تقدير العزيز العليم * والقمر قدّرناه منازل حتىٰ عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغي لها أن تُدرِك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ في فَلَكٍ يسبحون ﴾ . (يس [٣٦]الآية ٣٧ ـ ٤٠)

٤١ ـ ﴿ إنّا زيّنّا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب * وحفظاً من كل شيطان

---

١ ـ الشيء على نواة التمر.

مارد[١] ﴾. (الصافات [٣٧] الآية ٦ ـ ٧)

٤٢ ـ ﴿ خلق السمٰوات والأرض بالحق يُكوِّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل وسخّر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجل مسمّى ألا هو العزيزُ الغفار ﴾.
(الزمر [٣٩] الآية ٥)

٤٣ ـ ﴿ ولئن سألتهم مَنْ خلقَ السمٰوات والأرض ليقولنّ اللّه... ﴾.
(الزمر [٢٩] الآية ٣٨)

٤٤ ـ ﴿ قل اللّهمّ فاطر السمٰوات والأرض عالم الغيب والشهادة ... ﴾.
(الزمر [٣٩] الآية ٤٦)

٤٥ ـ ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون أنداداً ذلك ربُّ العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءً للسائلين* ثم استوىٰ على السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين* فقضيٰهنّ سبعَ سمٰوات في يومين وأوحىٰ في كلِّ سماء أمرها وزيّنا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم[٢]﴾.
(فصلت [٤١] الآية ٩ ـ ١٢)

٤٦ ـ ﴿ ومِنْ آياته اللّيلُ والنهارُ والشمسُ والقمرُ لاتسجدوا للشمس ولا للقمر وآسجدوا للّه الذي خلقهنّ إنْ كنتم ايّاه تعبدون ﴾. (فصلت [٤١] الآية ٣٧)

٤٧ ـ ﴿ وَمِنْ آياته خلْقُ السمٰوات والأرض ومابثَّ فيهما من دابّةٍ وهو علىٰ جمعهم اذا يشاءُ قدير ﴾. (الشورىٰ [٤٢] الآية ٢٩)

٤٨ ـ ﴿ ولئن سألتهم مَنْ خلَقَ السمٰوات والأرض ليقولُنّ خلقهُنَّ العزيز العليم * الذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سُبلاً لعلكّم تهتدون *

---

١ ـ قريب منه في سورة فصلت والملك كما سيأتي.
٢ ـ ﴿ولقد زيّنا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين﴾. (الملك [٦٧] الآية ٥)

والذي نزّل من السماء ماءً بقدرٍ فأنشرنا به بلدةً ميتاً كذلك تُخرجون * والذي خلق الأزواج كلّها وجعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون ﴾. (الزخرف [٤٣] الآية ٩ ـ ١٢)

٤٩ ـ ﴿ وهو الذي في السماء إلهٌ وفي الأرض إلهٌ وهو الحكيم العليم ﴾.
(الزخرف [٤٣] الآية ٨٤)

٥٠ ـ ﴿إنّ في السمٰوات والأرض لآيات للمؤمنين * وفي خلقكم وما يبث من دابّةٍ آياتٌ لقوم يوقنون * واختلاف الليل والنهار وماأنزل الله من السماء من رزق فأحيا الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ﴾.

(الجاثية [٤٥] الآية ٣ ـ ٥)

٥١ ـ ﴿ والسماءَ بنيناها بأيدٍ وإنّا لموسعون * والأرض فرشناها فنعم الماهدون ﴾. (الذاريات [٥١] الآية ٤٧ ـ ٤٨)

٥٢ ـ ﴿ يسأله من في السمٰوات والأرض كل يوم هو في شأن ﴾.

(الرحمن [٥٥] الآية ٢٩)

٥٣ ـ ﴿ سبّح للّه مافي السمٰوات والأرض وهو العزيز الحكيم * له ملك السمٰوات والأرض يُحيي ويُميت وهو علىٰ كل شيءٍ قدير * هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم * هو الذي خلق السمٰوات والأرض في ستّة أيام ثمّ استوى على العرش يعلم مايلج في الأرض وما يخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها وهو معكم أينما كنتم واللّه بما تعملون بصير * له ملك السمٰوات والأرض والىٰ اللّه تُرجع الأُمور * يُولج الليل في النهار ويُولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور ﴾. (الحديد [٥٧] الآية ١ ـ ٦)

٥٤ ـ ﴿ سَبّحَ للّه مافي السمٰوات ومافي الأرض وهو العزيز الحكيم ﴾. (الحشر [٥٩] الآية ١ والصف [٦١] الآية ١)

٥٥ ـ ﴿ يُسبح للّه مافي السمٰوات ومافي الأرض الملك القُدّوس العزيز

الحكيم ﴾. (الجمعة [٦٢] الآية ١)

٥٦ ـ ﴿ يُسبِّحُ لله مافي السمٰوات ومافي الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير * ... خلق السموات والأرض بالحق وصوّركم فأحسن صوركم واليه المصير ﴾. (التغابن [٦٤] الآية ١ و ٣)

٥٧ ـ ﴿ اللّه الذي خلق سبع سمٰوات ومن الأرض مثلهن يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ اللّه على كل شيء قدير وانّ قد أحاط بكل شيء علماً ﴾.

(الطلاق [٦٥] الآية ١٢)

٥٨ ـ ﴿ الذي خلق سبع سمٰوات طباقاً ماترىٰ في خلق الرحمٰن من تفاوت فارجع البصر هل ترىٰ من فطور ﴾. (الملك [٦٧] الآية ٣)

٥٩ ـ ﴿ ءأنتم أشدُّ خلقا أم السماء بناها * رفع سمكها فسوّاها* وأغطش ليلها وأخرج ضحاها* والأرض بعد ذلك دحاها* أخرج منها ماءها ومرعاها* والجبال أرساها * متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾. (النازعات [٧٩] الآية ٢٧ ـ ٣٣)

٦٠ ـ ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سمٰوات طباقاً* وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً* والله أنبتكم من الأرض نباتاً* ثم يعيدكم فيها ويُخرجكم إخراجا* والله جعل لكم الأرض بساطا* لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً ﴾.

(نوح [٧١] الآية ١٥ ـ ٢٠)

ماعنيت إليه آيات الفصل ـ على الاختصار دون التفصيل ـ أمور :

الأول : اراءة آيات اللّه تعالى وعلامات عظمته وقدرته في خلق السمٰوات والأرض وفطرتهن لتنظروا كيف خُلقت على نظام خاص تحت قوانين ومجارٍ معيّنة ثابتة، ماترى فيها من فطور ، فرُفعت السماوات بغير عمد أو بعمد غير مرئي، وتعرفون أنّ ما تناله أعينكم من رؤية أفلاك النجوم ومدارات السيارات ومناظرها الوضّاءة إنّما هي السماء الدنيا القريب إليكم زيّناها بزينة الكواكب والمصابيح، وبعد

هذه السماء السمٰوات العلىٰ ومجموعها سبع سمٰوات ، أفهل يتمكن أحدٌ من تصوّر أبعادها والمسافات بينها ؛ في حين أنّ بعض السيارات التي تسبح في السماء الدنيا تبعُد عنك مئات السنين الضوئية. تشير الى ذلك ـ حسب تحديدنا ـ آيات كثيرة ، ولم يُذكر عن سائر السمٰوات شيءٌ في الكتاب .

الثاني : أنّ الأرض مثل السماء فهي سبع ، بمراحل تكونها ، كما عن علماء معرفة الأرض، أو غير ذلك. وقد مدّها اللّه تعالى وجعل فيها رواسي وأنهاراً بما أنزل عليها من ماء من سحاب ثقال منشآت، أو أنّه تعالى يزجي السحاب ويؤلف بينه ويجعله رُكاماً أو يجعله كسفاً فترى الودق [1] يخرج من خلاله ويُرسل الرياح بُشرىً بين يدَيْ رحمته فتسيل أودية بقدرها ويحيي بها الأرض بعد موتها ، وقد بثّ فيها من كل دابّة، والله خلق كل دابة من ماء، فمن يمشي على بطنه، ومنهم الانسان الماشي على رجليْن ، وأخرج منها مِنْ كل الثمرات المختلفة الألوان والطعوم، مع تجاور قطع الأرض ووحدة ظروفها التي لا تقدرون على ابناتها، في حين انها معايشكم ورزقكم، فجعلها رزقاً لكم، كما في الآيات ١ و٥ ٤و٥٧و٥٨ حسب تسلسلنا وغيرها؛ وإنْ كان بالنسبة الى الأرض في آية واحدة (١٢ الطلاق [٦٥]).

الثالث : إنّ ظاهر عطْف الأرض على السمٰوات في أكثر الآيات يُفهِم أنّها خُلِقتْ بعدها ، كما يراه الطبيعة؛ إلا أنّ صريح قوله تعلى في سورة فصلت الآية ٣٨ أنّ الأرض وما فيها خُلقت أولاً، ثم استوى الى السماء وهي دخان كصراحة قوله تعالى في سورة البقرة الآية ٢٩ في تقدّم خلقه مافي الأرض جميعاً ثم استوى الى السماء فسّواهنّ سبْعَ سمٰوات [2]، وسيفقه العلماء الحقّ ويعرفون خطأهم .

---

١ ـ مايخرج عنها كالغبار .

٢ ـ وعن الطبرسي ﷺ ان المستفاد من قوله ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ (النازعات [٧٩] الآية ٣٠) ان بسطها كان بعد خلق السماء، وخلقها كان قبله، مع ان صريح ذلك تقدُّم خلق ما في الأرض جميعاً ولايمكن بعد دحوها والله أعلم.

الرابع : إنّ خلْق السمٰوات السبع ومن الأرض مثلهُنّ كان في ستة أيام؛ ومن المعلوم أنّ اليوم قبال الليل لاتحقّق له إلا بعد خلق السمٰوات والأرض علىٰ نحو ذلك النظام الخاص، فلابد وأن يكون إمّا بمعنى مراتب ومراحل حسب اقتضاءات المادة كما يؤيده قوله تعالى : ﴿ خلقَ الأرض في يومين وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام ثم استوىٰ الى السماء .... فقضاهنّ سبع سمٰوات في يومين﴾[1] أو بمعنىٰ مدّة من الزمان يساوي يومين منه، وافتقاره إليه، لكونها مادّة بعيد الأمر الى الأول؛ وذلك في الآيات المرقمة ١و٧و٩و١١و٣٥و٣٦و٤٥ حسب ترقيمنا في الصفحات السابقة.

الخامس : إنّ خلْق السمٰوات والأرض ومابينهما كان بالحق والعدل النافذين في أعماق نظامهما وظروف سطحيهما، بحيث لو تغيّرنا يسيراً عمّا يكونان عليه لانقلبنا إلىٰ غيرهما كثيراً، ممّا لايساعد على الحياة فيهما ويمنعان عن فيوضات الباري ونعمة تعالىٰ، كما أُشير إليه في الآيات ١٥و١٨و٢٩و٣١و٤٢و٥٦ حسب التسلسل المتقدّم.

السادس : استواؤه تعالى على العرش وعنايته إليه بعد تسوية السمٰوات والأرض، وهو المرتبة العالية الحاكمة على ما دونه، منها التي حولها الملائكة، وهو الذي يدبّر الأمر عنه ويعبر عنه كما في الآيات ٧و٩و١١و١٢و٣٦و٥٣. وقد تكلّمنا حوله مع ملاحظة لسائر الآيات الراجعة اليه في رسالة مستقلة تحت عنوان (حول العرش) فراجع .

---

١ ـ ان قلتَ : جمع تلك الايام يكون ثمانية ، وكثير من الآيات تصرح بان السمٰوات والأرض وما بينهما خلقتْ في ستة أيام ، قلتُ : ان أحسن ما قيل في المقام ما عن الاستاذ العلّامة الطباطبائي في الميزان من أنّ الأيام الأربعة راجعة الى تقدير الأقوات وعوامل تحقّق الأرزاق في الأرض وهي الفصول الأربعة وذلك غير خلْق الأرض ولايرتبط به ولامنافاة بين خلْقها في يومين وجعل الفصول الأربعة لها ، وإنْ كان لايساعد ذلك حمْل اليوم على مقدار الزمان كما عنده. وأما مسألة تأخّر دحو الأرض عن خلْقها بعد خلْق السمٰوات فلا يساعد عليه قوله تعالى: ﴿رفع سمكها وسوّاها﴾ قبله فإن تسويتهنّ ليس إلّا تسويتهنّ سبع سمٰوات كما هو ظاهر فتأمل، والله أعلم .

السابع : تحقّق الليل والنهار في نظام السمٰوات والأرض واختلافهما بجعل كُلّاً خلفة الآخر، وتوليج كلٍّ في شريكه ، وانسلاخ النهار من الليل وتكوير كلٍّ علىٰ الآخر[١] حسْب نظم الكرات ومنظومتها من دوران القمر حول الأرض، وهي معه حول الشمس ، وكلّ من تلك التعابير في تعاقب الليل والنهار راجع الى جهة ممّا أشرنا اليه وتومي إليه الآيات ٢ و ٣ و ١٠ و ٢٣ و ٢٦ و ٣٥ و ٣٨ و ٤٠ و ٤٢ و ٥٠ و ٥٣ حسب ترقيمنا في التسلسل المتقدّم في الفصل.

الثامن : إنّ النجوم والبروج التي زُينت بها السماء الدنيا وهي مصابيح منيرة تكون حفظاً من كلّ شيطان رجيم مارد ورجماً عليهم فتردّهم إن استرقوا السمع بشهابٍ مبين ثاقب وتمنعهم عن استطلاعهم أموراً هي مبادئ وقايع الأرض وحوادثها ممّا يجري على الناس، وبذا تفسد معيشتهم لو اطّلعوا عليها باخبار الشياطين؛ وقالوا : ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها مُلئت حرساً شديداً وشهباً ﴾ الآيات (الجن [٧٢] الآية ٨ ـ ١٠) وكان ذلك الرجم والمنع بنفوس مجرّدة لتلك النجوم والبروج الحاكمة عليها أو بنفس أوضاعها الطبيعية الرادعة عن نفوذ الأجنّة والشياطين المردة الى مافوقها كما تعضدها جميع آيات المسألة ، وتفصيل الكلام في محله .

التاسع : إنّ كل تلك الآيات المنبّهة هي لتكونوا : أولي ألباب ، لتتذكروا وتعلقوا، فتعلمون أنّ الله على كل شيءٍ قدير ، وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علماً ، فتخضعون وتعملون ، وتكونون مؤمنين حقاً فتفلحوا. اللهم اجعلنا من المؤمنين حقاً.

القسم الثاني ـ من آيات الفصل ماتُري آيات الله تعالى في الأرض ومافيها ومن عليها، وفيه آيات؛ قال تعالىٰ :

---

١ ـ تكوّر الشيء ادارته وضم بعضه الى بعض ككور العمامة فتشير الى جريان الشمس في مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادهما في الفصول .

١ ـ ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٢)

٢ ـ ﴿ ذلك بأنّ الله يُولجُ اللّيل في النهار ويُولج النهار في الليل وانّ الله سميع بصير * ذلك بأنّ الله هو الحقُّ وأنّ مايدعون من دونه هو الباطل وأنّ الله هو العليّ الكبير * ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماءً فتُصبح الأرض مُخضرّة إنّ الله لطيف خبير .... ﴾. (الحج [٢٢] الآية ٦١ ـ ٦٤)

٣ ـ ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكّرون * قل من ربُّ السمٰوات السبع وربُّ العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتّقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يُجير ولايُجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنّىٰ تسحرون ﴾. (المؤمنون [٢٣] الآية ٨٤ ـ ٨٩)

٤ ـ ﴿ أولم يرَوْا الى الأرض كم أنبتْنا فيها من كلِّ زوج كريم * إنّ في ذلك لآية * وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾. (الشعراء [٢٦] الآية ٧ ـ ٨)

٥ ـ ﴿ ألم يرو أنا جعلْنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً إنّ في ذلك لآيات يؤمنون ﴾. (النمل [٢٧] الآية ٨٦)

٦ ـ ﴿ قل أرايتم إنْ جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة مَنْ إله غيرُ الله يأتيكم بضياءٍ أفلا تسمعون * قل أرأيتم إنْ جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة مَنْ إله غير الله يأتيكم بليلٍ تسكنون فيه أفلا تبصرون * ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾.

(القصص [٢٨] الآية ٧١ ـ ٧٣)

٧ ـ ﴿ ألم تر أنّ الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته إنّ في ذلك لآيات لكلِّ صبّار شكور ﴾. (لقمان [٣١] الآية ٣١)

٨ ـ ﴿ واللهُ الذي أرسل الرّياح فتُثير سحاباً فسُقناه الى بلدٍ ميتٍ فأحيينا به

الأرض بعد موتها كذلك النشور ﴾. (فاطر [٣]الآية ٩)

٩ ـ ﴿ ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جُددٌ بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ ألوانها وغرابيب سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلفٌ ألوانه كذلك إنّما يخشى الله من عباده العلماءُ إنّ الله عزيز غفور ﴾. (فاطر [٣٥]الآية ٢٧ ـ ٢٨)

١٠ ـ ﴿ وآيةٌ لهم الأرضُ الميتةُ أحييناها وأخرجنا منها حبّاً فمنهُ يأكلون* وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجّرنا فيها من العيون* ليأكلوا من ثمره وماعملته أيديهم أفلا يشكرون* سبحان الذي خلق الازواج كلّها مما تُنْبتُ الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون ﴾. (يس [٣٦]الآية ٣٣ ـ ٣٦)

١١ ـ ﴿ ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض ثم يُخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً إنّ في ذلك لذكرى لأولي الألباب ﴾. (الزمر [٣٩]الآية ٢١)

١٢ ـ ﴿ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إنّ الله لذو فضل على الناس ولكنّ أكثر الناس لايشكرون* ذلكم الله ربّكم خالقُ كل شيءٍ لا إله إلا هو فأنّىٰ تؤفكون ﴾. (المؤمن [٤٠]الآية ٦١ ـ ٦٢)

١٣ ـ ﴿ ومن آياته الجوارِ في البحر كالأعلام * إنْ يشأ يُسكن الريح فيظْلَلْن رواكد على ظهره إنّ في ذلك لآيات لكل صبّار شكور * أو يوبقْهنّ بما كسبوا ويعف عن كثير ﴾. (الشورى[٤٢]الآيات ٣٢ ـ ٣٤)

١٤ ـ ﴿ والأرض وضعها للأنام، فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام* والحبُّ ذو العصف والريحان ﴾. (الرحمن [٥٥]الآية ١٠ ـ ١٢)

﴿ أفرأيتم ماتحرثون * ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ... أفرأيتم الماء الذي تشربون ... ﴾. (الواقعة [٥٦]الآيات ٦٣ ـ ٧٣)

١٥ ـ ﴿ أولم يروا الى الطير فوقهم صافّات ويقبضن مايمسكهن إلا الرحمٰن إنّه بكل شيءٍ بصير ﴾. (الملك [٦٧] الآية ١٩)

١٦ ـ ﴿ ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً وخلقْناكم أزواجاً وجعلنا نومكم سُباتاً* وجعلنا الليل لباساً* وجعلْنا النهار معاشاً* وبنينا فوقكم سبعاً شداداً* وجعلنا سراجاً وهّاجاً* وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً* لنُخرج به حباً ونباتاً* وجناتٍ ألفافاً* إنّ يوم الفصل كان ميقاتا﴾. (النبا [٧٨] الآية ٦ ـ ١٧)[1]

١٧ ـ ﴿ سبح اسم ربك الاعلىٰ* الذي خلق فسّوىٰ* والذي قدّر فهدىٰ* والذي أخرج المرعىٰ* فجعله غثاءً أحوىٰ ﴾. (الاعلىٰ [٨٧] الآية ١ ـ ٥)

تنبه الآيات الكريمة الانسان بأن يتوجّه الى الله تعالى مما في الأرض وما عليها ومن عليها وما حولها ، وقد عرفنا في الآيات الكريمة أصل خلقها وهي سبعة مثل السماوات السبع، وأنها جُعِلتْ فراشاً ومهداً تتحرّك وتنقلب إياباً وذهاباً فيتحقق بِمواجهتها للشمس الليلُ والنهار ويلج كلٌ في الآخر ، وجعل الليل بخواصه لباساً ليسكنوا فيه والنهار مبصراً ومعاشاً ليبتغوا فيه من فضل الله ، ولو جعلت الأرض على وجه واحد لكان الليل والظلمة سرمداً الى يوم القيامة أو النهاركذلك ، فمن كان يقدر ـ عندئذ على أن يأتي بهما حتىٰ يتمتعوا منهما ؛ ذلك بأنّ الله هو الحق وما دونه الباطل .

وكذلك ألا ترون أنّه تعالىٰ يُرسل الرياح مبشراتٍ فتثير سحاباً وينزل من السماء ماءٍ فيسلكه ينابيع ويفّجر منها العيون فيحيي به الأرض الميتة ويُخرج منها زرعاً فتصبح مخضّرة بأنواع النبات والأشجار المختلفة، وخلقها أزواجاً مثلكم ومثل مالاتعرفون فيخرج منها الثمرات فاكهةً والنخل والحبّ والريحان مختلف الألوان

---

١ ـ ﴿إنّا صببْنا الماء صباً ثم شققنا الأرض شقاً فأنبتنا فيها حبّاً وعنباً وقضْباً وزيتُوناً ونخلاً وحدائق غُلْباً﴾.
(عبس[٨٠] الآية ٢٥ ـ ٣٠)

والطعوم والآثار.

وكذلك الجبال والناس والدوابّ والأنعام اللآتي عليها، مختلفة الأشكال والألوان والآثار، كلّ على معيشة وحياة خاصة بهم، وعلىٰ نظم وقوانين معلومة ﴿وما من دابّة في الأرض ولا طائرٍ يطير بجناحيه إلا أُممٌ أمثالكم ما فرّطنا في الكتاب من شيء ثم إلىٰ ربّهم يُحشرون﴾. (الانعام [٦] الآية ٣٨)

وكذلك البحار بمائها، ومايسبح فيها من أنواع الأسماك وعجائب الخلقة، ومايجري عليها من الفلك، والجوار فيها كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد علىٰ ظهره، أو تطفئه النار التي تجريها.

فالأرض الميتة التي خلقها اللّه تعالىٰ سبعة أحياها بنفسها وبما فيها وما عليها براً وبحراً، حجراً وشجراً، ونباتاً وحيواناً وانساناً فهي من آيات اللّه تعالىٰ لمن أراد أن يتذكّر وكان من أولي الألباب أو أراد شكورا.

القسم الثالث ـ من آيات الفصل ماتنبه الانسان الى آثار رحمة الله وآياته تعالى في خلق الانسان وتطوراته وفيه آيات؛ قال تعالىٰ:

١ ـ ﴿ ياأيّها الناس أُعبدوا ربّكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلّكم تتقون ﴾. (البقرة [٢] الآية ٢١)

٢ ـ ﴿ كيف تكفرون باللّه وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يُحييكم ثم اليه تُرجعون ﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٨)

٣ ـ ﴿ هو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إله هو العزيز الحكيم.﴾. (آل عمران [٣] الآية ٦)

٤ ـ ﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدةٍ وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً... ﴾. (النساء [٤] الآية ١)

٥ ـ ﴿ هو الذي خلقكم من طين ثم قضىٰ أجلاً وأجلٌ مسمّىٰ عنده ثم أنتم

تمترون ﴾ . (الانعام [٦] الآية ٢)

٦ ـ ﴿ هو الذي أنشأكم من نفس واحدةٍ فمستقرٌّ ومستودع قد فصّلنا الآيات لقومٍ يفقهون ﴾ . الايات قبلها وبعدها، فراجع. (الانعام [٦] الآية ٩٠ ـ ١٠٤)

٧ ـ ﴿ هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشّاها حملتْ حملاً خفيفاً فمرّت به فلّما أثقلت دعوا اللّه ربّهما لئن آتيْتنا صالحا لنكوننّ من الشاكرين ﴾ . (الاعراف [٧] الآية ١٨٩)

٨ ـ ﴿ قل من يرزقُكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والابصار ومن يُخرج الحيّ من الميّت ويُخرج الميّت من الحيّ ومن يُدبّر الأمر فسيقولون اللّه فقل أفلا تتقون ﴾ . (يونس [١٠] الآية ٣١)

٩ ـ ﴿هو الذي يُسيِّركم في البرّ والبحر حتىٰ اذا كنتم في الفلك وَجَرَيْنَ بهم بريح طيّبة وفرحوا بها جاءتها ريحٌ عاصف وجاءهم الموج من كلِّ مكان وظـنّوا أنّهم أُحيط بهم دَعَوا اللّه مخلصين لهُ الدّينَ لئن أنـجيْتَنا مـن هـذه لنكـوننّ مـن الشاكرين * فلما أنجاهم اذا هم يبْغون في الأرض بغيرالحق﴾. (يونس[١٠]الآية٢٢ـ٢٣)

١٠ ـ ﴿ ألم تر أنّ اللّه خلق السمٰوات والأرض بالحق إن يشأ يُذهبْكم ويأتِ بخلْق جديد * وما ذلك علىٰ اللّه بعزيز ﴾. (ابراهيم [١٤] الآية ١٩ ـ ٢٠)

١١ ـ ﴿ وآتايكم من كلِّ ماسألتموه وإنْ تعدّوا نعمت اللّـه لاتُـحصوها إنّ الانسان لظلوم كفّار ﴾. (ابراهيم[١٤] الآية ٣٤)

١٢ ـ ﴿ وجعلْنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ... ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ﴾. (الحجر [١٥] الآية ٢٠ ـ ٢٦)

١٣ ـ ﴿ خلق الانسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين * والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع ومنها تأكلون ﴾. (النحل [١٦] الآية ٤ ـ ٥)

١٤ ـ ﴿ وإنّ لكم في الأنعام لعبرةً نُسقيكم ممّا في بطونه من بين فرثٍ ودمٍ

لبناً خالصاً سائغاً للشاربين .... ﴾. (النحل [١٦] الآية ٦٦)

١٥ ـ ﴿ واللّه خلقكم ثم يتوفّاكُم ومنْكم من يُردّ الىٰ أرذلِ العُمر لكي لايعلم بعد علم شيئاً إنّ اللّه عليمٌ قدير * واللّه فضّل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادّي رزْقهم علىٰ ماملكت أيمانهم فهم فيه سواء * أفبنعمة اللّه يجحدون* واللّه جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيّبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت اللّه هم يكفرون* ويعبدون من دون اللّه ما لا يملك لهم رزْقاً من السمٰوات والأرض شيئاً ولايستطيعون ﴾. (النحل [١٦] الآية ٧٠ ـ ٧٣)

١٦ ـ ﴿ واللّه أخرجكم من بطون أمّهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾. (النحل [١٦] الآية ٧٨)

١٧ ـ ﴿ ربّكم الذي يُزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا منْ فضله إنّه كان بكم رحيما ﴾. (الاسراء [١٧] الآية ٦٦)

١٨ ـ ﴿ الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبُلاً وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نباتٍ شتىٰ * كلوا وآرعوا أنعامكم إنّ في ذلك لآيات لأُولي النُهىٰ * منها خلقناكم وفيها نُعيدكم ومنها نخرجكم تارةً أُخرىٰ ﴾.

(طه [٢٠] الآية ٥٣ ـ ٥٥)

١٩ ـ ﴿ ألم تر أنّ اللّه سخرّ لكم مافي الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويُمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إنّ اللّه بالناس لرؤوف رحيم* وهو الذي أحياكم ثمّ يُميتكم ثمّ يُحييكم إنّ الإنسان لكفور ﴾. (الحج [٢٢] الآية ٦٥ـ٦٦)

٢٠ ـ ﴿ ولقد خلقْنا الانسان من سُلالة من طين* ثم جعلناه نطفة في قرار مكين* ثمّ خلقنا النطفة علقةً فخلقْنا العلقةَ مضغةً فخلقنا المضغةَ عظاماً فكسوْنا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك اللّه أحسن الخالقين* ثم إنّكم بعد ذلك

لميّتون ثم إنكم يوم القيٰمة تُبعثون ﴾. (المؤمنون [٢٣]الآية ١٢ ـ ١٦)

٢١ ـ ﴿ وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ماتشكرون ۞ وهو الذي ذرأكم في الأرض واليه تُحشرون ۞ وهو الذي يُحيي ويُميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون ﴾. (المؤمنون [٢٣]الآية ٧٨ ـ ٨٠)

٢٢ ـ ﴿ وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سُباتاً وجعل النهار نشورا﴾ .
(الفرقان [٢٥]الآية ٤٧)

٢٣ ـ ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربّك قديرا﴾.
(الفرقان [٢٥]الآية ٥٤)

٢٤ ـ ﴿.... إلّا ربّ العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يُطعمني ويُسقين ۞ ﴾.(الشعراء[٢٦]الآيات ٧٧ ـ ٨٢)

٢٥ ـ ﴿ أمّن يُجيب المُضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءَإلهٌ مع الله قليلاًماتذكّرون ۞ أمّن يهديكم في ظلمات البرّ والبحر ومن يُرسل الرياح بُشراً بين يدَيْ رحمته ءَإلهٌ مع الله تعالى الله عمّا يُشركون ﴾.
(النمل [٢٧]الآية ٦٢ ـ ٦٣)

٢٦ ـ ﴿ أولم يتفكّروا في أنفسكم ماخلق الله السّمٰوات والأرض ومابينهما إلّا بالحق وأجلٍ مسمّىً وإنّ كثيراً من الناس بلقاءِ ربّهم لكافرون ۞ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشدّ منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر ممّا عمروها وجاءتهم رُسُلهم بالبيّنات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾. (الروم [٣٠]الآية ٨ ـ ٩)

٢٧ ـ ﴿ فسَبْحان الله حين تُمسون وحين تُصبحون ۞ وله الحمدُ في السمٰوات والأرض وعشيّاً وحين تُظهرون ۞ يُخرج الحيَّ من الميّت ويُخرج الميّت من الحيّ ويُحيي الأرض بعد موتها وكذلك تُخرجون ۞ ومن آياته أن

خلقكم من تُرابٍ ثم اذا أنتم بشرٌ تنتشرون* ومن آياته أنْ خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودّة ورحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون* ومن آياته خلْق السمٰوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين * ومن آياته منامُكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون * ومن آياته يُريكم البرق خوفاً وطمعاً ويُنزّل من السماء ماءً فيُحيي به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون * ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثمّ اذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾.

(الروم [٣٠] الآية ١٧ ـ ٢٥)

٢٨ ـ ﴿ اللّه الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يُميتكم ثم يُحييكم هل من شركائكم مَنْ يفعلُ من ذلكم من شيء سبحانه وتعالىٰ عمّا يُشركون ﴾. (الروم [٣٠] الآية ٤٠)

٢٩ ـ ﴿الذي أحسن كل شيء خلْقه وبدأ خلْقَ الانسان من طين* ثم جعل نسله من سلالة من ماءٍ مهين* ثم سوّيٰه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السّمع والأبصار والأفئدة قليلاً ماتشكرون* وقالوا ءاذا ضللنا في الأرض ءأنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون * قل يتوفّاكم ملك الموت الذي وُكّل بكم ثم الىٰ ربكم تُرجعون﴾ . (السجدة [٣٢] الآية ٧ـ ١١)

٣٠ ـ ﴿ قل من يرزقكم من السمٰوات والأرض قل آللّه وأنا أو إيّاكم لعلىٰ هدىً أوفي ضلالٍ مبين ﴾. (سبا [٣٤] الآية ٢٤)

٣١ ـ ﴿ واللّه خلقكم من تُراب ثم من نُطفةٍ ثم جعلكم أزواجاً وماتحمل من أُنثىٰ ولاتضعُ إلّا بعلمه ومايُعمّر من معمّرٍ ولا يُنقص من عمره الا في كتاب إنّ ذلك علىٰ اللّه يسير ﴾. (فاطر [٣٥] الآية ١١)

٣٢ ـ ﴿ ياأيّها الناسُ أنتم الفقراءُ الىٰ اللّه واللّه هو الغني الحميد * إنْ يشأ يُذهبكم ويأتِ بخلْقٍ جديد ﴾. (فاطر [٣٥] الآية ١٥ ـ ١٦)

٣٣ ـ ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كُفرهُ ولايزيدُ الكافرين كُفرهُم عند ربهم إلاّ مقتاً ولايزيد الكافرين كُفرهُم إلاخسارا ﴾.

(فاطر [٣٥] الآية ٣٩)

٣٤ ـ ﴿ أولم يَرَ الانسانُ أنّا خلقناه من نطفةٍ فاذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلاً ونسي خلْقه قال من يحيي العظامَ وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّةٍ وهو بكلِّ خلقٍ عليم ﴾. (يس [٣٦] الآية ٧٧ ـ ٧٩)

٣٥ ـ ﴿ فاستفْتهم أهم أشدُّ خلْقاً أم مَنْ خلَقْنا إنّا خلقْناهم من طين لازب ﴾.

(الصافات [٣٧] الآية ١١)

٣٦ ـ ﴿ خلَقكم منْ نفس واحدةٍ ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بُطون أمّهاتكم خلقاً بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم اللّهُ ربُّكم له الملك لا إله إلا هو فأنّىٰ تُصرفون ﴾. (الزمر [٣٦] الآية ٦)

٣٧ ـ ﴿ اللّه يتوفّىٰ الأنْفُسَ حينَ مَوْتِها والتي لم تمتْ في منامها فيُمسك التي قضىٰ عليها الموت ويُرسلُ الأُخرىٰ إلىٰ أجل مسمّىٰ إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكّرون ﴾. (الزمر [٣٩] الآية ٤٢)

٣٨ ـ ﴿ أولم يعلموا أنّ اللّه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنّ في ذلك لآيات لقومٍ يُؤمنون ﴾. (الزمر [٣٩] الآية ٥٢)

٣٩ ـ ﴿ هو الذي يُريكم آياته ويُنزّل لكم من السماء رزقاً ومايتذكّر إلّا من يُنيب ﴾. (المؤمن [٤٠] الآية ١٣)

٤٠ ـ ﴿ اللّه الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماءَ بناءً وصوّركم فأحسنَ صُورَكم ورزقكم مِنَ الطيِّبات ذلكم اللّه ربكم فتبارك الله ربّ العالمين ﴾.

(المؤمن [٤٠] الآية ٦٤)

٤١ ـ ﴿ هو الذي خلقكم من ترابٍ ثم من نطفة ثم من علقة ثم يُخرجكم

طفلاً ثم لتبلغوا أشدّكم ثم لتكونوا شُيوخاً ومنكم من يُتوفّىٰ من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمّىٰ ولعلّكم تعقلون * هو الذي يُحيي ويُميت فاذا قضىٰ أمراً فانّما يقول له كن فيكون ﴾. (المؤمن [٤٠] الآية ٦٧ ـ ٦٨)

٤٢ ـ ﴿ اللّه الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجةً في صدوركم وعليها وعلى الفلك تُحملون ﴾.

(المؤمن [٤٠] الآية ٧٩ ـ ٨٠)

٤٣ ـ ﴿ سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتىٰ يتبيّن لهم أنّه الحقُّ أولَمْ يكْفِ بربّك أنّه على كل شيء شهيد ﴾. (فصلت [٤١] الآية ٥٣)

٤٤ ـ ﴿ فاطر السمٰوات والأرض جعل لكم من أنفكسم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾. (الشورى [٤٢] الآية ١١)

٤٥ ـ ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولُنّ اللّه فأنّىٰ يُؤفكون ﴾.

(الزخرف [٤٣] الآية ٨٧)

٤٦ ـ ﴿ اللّه الذي سخّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون * وسخّر لكم مافي السمٰوات ومافي الأرض جيمعاً منه إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون ﴾. (الجاثية [٤٥] الآية ١٢ ـ ١٣)

٤٧ ـ ﴿ وأنْ ليس للانسان إلّا ماسعىٰ * وأنّ سعيه سوف يُرىٰ * ثم يُجزاه الجزاء الأوفىٰ * وأنّ إلىٰ ربّك المنتهىٰ * وأنّه هو أضحك وأبكىٰ * وأنّه هو أمات وأحيا * وأنه خلق الزوجين الذكر والانثىٰ * من نطفةٍ إذا تُمنىٰ * وأنّ عليه النشأة الأُخرىٰ * وأنّه هو أغنىٰ وأقنىٰ ﴾. (النجم [٥٣] الآية ٣٩ ـ ٤٨)

٤٨ ـ ﴿ الرحْمن * علّم القرآن * خلق الانسان * علّمه البيان ... خلق الانسان من صلصال كالفخار ﴾. (الرحمن [٥٥] الآية ١ ـ ٤ و ١٤)

٤٩ ـ ﴿ نحن خلقناكم فلولا تُصدّقون * أفرأيتم ماتُمنون * ءأنتم تخلقونه أم

نحن الخالقون * نحن قدّرنا بينكم الموت ومانحن بمسبوقين * على أن نُبدّل أمثالكم وننشئكم فيمالا تعلمون ﴾. (الواقعة [٥٦] الآية ٥٧ ـ ٦١)

٥٠ ـ ﴿ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير * خلق السموات والأرض بالحق وصوّركم فأحسن صوركم واليه المصير ﴾.

(التغابن [٦٤] الآية ٢ ـ ٣)

٥١ ـ ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسنُ عملا ﴾.

(الملك [٦٧] الآية ٢)

٥٢ ـ ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النُشور ﴾. (الملك [٦٧] الآية ١٥)

٥٣ ـ ﴿ مالكم لاترجون لله وقارا * وقد خلقكم اطوارا ... والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يُعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا ﴾. (نوح [٧١] الآيات ١٣ـ١٨)

٥٤ ـ ﴿ قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ماتشكرون * قل هو الذي ذرأكم في الأرض واليه تُحشرون ﴾.

(الملك [٦٧] الآية ٢٣ ـ ٢٤)

٥٥ ـ ﴿ ألم نخلقكم من ماءٍ مهين* فجعلناه في قرارٍ مكين* إلى قدر معلوم* فقدرْنا فنعم القادرون * ويل يومئذٍ للمكذّبين ﴾. (المرسلات [٧٧] الآية ٢٠ـ٢٥)

٥٦ ـ ﴿ وخلقْناكم أزواجا * وجعلنا نومكم سُباتا ... يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ﴾. (النبا [٧٨] الآية ٨ ـ ١٨)

٥٧ ـ ﴿ قُتل الانسان ما أكفره * من أيّ شيء خلقه* من نطفة خلقه فقدّره* ثم السبيل يسره* ثم أماته فأقبره* ثم اذا شاء أنشره ﴾. (عبس [٨٠] الآية ١٧ ـ ٢٢)

٥٨ ـ ﴿ ياأيها الإنسان ماغرّك بربّك الكريم * الذي خلقك فسوّيك فعدلك* في أيّ صورة ماشاء ركّبك ﴾. (الانفطار [٨٢] الآية ٦ ـ ٨)

٥٩ ـ ﴿ فليعبدوا ربّ هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾. (قريش [١٠٦] الآية ٣ ـ ٤)

آيات الفصل كما ترىٰ تُنبه الانسان نحو طرائف خلقه ودقائق تطورات مبدئه من مراحل تكونه في العالم ثم تصوّره في الارحام من قبل اللّه تعالىٰ كيف يشاء بحسب الفرد نسلاً بعد نسل ومشيرة الى منتهاه عبر المراحل المختلفة ؛ مبتدئة بكونه : طفلاً وشاباً حين بلوغه أشدّه ، وشيخاً حتى ردّه الى أرذل العمر ، وموتاً ونشوراً ، وإلىٰ معبره كلياً من الموت الىٰ الحياة ثم الموت ثانياً فالحياة كذلك راجعاً الى الله تعالىٰ وعالم لايتناهىٰ بحسب ذاته الخلقي[١] .

فتشير الآيات الكريمة الآنفة الذكر الى مادة تكوّن الانسان وأساسه من أنّه تعالىٰ بدأ خلق الانسان من طين أو من الأرض أو من سلالة من طين ، ومن تراب أو من طين لازب أو صلصال كالفخار أو من صلصال من حمإٍ مسنون ، والظاهر في هذه المواد كلها في ان الانسان خلق من خلاصة وسلالة من تراب عُجن بالماء فصار طيناً ثم كمل واستكمل علىٰ حمإٍ وحرارة فتغيّر مسنوناً بإرادة الله تعالىٰ وأمره فاذا سوي وبلغ إلى استعداد قبول عناية الله تعالىٰ وروحه نفخ فيه فصار ممتازاً فاخراً كأنّه ذا صوت من فخره فإذا هو إنسان ذو بعدين تراب وطين لازب، وروح من العالم العلوي الربوبي، وليس في نظام الخلقة هكذا شيء مثله.

وتشير الآيات الكريمة أيضاً إلىٰ بقاء الإنسان بحسب النسل والنوع بأنّه تعالىٰ خلق الإنسان من نفس واحدة فخلق أو جعل منها زوجها ليسكن إليها، وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً، وجعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة وجعل بينهم مودّة ورحمة وكان ذلك بأنْ جعل نسله أي نسل الإنسان الأولي المخلوق من طين من سلالة من

---

١ ـ يشير ذلك الى دفع اشكال الخلود للمثاب والمعاقب بأن الاطاعة أو العصيان الموقت كيف يوجب العذاب الأبدي أو ثوابه بأن ذلك مقتضىٰ ذلك العالم كما سيأتي تفصيله انشاء الله في بحث .

ماءٍ مهين أو من الماء إذا يُمنىٰ بأن يغشىٰ الزوج زوجته فتحمل منه حملاً خفيفاً، فجعله تعالىٰ نطفة في قرار مكين إلىٰ قدر معلوم، ثم خلق النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاماً ثم كسا العظام لحماً، خلقاً بعد خلق في ظُلمات ثلاث وأنشأ أو جعل له السمع والبصر والفؤاد فإذا سوّاه نفخ فيه من روحه وأنشأه خلقاً آخر ثم أخرجه من بطن أمّه طفلاً؛ فمنهم من يُردّ إلىٰ أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً ومنهم من يبلغ أشدّه ثم يكون شيخاً ومنهم من يُتوفّىٰ قبل ذلك وما يُعمر من مُعمّر ولا يُنقص من عمره إلّا في كتاب مبين والله يتوفّىٰ الأنفس حين موتها.

فالله تعالى هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة وصوّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ، وهو الذي يصوّركم في الارحام كيف يشاء وهو الذي ذرأكم في الأرض فإذا أنتم بشر تنتشرون ، وجعل لكم فيها معايش ، والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع ومنها تأكلون ، وعليها وعلى الفلك تحملون ، واللّه فضّل بعضكم على بعض في الرزق ، وسخر لكم مافي الأرض ، والفلك تجري في البحر بأمره ولتبتغوا من فضله ، وسخر لكم مافي السمٰوات ومافي الأرض جميعاً ، وجعل لكم الأرض ذلولاً ، فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ، فمنكم كافر ومنكم مؤمن ، **﴿وأنْ ليس للانسان إلّا ماسعىٰ، وأن سعيه سوف يُرىٰ فهو الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف، وهو الذي يطعمني ويسقين، واذا مرضت فهو يشفينِ، والذي يميتني ثم ثم يُحيينِ﴾** فكل هذه آياتٌ بينات ؛ ومن آياته أيضاً منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله .

﴿فسبحان الله حين تُمسون وحين تُصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تُظهرون، يُخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحي﴾.

﴿ فياأيها الانسان ماغرّك بربّك الكريم الذي خلقك فسوّاك فعدلك في أي

صورة ماشاء ركبك ﴾ .

فالآيات الكريمة ـ كما ترىٰ ـ تنبّه الانسان نحو نفوذ قدرة اللّه تعالى وجريان إرادته على الدوام وفي كل آن وشأن من شؤون حياة الانسان ومختلف مجالاته ومراحل تطوّراته وكمالاته ، أي من أوّل خلقه جسماً من مراتب تكامل التراب مع الرطوبة والحرارة حسب نظام الماء والحمأ والتسنّه حتى استوائه واستعداده لقبول الروح . ثم أنشأه تعالىٰ انساناً كاملاً ذا روح بعنايته تعالىٰ وإفاضته ، فجعل الانسان الأولي الذي هو بمثابة الأب لبنيه والأساس لنوعه خليفتَهُ في الأرض ، وجعل نسله محفوظاً باقياً جيلاً بعد جيل ، فخلق له زوجة من نفس واحدة وذلك ليكونا انساناً من حقيقة واحدة ونوع واحد ، ذكراً وانثىٰ، فتغشاها زوجها فحملت منه من ماء مهين دافق الى قرار مكين الى قدر معلوم ، فخلق الانسان من نطفة مروراً بمراحل تكامل الجنين بالخلق والافاضة ، الىٰ استعداده لقبول الحياة العالية الجوهرية اللطيفة التي هي عناية الٰهية أيضاً ، ثم تولّده من الأمّ ومروره بمراتب معيشته ، ثم تكامله طفلاً فشاباً فشيخاً ؛ ورزقه من البر والبحر ، وصحّته ومرضه وكلّ مايرتبط بجسمه بل بروحه من كفره وايمانه الى موته ونشوره .. كل ذلك بعناية الله تعالى وفيضه ، وهو الأساس في وجود الإنسان وبقائه . وهو تعالىٰ علىٰ كل شيء قدير ، وبكل شيء محيط ؛ وذلك معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ سَنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتىٰ يتبين لهم أنّه الحقُّ ﴾ ومع ذلك كلّه ترىٰ الانسان لايؤمن بالله واليوم الآخر ، بل هو خصيم مبين فينكر الحقّ والبعث ويضرب الأمثال الواهية ناسياً خلْقه وإنشاءه أول مرة ﴿فاستفْتهم أهُمْ أشدُّ خلْقاً أم مَنْ خلقْنا﴾ فان تحريك وجدانهم الباطني وطرح سؤال عن أصل وجودهم وظهورهم في عالم الظهور وطريقة تحققهم وكيفية ظهور وجودهم ومقارنتهم مع مايحيطهم من الأشياء ، كالأرض والسماء ، ومابينهما لهو خير طريق لتوجيه الانسان إلىٰ الله تعالىٰ الرب الودود وايمانه بالله الذي يبسط الرزق لمن

يشاء ويقدر ، والذي يحيي ويُميت ، الذي خلق السمٰوات والأرض بالحق ، إنْ يشأ يُذهبكم ويأت بخلق جديد .

وبعد ذلك كله وبيان الآيات الكريمة التي عرفت ممّا في الأرض والسماء ومابينهما ، وفي نفس الانسان ، وقد أحاطته الآيات الكريمة وشملتْه العلامات الواضحة بأنه تعالى أقرب اليه من حبل الوريد وعرق الحياة ، فان آمن بالله واليوم الآخر فقد سعد وفاز ، وإلّا فهو الذي يقال فيه : ﴿قُتِل الانسان ماأكفره﴾ وهو الذي ينتهي بحكم النظام الأكمل الاعدل الى عذاب السعير بمقدار ما أعدّ لنفسه .

الى هنا انتهى بحث التوحيد ومايرتبط به اجمالاً حسب الآيات الكريمة من كتاب الله العظيم . اللهم وفقنا لاتمام بحث الأصول وتنظيم آياتها لتكون ذخراً لنا في يوم لاينفع مالٌ ولابنون[١] .

ومايبنغي التنبيه اليه والتوجه نحوه في ختام هذا البحث ـ وإن كان لايختص به ـ ماهو الفرق في تعبير الآيات الكريمة عند بيان مراحل الخلقة في الأرض والسماء ومابينهما وفي الانسان وغيره بل في الأبحاث المختلفة القرآنية بصيغة الجمع كثيراً وبالمفرد أحياناً ؟ كما ترى في قوله تعالى في صيغة الجمع حيث يقول : ﴿ ... سُقناه لبلدٍ ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نُخرج الموتى... ﴾ .

(الاعراف [٧] الآية ٥٧)

١ ـ ﴿ ... يُسقىٰ بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل... ﴾ .

(الرعد [١٣] الآية ٤)

٢ ـ ﴿ ولقد جلعنا في السماء بُروجاً وزيّنّاها للناظرين * وحفظناها من كل

---

١ - ٢٠ / ٢٤ / ٩٩ الموافق لـ ١٠ / ١ / ٥٧ المطابق لأربعين المقتولين من بلدة تبريز في كفاحهم ضد الحكومة البهلوية الجائرة ، القاتلة طلاب العلوم الدينية في قم المشرفة ، وكان ذلك في يوم الأربعين لشهداء قم . بندر لنكه / اليزدي .

شيطان رجيم ... والأرض مددْناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون * وجعلنا لكم فيها معايش ....وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه... ﴾ . (الحجر [١٥] الآيات ١٦ ـ ٢٢)

٣ ـ ﴿ ألم نجعل الأرض مهاداً* والجبال أوتاداً* وخلقْناكم أزواجاً* وجعلنا نومكم سباتاً* وجعلنا الليل لباساً* وجعلنا النهار معاشاً* وبنينا فوقكم سبعاً شداداً* وجعلنا سراجاً وهاجاً* وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجّاجا ﴾ .

(النبا [٧٨] الآية ٦ ـ ١٤)

٤ ـ ﴿ نحن خلقناكم فلولا تصدقون * ... نحن قدّرنا بينكم الموت... ﴾ .

(الواقعة [٥٦] الآية ٥٧ ـ ٦٠)

الىٰ غير ذلك من الآيات الكريمة التي تشمل عالم الكون والتي هي بصيغة الجمع في اكثر المسائل .

وأمّا الآيات التي بصيغة المفرد ، كما في قوله تعالىٰ :

١ ـ ﴿ ...لا إله إلّا أنا فاتقون ﴾ . (النحل [١٦] الآية ٢) .

٢ ـ ﴿ إنني أنا الله لا إله إلّا أنا فاعبدني... ﴾ . (طه [٢٠] الآية ١٤)

٣ ـ ﴿ ... إنّه لا إله إلا أنا فاعبدونِ ﴾ . (الانبياء [٢١] الآية ٢٥)

٤ ـ ﴿ ... وأنا أعلم بما أخفيتم وماأعلنْتم... ﴾. (الممتحنة [٦٠] الآية ١)

٥ ـ ﴿ وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة ... قال إنّي أعلم مالاتعلمون ﴾ . (البقرة [٢] الآية ٣٠)

٦ ـ ﴿...إنّي أعلم غيْبَ السمٰوات والأرض وأعلم ماتُبدون وماكنتم تكتمون﴾ . (البقرة [٢] الآية ٣٣)

٧ ـ ﴿ يابني اسرائيل آذكروا نعمتيَ التي أنعمت عليكم وأنّي فضلتكم علىٰ العالمين ﴾ . (البقرة [٢] الآية ٤٧)

٨- ﴿ ... إني خالقٌ بشراً من صلصال من حمأ مسنون * فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ . (الحجر [١٥] الآية ٢٨ ـ ٢٩)

٩ـ ﴿ ... انّي خالقٌ بشراً من طين * فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ . (ص [٣٨] الآية ٧١ ـ ٧٢)

١٠. ﴿ نبّئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم ﴾ . (الحجر [١٥] الآية ٤٩)

الىٰ غير ذلك من الموارد ، وكون ضمير الغايب مفرداً كثير لايحصى؛ مثل : ﴿ هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعاً... ﴾ (البقرة [٢] الآية ٢٩) ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً...﴾ (الفرقان [٢٥] الآية ٥٤)

فقد قيل في وجه الفرق في استعمال ضمير الجمع اكثر من ضمير المفرد في الايات الكريمة أمور ، منها : التعظيم والاكرام عند استعمال الجمع ، والتفخيم في المفرد وأمثال ذلك ؛ والذي يخطر بالبال أنّ في موارد استعمال الجمع استخدمت الطرق والوسائل أو الواسطة ، وتحصُّل الشيء وتحقُّقه في الخارج لم يكن إلا بالأسباب ، وتلك الموارد موضوع الحديث الوارد عن الصادق عليه السلام : (أبىٰ الله ان يجري الأشياء إلّا بالأسباب)[1] فإنّ رتق السماء وفتقها وخلْق الانسان من تراب واعادته فيه واخراجه منه وسائر ماعرفت من الآيات الكريمة لم يوجد الا مع الواسطة . وتوضيح البحث كما فُصل في مسألة ارتباط الوحدة والكثرة في العلوم العقلية فهو خارج عن موضوع هذه الرسالة .

وأما في مثل الالوهية والعلم وجعل الخليفة بأصل الخلق وإنعام النعمة وتسوية الخلق ونفخ الروح فكما تعلم لامعنى للواسطة فيها فإنّ الابداع والانشاء أو الجعْل غير الرتق والفتق ، فاستُعمل مفرداً .

وأما المفرد في قوله تعالىٰ : ﴿إنّي خالق بشراً من صلصال﴾ أو ﴿من طين﴾ ،

---

١ - البحار : ج ٢ ص١٦٨ .

بل في أكثر موارد المفرد فقد استعمل بضمير الغايب مثل : ﴿هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعاً﴾ فقد ذكر نفس السبب والوسيلة أيضاً أوكان المتعلق نفس الخلق أي إفاضة الوجود واشراقة نحو القابل بعد تهيئته ؛ والأول لايقبل الواسطة دون الثاني فتأمل لعلّك لاتجدُ نقضاً لما خطر بالبال والله تعالى هو العالم بالحال .

والحمد لله وله الشكر على المبدأ والمآل .



الأصل الثاني:

النبوّة



النبوة

النبوة أساس السعادة، فان الخالق تعالىٰ بعد أن جعل افضل مخلوقاته وأشرفهم الانسان، وهو يفترق عنهم بصفة الاختيار ويختلف مسيره حسب اختلاف انتخابه واختياره فينتهي الى السعادة العليا أو الى الشقاوة الدنيا أو أنّه يتردد بينهما، فأعطاه الله تعالىٰ العقل وامتازه بنوره ـ تعالىٰ ـ وستره الذي يستضيء به الانسان ويعرف طريقه، إلّا أنّ العقل ليس في طاقته إضاءة الطريق له الى النهاية لامتناع احاطته بمجموع العالم المؤثر في الانسان المتأثر به، ولايعلم حق صلاحه وفساده الىٰ النهاية، وهذا لايتأتّىٰ الا لله تعالىٰ الخالق للوجود المفيض للحياة، فلابد من رابطة وثيقة بين الإنسان وخالق العالم الذي هو الله تعالى، ولسهولة الارتباط به لابد وأن يكون بواسطة من نوع الانسان ، فانه تعالى يصطفي منهم وينتخب من يتمكّن من الارتباط مع المبدأ الاعلى ويستلم الحكم والأمر بالوحي، وكذلك يتمكّن من المعاشرة مع الناس بطبقاتهم، فيبلغ اليهم ماأوحي اليه ويُنبئهم به ويمتاز بسعة الصدر للدرجة التي تسع الرابطة بين الخلق والخالق، وهذا لايتأتىٰ لإنسان قط الا بعناية خاصة من الله تعالىٰ. والعالَم بلا رسول كالانسان بلا عقل. وحيث ان ذلك المقام لايُعلم بالادعاء ولايثبت الا بدليل، فلابد من ذلك، ولابد من إثبات وجود تلك الرابطة المتوخاة فيه، وهذا لايتمّ إلّا بإتيان مالايمكن اتيانه إلّا بالقدرة الربانية أي الاعجاز ؛ وحقيقته العمل الالهي على يد النبي. ويفترق الاعجاز عن سائر الاعمال المشابهة في كونها تجري وفق قوانين كلية يتمكن منها كل من عرفها، دون الاعجاز. وليس هنا محل تفصيل الكلام في خصوصيات البحث. والكلام في هذا الباب (النبوة) في فصول :

الفصل الاول :

في أصل النبوّة العامة

١ ـ ﴿ كان الناسُ أمّةً واحدةً فبعث الله النبيّين مبشّرين ومُنذرين وأنزل معهم الكتاب... ﴾ . (البقرة [٢] الآية ٢١٣)

٢ ـ ﴿ لقد منَّ الله على المؤمنين إذْ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم... ﴾ . (آل عمران [٣] الآية ١٦٤)

٣ ـ ﴿ ماكان اللّه ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه ... ولكنّ الله يجتبي من رُسُله من يشاء فآمنوا باللّه ورسله ... ﴾ . (آل عمران [٣] الآية ١٧٩)

٤ ـ ﴿ ... اللّهُ أعلم حيثُ يجعلُ رسالته ... ﴾ (الانعام [٦] الآية ١٢٤)

٥ ـ ﴿ولقد بعثنا في كل أمّةٍ رسولاً أن أعبدوا اللّه واجتنبوا الطاغوت...﴾ .

(النحل [١٦] الآية ٣٦)

٦ ـ ﴿ اللّه يصطفي من الملائكة رُسُلاً ومن الناس إنّ اللّه سميع عليم ﴾ .

(الحج [٢٢] الآية ٧٥)

٧ ـ ﴿ثم أرسلنا رُسُلنا تترى كلّما جاء أُمةً رسولُها كذّبوه...﴾ .

(المؤمنون [٢٣] الآية ٤٤)

٨ ـ ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإنْ مِنْ أُمةٍ الا خلا فيها نذير﴾ .

(فاطر [٣٥] الآية ٢٤)

٩ ـ ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وماكان لرسولٍ أن يأتي بآية الا باذن الله ... ﴾ . (المؤمن [٤٠] الآية ٧٨)

١٠ ـ ﴿ وكم أرسلنا من نبيٍ في الأولين ﴾ . الزخرف [٤٣] الآية ٦)

١١ ـ ﴿ وكذلك ماأرسلنا من قبلك في قريةٍ من نذير إلّا قال مترفوها إنّا وجدنا آباءنا علىٰ أُمةٍ وإنّا علىٰ آثارهم مقتدون ﴾ . (الزخرف [٤٣] الآية ٢٣)

١٢ ـ ﴿ كتَب الله لأغلبنَّ أنا ورُسلي إنّ الله قويٌ عزيز ﴾ . (المجادلة [٥٨] الآية ٢١)

ومُلَخّص هذه الآيات الكريمة الاثنتي عشر هو أن الناس كانوا على طريقة واحدة من الضلال ، لايعرفون الحق من الباطل ولايميّزون الخير من الشر في حياتهم النوعية ، إلّا ما ألهم اللّهُ تعالىٰ قليلاً منهم ، بالعقل ، فمنَّ اللّه تعالى عليهم إذْ بعث فيهم رُسُلاًمن أنفسهم حتىٰ يتمكنوا من الارتباط والاهتداء بسهولة بهم ، لا عن طريق الملائكة أو الأجنّة الذين هم أنواع أُخرىٰ من مخلوقاته تعالىٰ ، وقد جعل سبحانه الملائكة رسلاً بينه وبين انبيائه (عليهم السلام) ، وحيث لايناسب عناية الله تعالىٰ ورأفته بالناس أن يذرهم من غير هادٍ ورسول فيتخذوا سبيل الضلال ويكونوا حيارىٰ ، اجتبىٰ من رسله من يشاء وجعل له الرسالة وهو أعلم حيث يجعل رسالته ، ولا يختصّ ذلك بأمّة دون أُمّة ، أو قوم دون قوم ، فأرسل ـ سبحانه ـ رسله بصورة متتالية ومتوالية واحداً بعد واحدٍ متسلسلاً بتعاقب الاجيال ، وماخلا أُمّة من نذير من الأولين والآخرين ممّن قصّ علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قصصهم أولم يقصص .

وكان الأنبياء عليهم السلام كلما دعوا قومهم الىٰ الايمان باللّه واليوم الآخر وهما : (المبدأ والمعاد) قال مترفوهم : إنّا وجدنا آباءنا وأسلافنا علىٰ طريقة وإنّا علىٰ آثارهم لمقتدون ، فكان يثقل عليهم التغيير وقبول سبيل الحق المانع عن ضلالتهم ، وأمّا كيفية مخالفتهم معهم (عليهم السلام) وماهي أهدافهم وغير ذلك فهو كما سنبيّنه في الفصل التاني انشاء الله .

الفصل الثاني :

في تعجب الناس من بعثة الانبياء وتكذيبهم لهم

١ ـ ﴿ أوعجبتم أن جاءكم ذكرٌ من ربّكم على رجلٍ منكم ليُنذركم ولتتقوا ولعلّكم تُرحمون * فكذّبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك... ﴾ .

(الاعراف [٧] الآية ٦٣ ـ ٦٤)

٢ ـ ﴿ وإلى عادٍ أخاهم هوداً قال ياقوم اعبدوا اللّه مالكم من إله غيره أفلا تتّقون * قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنّك من الكاذبين* قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين * أبلّغكم رسالاتِ ربّي وأنا لكم ناصحٌ أمين * أوَعجِبْتم أن جاءكم ذكرٌ من ربّكم على رجل منكم ليُنذركم... ﴾ . (الاعراف [٧] الآية ٦٥ ـ ٦٩)

٣ ـ ﴿ أكان للناس عجباً أنْ أوحيْنا إلى رجلٍ منهم أنْ أنذر الناس وبشّر الذين آمنوا أنّ لهم قدم صِدْقٍ عند ربّهم قال الكافرون إنّ هذا لساحرٌ مبين﴾ .

(يونس [١٠] الآية ٢)

٤ ـ ﴿ واتلُ عليهم نبأ نوحٍ إذْ قال لقومه ياقومِ إنْ كان كبرُ عليكم مقامي وتذكيري بآيات اللّه فعلى اللّه توكّلتُ فأجمعوا أمركم ... ﴾ . (يونس [١٠] الآية ٧١)

٥ ـ ﴿ ومامنعَ الناسَ أنْ يُؤمنوا إذْ جاءهم الهدى إلّا أنْ قالوا أبعثَ اللّه بشراً رسولاً ﴾ . (الاسراء [١٧] الآية ٩٤)

٦ ـ ﴿ وقالوا ما لهذا الرسولُ يأكلُ الطعامَ ويمشي في الأسواق لولا أُنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ﴾ . (الفرقان [٢٥] الآية ٧)

٧ ـ ﴿ وقوم نوح لمّا كذّبوا الرُّسُلَ أغرقْناهم وجعلْناهم للناس آية وأعتدْنا للظالمين عذاباً أليما * وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً .... وإذا رأوْك إنْ يتّخذونك إلّا هُزوا أهذا الذي بعثَ اللّهُ رسولا ﴾ .

(الفرقان [٢٥] الآية ٣٧ و ٣٨ و ٤١)

٨ ـ ﴿ إذْ أرسلنا إليهم آثنين فكذّبوهما فعزَّزْنا بثالثٍ فقالوا إنّا إليكم مرسلون * قالوا ماأنتم ألاّ بشر مثلنا ومـاأنزل الرحْمن من شيءٍ إنْ أنتم إلّا تكذبون * قالوا ربُّنا يعلم إنّا إليكم لمرسلون ﴾ . (يس [٣٦] الآية ١٤ ـ ١٦)

٩ ـ ﴿ وعَجِبوا أنْ جاءهم منذرٌ منهم وقال الكافرون هذا ساحرٌ كذّاب * أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنَّ هذا لشيءٌ عُجاب ... كذّبتْ قبلهم قوم نوحٍ وعادٌ وفرعون ذو الأوتاد * وثمود وقومُ لوطٍ وأصحابُ الأيكة أُولئك الأحزاب * إن كلٌّ إلّا كذّب الرُّسلَ فحقَّ عقابِ ﴾ . (ص [٣٨] الآية ٤ ـ ٥ و ١٢ ـ ١٤)

١٠ ـ ﴿ كذّبتْ قبلهم قومُ نوح والأحزاب من بعدهم وهمّتْ كلُّ أُمةٍ برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليُدحضوا به الحقّ ... ﴾ . (المؤمن [٤٠] الآية ٥)

١١ ـ ﴿ فلما جاءتهم رُسُلهم بالبنيات فرِحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون ﴾ . (المؤمن [٤٠] الآية ٨٣)

١٢ ـ ﴿ ومايأتيهم من نبيٍ الا كانوا به يستهزئون ﴾ . (الزخرف [٤٣] الآية ٧)

١٣ ـ ﴿ ق والقرآن المجيد * بل عجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم فقال الكافرون هذا شيءٌ عجيب ﴾ . (ق [٥٠] الآية ١ ـ ٢)

١٤ ـ ﴿ كذلك ماأتى الذين من قبلهم من رسول إلّا قالوا ساحرٌ أومجنون ﴾ .

(الذاريات [٥١] الآية ٥٢)

ملخّص هذه الآيات الكريمة هو أنّ الناس كانوا يتعجّبون من أنْ يُبعث اليهم رجلٌ منهم وهو كأحدهم في الحياة والمعيشة فيأكل ويمشي في الأسواق ،ولا فرق بينه وبين غيره حسب الظاهر ؛ فكيف يمكن أن يكون هذا الرجل نبيّاً مرسلاً من قبل اللّه تعالىٰ ؟ فأخذوا يقولون فيه : ﴿ أبَعَثَ اللّهُ بشراً رسولا ﴾ ؟! و ﴿ أهذا الذي بَعَثَ اللّهُ رسولا ﴾ ؟! وحيث أنّهم لم يتمكّنوا من قبول هذا النبي وكبر عليهم مقامه ، أنكروه بالردّ والتكذيب وأخذوا يقولون له : ﴿ إنّا لنراك في سفاهة ﴾ أو يقولون : ﴿ انّا لنظنّك من الكاذبين ﴾ أو ﴿ انَّ هذا ساحر مبين ﴾ أو ﴿ كذاب ﴾ أو ﴿ مجنون ﴾ ، ويقولون أيضاً : ﴿ وما أنزل الرحمٰن من شيء إنْ أنتم إلاّ تكذبون ﴾ . ثم أنهم بعد تكذيبهم للأنبياء والرسل كانوا يتعجّبون مما يلقون عليهم من أحكام شرعية ونظم اجتماعية وسياسية والتي هي على خلاف ماكان عليه آباؤهم من الوثنية وتعدّد الآلهة فكانوا يقولون مستكبرين : ﴿ أجعل الآلهة إلٰهاً واحداً إنّ هذا لشيء عجاب ﴾ ، فأصرّوا في تكذيبهم وردّهم للأنبياء ﴿ وهمّت كل أُمّةٍ برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليُدحضوا به الحق ﴾ ، فالذي كان يكبر عليهم أمران ؛ الأول : أصل انبعاث انسانٍ من قبل اللّه تعالىٰ وإمكان ارتباطه بالمبدأ على مستوىً يوحى اليه .

الثاني : مدرسة الأنبياء وطريقتهم التي كانوا يدعون الناس اليها لاسيّما في الاصول الاعتقادية كالمبدأ والمعاد أي الايمان بالله تعالىٰ واليوم الآخر ، مع أن ذلك من أوضح الحقائق ، وثبت للانسان في مقام الاثبات أيضاً .

الفصل الثالث :

إعجاز الانبياء

(ألف) في مطلق الانبياء عليهم السلام ؛ قوله تعالىٰ :

١ ـ ﴿ ... وماكان لرسولٍ أنْ يأتِيَ بآيةٍ إلّا بإذن اللّٰه لكلِّ أجلٍ كتاب ﴾ .

(الرعد [١٣] الآية ٣٨)

٢ ـ ﴿ ... وَماكانَ لِرسولٍ أنْ يَأتِيَ بِآيَةٍ إلّا بإذنِ اللّٰه فإذا جاءَ أمرُ اللّٰه قُضِيَ بالحقِّ وخسِرَ هُنالك المبطلون ﴾ . (المؤمن [٤٠] الآية ٧٨)

٣ ـ ﴿قالتْ لهم رسُلُهم إنْ نحن إلّا بشرٌ مثلكم ولكن الله يمنُّ علىٰ مَنْ يشاءُ مِن عباده وماكان لنا أنْ نأتيكم بسُلطانٍ إلّا بإذن اللّٰه وعلىٰ اللّٰه فليتوكَّلِ المؤمنون﴾ .

(ابراهيم [١٤] الآية ١١)

(باء) وفي موسىٰ عليه السلام ؛ قوله تعالىٰ :

١ ـ ﴿ ولقد آتينا موسىٰ تسعَ آياتٍ بيّنات فاسأل بني اسرائيل... ﴾ .

(الاسراء [١٧] الآية ١٠١)

٢ ـ ﴿ قال ألقِها ياموسىٰ * فألقيٰها فإذا هي حيّةٌ تسعىٰ * قال خُذْها ولاتَخَفْ سنُعِيدهُا سِيرتَها الأولىٰ * واضمُم يدك الىٰ جناحك تخرُجْ بيضاءَ من غير سوء آيةً أُخرىٰ * لنُريك من آياتِنا الكبرىٰ * اذهب الىٰ فرعون إنّه طغىٰ ﴾ .

(طه [٢٠] الآية ١٩ ـ ٢٤)[١]

---

١ ـ وفي السورة ذكرت أهمّ مافي قصة موسىٰ عليه السلام من آية ٩ الىٰ ٩٩ منذ رسالته عليه السلام ثم في سورة القصص [٢٨] ←

٣ ـ ﴿ وألْقِ عصاك فلّما رآها تهتزّ كأنّها جانٌّ ولىٰ مُدبِراً ولم يعقّب ياموسىٰ لاتخفْ إنّي لايخاف لديَّ المرسلون* إلّا من ظَلم ثمّ بدَّل حُسْناً بعد سوءٍ فإنّي غفورٌ رحيم * وأدخل يدك في جيبك تخرجْ بيضاءَ منْ غير سوءٍ في تسعِ آياتٍ الىٰ فرعونَ وقومه إنّهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ . (النمل [٢٧] الآية ١٠ ـ ١٢)

٤ ـ ﴿ وأنْ ألْقِ عصاك فلّما رآها تهتزُّ كأنّها جانٌّ ولّىٰ مُدبِراً ولم يعقّبْ ياموسىٰ أقْبِلْ ولاتخفْ إنّك منَ الآمنين * اسلك يدَك في جيبِك تخرُجْ بيضاءَ منْ غير سوء واضمُمْ إليكَ جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربِّك الى فرعون وَمَلِاه إنّهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ . (القصص [٢٨] الآية ٣١ ـ ٣٢)

٥ ـ ﴿ ثمّ بعثنا من بعدهم موسىٰ بآياتنا الىٰ فرعون وملاءه .... قال إنْ كنتَ جئتَ بآيةٍ فَأْتِ بِها إنْ كنتَ من الصادقين* فألقىٰ عصاه فإذا هي ثعبانٌ مبين* ونَزَعَ يدَه فإذا هي بيضاءُ للناظرين[1] ﴾ الىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وأوْحينا الىٰ موسىٰ أنْ ألْقِ عصاك فإذا هي تلقفُ مايأفِكون * فوَقَعَ الحقُّ وبطل ماكانوا يعملون * فغُلِبوا هنالك وانقلبوا صاغرين [2] ﴾ . (الاعراف [٧] الآيات ١٠٣ فما بعد الى ١١٩)

٦ ـ ﴿ وقطّعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً وأوْحينا الىٰ موسىٰ إذِ استسقاهُ قومُه أنِ اضربْ بعصاك الحجَر فانبجستْ منهُ اثنتا عشرة عيناً قد عَلِمَ كلُّ اناسٍ مشربهم ...﴾ . (الاعراف [٧] الآية ١٦٠)

٧ ـ ﴿ وإذِ استسقىٰ موسىٰ لقومه فقلنا اضربْ بعصاك الحجر فانفجرتْ منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كلُّ اُناسٍ مشربهم... ﴾ . (البقرة [٢] الآية ٦٠)

← من آية ٣ الىٰ ٤٤ ذكرت ميلاده عليه السلام الى بعثته وفي سورة الأعراف [٧] قسم منها من آية ١٠٣ الىٰ ١٦٨ وفي سورة البقرة [٢] من آية ٤٠ الى ١٠٥ . كل ذلك تسهيلاً لأمر الرسالة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

١ ـ عند فرعون .

٢ ـ عند السحرة .

(جيم) وفي عيسىٰ عليه السلام ؛ قال تعالىٰ :

١ ـ ﴿ إذْ قال اللّهُ ياعيسىٰ ابنَ مريمَ اذْكُرْ نعمتي عليك وعلىٰ والدتك إذْ أيّدْتك بروح القدس تُكلِّم الناس في المهد وكهلا وإذْ علّمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذْ تخلقُ مِنَ الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتُبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذْ تُخرِجُ الموتىٰ بإذني وإذْ كفَفْتُ بني إسرائيل عنك ... ﴾ . (المائدة [٥] الآية ١١٠)

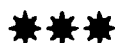
(دال) وفي نبيّنا خاتم الانبياء محمّد صلى الله عليه وآله ؛ قوله تعالىٰ :

١ ـ ﴿ فلّما جاءهم الحقُّ مِنْ عندِنا قالوا لولا أُوتي مِثْلَ ماأُوتي مُوسىٰ .... قل فأتوا بكتابٍ مِنْ عندِ اللّه هو أهدىٰ منهما أتّبعهُ إنْ كنتم صادقين ﴾ .

(القصص [٢٨] الآية ٤٨ ـ ٤٩)

٢ ـ ﴿ وإنْ كنتم في ريبٍ ممّا نزّلنا علىٰ عبدنا فأْتُوا بسورة من مثله وادْعوا شهداءكم من دون اللّه إنْ كنتم صادقين ﴾ . (البقرة [٢] الآية ٢٣)

وسائر الآيات التي هي تحدّي القرآن للمشركين على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ولو بآية ، وستعرفها تحت عنوان «القرآن في القرآن» انشاء الله .



من المعلوم أنّه لابد لإثبات النبوّة وارتباط النبيّ مع المبدأ الأعلىٰ من دليل ؛ وأقوىٰ دليل هو الاتيان بعمل خارق عن الطبيعة لايمكن الاتيان به إلا بقدرة اللّه تعالىٰ وإذنه وإرادته ؛ وذلك العمل هو المعجزة والاعجاز او المعجز ، فإنّه يعجز الآخرين عن الاتيان بمثله .

فالإعجاز عمل النبي عليه السلام بقدرة اللّه تعالى وإذنه ، أو عمل اللّه تعالىٰ وقد فوضّ فيه النبي عليه السلام من وراء الطبيعة وطرقها ، وهو عمل حقيقي عيني دون توهُّم

وتخيُّل أو سحر وتأويل ، ويشير الى ذلك اختلاف التعبير في عمل موسى عليه السلام وماعملته السحرة ؛ قال تعالى :

﴿ ... فإذا حبالهم وعصيُّهم يُخيّل اليه من سحرهم أنّها تسعى ﴾ . (طه[٢٠] الآية ٦٦) **﴿ وألق مافي يمنيك تلقف ماصنعوا إنّما صنعوا كيدُ ساحر ولايُفلح الساحر حيث أتى ﴾** (طه [٢٠]الآية ٦٩). فإنّ كلمة : **﴿ يُخَيّل ﴾** و **﴿ ماصنعوا كيد ساحر ﴾** وكذا **﴿ يأفكون ﴾** في سورة الأعراف [٧] الآية ١١٧ قبال كلمة **﴿ تلقف ﴾** و **﴿ إذا هي حيّة تسعى ﴾** و **﴿ ثعبان مبين ﴾** تشير كلها الى سرّ ذلك ، وأنّ عمل موسى كان التصرّف في حقيقة الشيء ؛ فهو تلقّف واقعي حقيقي عن حيّة وثعبان ، لامجازي ولاظاهري، كما في نظر الآخرين ورؤيتهم ؛ ولذلك أُلقِي السحرةُ ساجدين قبل أنْ يأذن لهم فرعونُ فقد كانوا أعرف بما صنعوا من كيد وخيال . وقد تكلمنا بشطر من هذا البحث في رسالتنا : (نبذ من المعارف الإسلامية) .

وكيف كان ، فالآيات الكريمة تنادي ـ صراحة ـ بأنّ الاعجاز لايمكن لأحدٍ إلا بإذن الله تعلى وقدرته ، وماكان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذنه ، والأنبياء عليهم السلام كانوا يُصرّحون بذلك في مثل قولهم : **﴿ ماكان لنا أن نأتيكم بسلطان إلّا بإذن اللّه ﴾** وفي التقييد بإذن الله في آيات عيسى عليه السلام أيضاً .

ثم تُشير الآيات الكريمة الى بعض تلك المعاجز على سبيل المثال ؛ فالآيات التي كانت لموسى عليه السلام هي تسع ، وقد أُشير الى ثلاث منها ، وهي : عصاه التي القاها فإذا هي ثعبان مبين ، ويده البيضاء للناظرين إذ نزعها لدى فرعون ، وكذلك عصاه حين القاها لدى السحرة فإذا هي تلقف مايأفكون ؛ وذلك برهانان والثالث ضربه بعصاه الحجر فانبجست أو انفجرت منه اثنتا عشرة عيناً عندما استسقاه قومه .

والآيات التي كانت لعيسى روح الله عليه السلام هي أربع وهي : تكلّمه في المهد

صبياً ، وخلقه الطير من الطين ثم نفخه فيه ، وإبراؤه الأكمه والأبرص وإحياؤه الموتىٰ كل ذلك بإذن اللّه تعالىٰ ، ولعل ورود تعبير : اخراج الموتى بدل (إحياء الموتىٰ) كان منعاً عن توجيه عمله وتأويله بالإحياء الروحي والمعنوي .

وأعظم الآيات المباركة والبراهين الساطعة التي كانت لنبيّنا خاتم الانبياء عليه وعلىٰ آله وعليهم السلام، هو القرآن الكريم بلفظه ومعناه ، فإنّه الوجود الكتبي المطلق من الوجود العيني المطلق ، فلا رطْب ولايابس إلّا في كتاب مبين ، وقد فصّلتْ آياته منْ لدُنْ حكيم خبير ، وتفصيل الكلام في محله .

وأمّا طوفان نوح وغرْق المكذّبين ، وكذلك قطْع دابر المكذّبين من قوم هود ، وأخذْ الرجفةِ قومَ صالح بعد عقرهم للناقة فأصبحوا في دارهم جاثمين ، وإهلاك قوم لوط بالمطر عليهم ، وأخْذ الرجفةِ قومَ شعيب وأخذ آل فرعون بنقص الثمرات ثم إرسال الطوفان والجراد والقُمّلِ والضفادع والدم عليهم وإغراقهم في اليمّ في النهاية ، وإرسال الرجز من السماء على بني اسرائيل ومسْخهم بالقردة ، كما فصّل ذلك في الآيات ١٥٩ الىٰ ١٦٦ من سورة الاعراف [٧][١] وتبريد النار لخليل اللّه تعالىٰ ابراهيم عليه السلام المذكور في الآية ٦٩ من سورة الأنبياء [٢١]، وخسْف الأرض بقارون وداره المذكور في سورة القصص ([٢٨] الآية ٨١) وغير ذلك ، إنّما هو مِنْ آيات اللّه تعالىٰ لعباده في سبيل اخراجهم من الظلمات الى النور وإرشادهم الى الحق والخير الكثير ، ولايرتبط بإعجاز الأنبياء عليهم ، وإن كان ايضا في طريق حفظهم وتقويتهم ونجاتهم من الظالمين .

ويُصرح بهذا المعنىٰ نسبةُ العمل الى اللّه تعالىٰ بوجه خاص في قوله تعالىٰ :

---

١ ـ وذكر ذلك في سور أُخرىٰ مثل البقرة [٢] الآية ٦٥ والمائدة [٥] الآية ٦٠ أيضاً فراجع.

﴿... فأنجيْناه والذين معه في الفلك وأغرقْنا الذين كذّبوا...﴾ (الاعراف [٧] الآية ٦٤) ﴿...وقطْعنا دابر الذين كذّبوا...﴾ (الاعراف [٧] الآية ٧٢) ﴿وأمطرْنا عليهم مطراً...﴾ (الاعراف [٧] الآية ٨٤) وهكذا، من غير انتساب الى نبيّ، كما في الإلقاء والضرب واخراج اليد في آيات موسىٰ عليه السلام وعصاه، وفي كلمات: تُكلّم، وتَخْلق، وتَنفخ، وتَبرئ، وتَخرج في آيات عيسىٰ عليه السلام بعد قوله تعالىٰ: ﴿أيّديك بروح القدس﴾، و ﴿كففت بني اسرائيل عنك﴾ فان اختلاف التعبير والنسبة أدَلُّ شيءٍ على ماذُكر، والحمد لله أوّلاً وآخراً.

الفصل الرابع:

في إنّ الانبياء عليهم السلام كلّهم علىٰ طريقة واحدة

وذلك في قوله تعالىٰ:

١ ـ ﴿قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزِل إلىٰ إبراهيم وإسمٰعيل واسحٰق ويعقوب والأسباط وما أُوتي موسىٰ وعيسىٰ وما أُوتي النبيّون من ربّهم لانفرّق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون﴾. (البقرة [٢] الآية ١٣٦)

٢ ـ ﴿ آمن الرسولُ بما أُنزل إليه من ربّه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملٰئكته وكتبه ورُسُله لانفرّق بين أحدٍ من رُسُله وقالوا سمعنا وأطعنا غُفْرانك ربّنا واليك المصير﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٨٥)

٣ ـ ﴿ قل آمنّا بالله وماأُنزل علينا وما أُنزل على إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب والأسباط وما أُوتي موسىٰ وعيسىٰ والنبيّون من ربّهم لانفرّق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون﴾. (ال عمران [٣] الآية ٨٤)

٤ ـ ﴿ ياأيُّها الذين آمنوا آمِنُوا بالله ورسولِهِ والكتابِ الذي نزَّلَ على رسوله والكتابِ الذي انزل من قبلُ ومَنْ يكفر بالله وملٰئكته وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليوم الآخر فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً ﴾ . (النساء [٤] الآية ١٣٦)

٥ ـ ﴿ إنَّ الذين يكفرون بالله ورُسُلِهِ ويُريدون أن يُفرّقوا بين اللّه ورُسُلِهِ ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويُريدون أن يتّخذوا بين ذلك سبيلا * أُولئك هم الكافرون حقّاً ...﴾ . (النساء [٤] الآية ١٥٠ ـ ١٥١)

٦ ـ ﴿ إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلىٰ نوح والنبيين من بعده وأوحينا الىٰ ابراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب والأسباط وعيسىٰ وأيّوب ويونس وهٰرون وسليمان وآتينا داود زبورا * ورُسُلاً قد قصصْناهم عليك من قبل ورُسُلاً لم نقصصْهم عليك وكلّم الله موسىٰ تكليما * رُسُلاً مبشّرين ومنذِرين لئلاً يكونَ للناس على اللّه حجّةٌ بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما ﴾ .(النساء [٤] الآية ١٦٣ ـ ١٦٥)

٧ ـ ﴿ ولقد أرسلنا فيهم منذِرين ... سلامٌ علىٰ نوحٍ في العالمين ... وإنَّ من شيعته لإبراهيم ... سلامٌ على ابراهيم ... وبشّرناه بإسحٰق نبيّاً من الصالحين ... وسلام علىٰ موسىٰ وهٰرون ... وإنَّ إلياس لمن المرسلين ... سلامٌ على ال ياسين ... وإنَّ لوطاً لمن المرسلين ... وإنَّ يونس لمن المرسلين ... ولقد سبقتْ كلمتُنا لعبادنا المرسلين * إنّهم لهم المنصورون * وإنَّ جندنا لهم الغالبون ... وسلامٌ على المرسلين. والحمد للّه رب العالمين ﴾ . (الصافات [٣٧] الآية ٧٢ الىٰ آخر السورة)

٨ ـ ﴿ وآسأل من أرسلنا من قبلك من رُسلنا أجَعلنا من دون الرحمٰن آلهةً يُعبدون ﴾ . (الزخرف [٤٣] الآية ٤٥).

٩ ـ ﴿واذكر أخا عادٍ إذْ أنذر قومه بالأحقاف وقدْ خلَتِ النُّذُر مِنْ بين يدَيه

ومِنْ خلْفِه ألاّ تبعدوا إلّا الله إنّي أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيم﴾ (الاحقاف[٤٦]الآية٢١)

١٠ ـ ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريّتهما النبوّة والكتاب فمنهم مهتدٍ وكثيرٌ منهم فاسقون* ثم قفّينا علىٰ آثارهم برُسُلِنا وقفّينا بعيسىٰ بن مريم... ﴾ . (الحديد [٥٧] الآية ٢٦ ـ ٢٧)

وملخص هذه الآيات الكريمة ـ على الإجمال ـ هو أنّ الانبياء (عليهم السلام) ـ سواءٌ الذين كان لهم كتابٌ وشريعة وهم أولو العزم من الرسل أو غيرهم وهم التابعون لشرائع أُولي العزم ـ كانوا على طريقة واحدة من جهةِ قبولهم أُصولاً متفقة عن طريق الوحي، ومن جهةِ دعوتهم الناس الىٰ تلك الأصول المسلّمة . ألا ترىٰ أنّ نبيّ الاسلام محمّداً (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمر أُمّته بالإيمان بالله وبما أُنزل اليه (صلى الله عليه وآله وسلم) وما أُنزل إلىٰ إبراهيم شيخ الأنبياء وأبيهم ، والىٰ أبنائه اسمٰعيل واسحٰق ويعقوب والأسباط وإلىٰ ماأُوتي موسىٰ وعيسىٰ بل الى ماأُوتي النبيّون بأجمعهم من ربّهم من غير تفريق بين أحد منهم مع الآخرين .

وكذلك تُصرّح الآيات الكريمة بأنّ الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأُمّته المؤمنين به جميعاً آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورُسُله من غير فرق بين أحد منهم ، فانهم اذن علىٰ طريقة واحدة ، وقال(صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً بأمر اللّه تعالىٰ : إنّا آمنّا بالله وبكل ماأُنزل الينا والىٰ الأنبياء السلف من أبيهم ابراهيم وأولاده اسمٰعيل واسحٰق ويعقوب والأسباط الىٰ ماأُوتي موسىٰ وعيسىٰ وسائر الأنبياء من ربّهم من غير فرق بين أحد منهم مع الآخر . وعليه فالذين يُريدون أن يُفرّقوا بين الأنبياء (عليهم السلام) ويجعلوا طريق بعضهم غير طريق الآخر ـ حسب نظرهم ـ فيؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض ويتّخذوا بين ذلك سبيلاً أُولئك هم الكافرون حقاً الخارجون عن طريقتهم الواحدة المتحدة .

وكذلك قال الله تعالىٰ لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) إنّا أوحينا اليك كما أوحينا الىٰ نوح

والنبييّن من بعده من السلسلة الأولىٰ وكذلك مثل ما أوحينا الىٰ ابراهيم ومن بعده من أبنائه إسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب والأسباط وعيسىٰ وأيّوب ويونس وهارون وسليمان وداود وسائر الرسل الذين لم تذكر قصصهم . فالوحي الىٰ الأنبياء كان بطريق واحد، وما أوحي اليهم أيضاً واحد بطريقتهم الواحدة ، وهم مرسَلون منذِورن (سلام عليهم) وإنَّ جندهم لهم الغالبون ، وعلى رأس دعوتهم وطريقتهم هو ألاّ تعبدوا إلّا اللّه ، وإنّا نخاف عليكم عذابَ يوم عظيم .

فهم (عليهم السلام) مِن أوّل الأمر أي من آدم ونوح وآل ابراهيم الىٰ عيسىٰ ابن مريم وحتى خاتمهم محمّد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على طريق واحد ، أخْذاً من اللّه تعالىٰ؛ واخبار ما يتّخذونه منه تعالىٰ إلى الناس إبلاغاً وانذاراً وتبشيراً ... .

الفصل الخامس :

في الوحي الىٰ الأنبياء عليهم السلام وأنّهم لايقولون شيئاً من عند أنفسهم

قال تعالىٰ :

١ ـ ﴿ وماكان لبشرٍ أنْ يُكلّمهُ اللّهُ إلّا وحياً أو من وراء حجاب أو يُرسِلَ رَسولاً فيوحي بإذنه مايشاء... ﴾ . (الشورىٰ [٤٢] الآية ٥١)

٢ ـ ﴿ وكذلك أوحينا اليك روُحاً من أمرنا ماكنتَ تدري ما الكتابُ ولا الايمانُ... ﴾ . (الشورىٰ [٤٢] الآية ٥٢).

٣ ـ ﴿ وما أرسلْنا من قبلك إلّا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرىٰ... ﴾ .

(يوسف [١٢] الآية ١٠٩)

٤ ـ ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلّا رجالاً نوحي إليهم فاسئلوا أهل الذكر إنْ كنتم لاتعلمون ﴾ . (النحل [١٦] الآية ٤٣)

٥ ـ ﴿ وما أرسلنا قبلك إلّا رجالاً نُوحي اليهم فأسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ﴾ . (الانبياء [٢١] الآية ٧)

٦ ـ ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلّا نوحي اليه أنّه لا إلٰه إلّا أنا فاعبدونِ﴾.

(الانبياء [٢١] الآية ٢٥)

٧ ـ ﴿ إنّا أوحينا اليك كما أوحينا الىٰ نوحٍ والنبيّين من بعده وأوحينا إلىٰ إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب والأسباط وعيسىٰ وأيّوب ويونس وهٰرون وسليمان وآتينا داوود زبورا ٭ ورُسُلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورُسُلاً لم نقصصْهم عليك وكلّم اللّهُ موسىٰ تكليما ﴾ . (النساء [٤] الآية ١٦٣ ـ ١٦٤)

٨ ـ ﴿ كذلك أرسلناك في أُمّة قدْ خلتْ من قبلها أُممٌ لتتلو عليهم الذي أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمٰن ...﴾ . (الرعد [١٣] الآية ٣٠)

٩ ـ ﴿ قل انّما أنا بشرٌ مثلكم يُوحىٰ إليَّ انّما إلٰهكم إله واحد... ﴾ .

(الكهف [١٨] الآية ١١٠)

١٠ ـ ﴿ قل ماكنتُ بدْعاً من الرُسُلِ وما أدري مايُفعلُ بي ولا بكم إنْ أتّبعُ إلّا مايُوحىٰ إليَّ وما أنا إلّا نذيرٌ مبين ﴾ . (الاحقاف [٤٦] الآية ٩)

١١ ـ ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائنُ اللّه ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنّي ملَك إنْ أتّبعُ إلّا مايُوحىٰ إليَّ... ﴾ . (الانعام [٦] الآية ٥٠)

١٢ ـ ﴿ قل إنّما أُنذِركم بالوحي ولا يسمعُ الصمُّ الدعاءَ إذا مايُنذرون ﴾ .

(الانبياء [٢١] الآية ٤٥)

١٣ ـ ﴿قل أُوحي إليَّ أنّه استمع نفرٌ مِنَ الجنّ فقالوا إنّا سمعنا قرآناً عجباً﴾.

(الجن [٧٢] الآية ١)

١٤ ـ ﴿ كذلك يُوحي إليك والى الذين من قبلك اللّهُ العزيزُ الحكيم ﴾ .

(الشورى [٤٢] الآية ٣)

١٥ ـ ﴿وماينطق عن الهوىٰ * إنْ هو إلّا وحيٌ يوحىٰ * علمّه شديد القوىٰ﴾.

(النجم [٥٣] الآية ٣ ـ ٥)

١٦ ـ ﴿ فاستمسك بالذي أُوحي اليك انّك علىٰ صراط مستقيم ﴾ .

(الزخرف [٤٣] الآية ٤٣).

محصّل هذه الآيات الكريمة علىٰ الاجمال واللّه أعلم : إنّ اللّه تعالىٰ لايكلّم بشراً نبيّاً كان أوغيره إلّا عن احدىٰ الطرق الثلاثة :

الأول : الوحي ، وهو نوع ارتباط بين المبدأ والموحىٰ اليه ، وذلك بجذبه تعالىٰ نحوه روحياً فتتهيّأ في نفسه شرائط خاصة يشعر بواسطتها ويدرك ويعلم ويتيقّن بما أُوحي اليه من الامر ، ثم ينقطع كل ذلك قطْعاً ووصْلاً من ناحيته تعالىٰ الجاذب الموحي وليس لنبي ان يتصل نفسه به حيث أراد ، بل عليه التسليم كلّما نُودي من باطنه ، والجذب من قداسة نفسه ، فهو شيءٌ يشبه الالهامات العلمية والانتخابات العملية في بعض الاحيان ، كالوحي إلىٰ أمّ موسىٰ ، إلّا أنّ الأول في مرحلة أعلىٰ، وهما غير الوحي الىٰ النحل أن تتخذ من الجبال بيوتاً ، فإنّه بمعنى خلقها علىٰ تلك الغريزة على الظاهر ، واللّه أعلم . وليس الوحي إلىٰ النبي ﷺ وقابليته له بسعي واكتساب ، بل هو اصطفاء من اللّه تعالىٰ على ملاكات خاصة كما فصّل في المفصّلات وقد تعرضنا لذلك في رسالة :(المعارف) .

الثاني : التكلّم من وراء حجاب أي من غير مشافهة ، فلا يرىٰ المخاطب من

يخاطبه ، ويسمع الصوت من غير جهة خاصّة بل من جميع الجهات على السواء وذلك بأن يخلق اللّه تعالىٰ الصوت ويسمعه النبي كما في استماع موسى (عليه السلام) قوله تعالىٰ: ﴿ فاخلع نعليك إنّك بالوادي المقدّس ﴾ و ﴿ ألقِ عصاك﴾ و ﴿ اذهب الىٰ فرعون ﴾ و ﴿ كلّم اللّه موسىٰ تكليما ﴾* اي نوعاً من التكلّم .

الثالث : أن يرسل رسولاً ملكاً كجبرئيل (عليه السلام)،فيوحي الىٰ النبي ، وينقل له ماآتاه اللّه تعالىٰ من غير تصرّف فإنّه أمين الوحي ، مع رؤيته إياه بصورة جسم أحياناً وبدونه اخرىٰ .

فاللّه تعالىٰ يُوحي إلىٰ أنبيائه (عليهم السلام) بإحدىٰ تلك الصور الثلاث ، وكذلك أوحىٰ الى آخرهم وخاتمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنّه ايضاً بشيرٌ ، ورجلٌ مرسل إلىٰ أمّةٍ قد خلتْ من قبلها أُممٌ ليتلو عليهم مااُوحي إليه مثل مااُوحي الى سائر الانبياء من نوح وابراهيم وغيرهما من الرسل الذين قد قصّ عليه قصصهم أو الذين لم يقصصهم عليه من غير بدْعٍ . فهو أيضاً كسائر الانبياء (علىٰ جميعهم الصلاة والسلام) من هذه الجهة ، لايعلم شيئاً من الكتاب قبل الوحي وقبل الاتصال به ، ولايعلم الغيب من عند نفسه وذاته بدون تعليم مِنَ اللّه تعالىٰ وإذنه ، ولايدّعي أنّ عنده خزائن اللّه تعالىٰ على حدّ قوله تعالىٰ :﴿ وإنْ منْ شيءٍ إلّا عندنا خزائنه ﴾، فلايتكلم عن الهوىٰ ولايقول بشيء ولايخبر عنه إلّا بعلم اللّه تعالىٰ وإذنه ووحيه الذي أوحىٰ اليه تعالى وعلّمه شديد القوىٰ ، ولايتّبع إلّا مااُوحي اليه ولايستمسك إلّا به كما أمر، وهو على صراط مستقيم .

هذا ، وعليك بباقي البحث في تفاضل الانبياء ودرجاتهم وأنّ أشرفهم نبيُّنا خاتم الانبياء وسيّد المرسلين عليه وعلىٰ آله وعليهم الصلاة والسلام ، كما سيأتي بحثه انشاء الله تعالىٰ .

الفصل السادس:

في تنزيل الكتب الى الانبياء عليهم السلام بالوحي

قال تعالى :

١ ـ ﴿إنّ هذا لفي الصُحف الأولىٰ * صُحُف إبراهيم وموسىٰ﴾.

(الأعلى[٨٧]الآية ١٨ ـ ١٩)

٢ ـ ﴿انّا أنزلنا التوراة فيها هُدىً ونورٌ يحكم بها النبيّون...﴾. (المائدة[٥]الآية ٤٤)

٣ ـ ﴿وقفّينا علىٰ آثارهم بعيسىٰ بن مريم مصدّقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناهُ الانجيل فيه هدىً ونورٌ ومصدّقا لما بيْن يديه من التوراة... ﴾ .

(المائدة [٥] الآية ٤٦)

٤ ـ ﴿ ولقدْ آتينا موسىٰ الكتابَ وقفيْنا مِنْ بعدِه بالرّسُل وآتينا عيسىٰ بن مريم البيّنات... ﴾ . (البقرة [٢] الآية ٨٧)

٥ ـ ﴿ ولقدْ آتينا موسىٰ الكتاب فلا تكُنْ في مريةٍ من لقائه وجعلناه هدىً لبني اسرائيل ﴾ . (السجدة [٣٢] الآية ٢٣)

٦ ـ ﴿ ولقد آتيْنا موسىٰ الكتاب لعلّهم يهتدون ﴾ . (المؤمنون [٢٣] الآية ٤٩)

٧ ـ ﴿ وإذْ آتيْنا موسىٰ الكتاب والفرقانَ لعلّكم تهتدون ﴾ .(البقرة[٢]الآية ٥٣).

٨ ـ ﴿ وكتبْنا له في الألواح من كل شيءٍ موعظة... ﴾ . (الاعراف [٧] الآية ١٤٥)

٩ ـ ﴿ نزّل عليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل * من قبلُ هدىً للناس وأنزل الفرقان... ﴾. (آل عمران [٣] الآية ٣)

١٠ ـ ﴿ إنّا أوحيْنا إليك كما أوحينا إلىٰ نوحٍ والنبيّين منْ بعده وأوحينا إلىٰ

إبراهيم وإسمٰعيل واسحٰق ويعقوب والأسباط وعيسىٰ وأيوب ويونس وهٰرون وسليمان وآتينا داود زبورا ﴾ . (النساء [٤] الآية ١٦٣)

١١ ـ ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحقّ مصدّقاً لما بيْنَ يدَيْه مِنَ الكتاب ومُهَيْمِناً عليْهِ فاحْكُم بَيْنهم بما أنزل اللّه... ﴾ . (المائدة [٥] الآية ٤٨)

١٢ ـ ﴿ هُو الذي أنزل عليك الكتاب منْهُ آياتٌ محكمات هنَّ أُمُّ الكتاب وأُخرُ متشابهات... ﴾ . (آل عمران [٣] الآية ٧)

١٣ ـ ﴿ وإنّك لتُلقّىٰ القُرآن منْ لَدُنْ حكيم عليم ﴾ . (النمل [٢٧] الآية ٦)

١٤ ـ ﴿وكذلك أوْحيْنا إليك قرآناً عربياً لِتُنذِرَ أمّ القرىٰ..﴾ . (الشورىٰ [٤٢] الآية ٧)

١٥ ـ ﴿ وكذلك أنزلْنا اليك الكتاب ... وماكنْتَ تتلومن قَبْلِه مِنْ كتابٍ ولاتخُطّه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ﴾ . (العنكبوت [٢٩] الآية ٤٧ ـ ٤٨)

وكثير من الآيات الأخرىٰ التي سيأتي البحث عنها انشاء الله تحت عنوان (القرآن في القرآن) في ذيل البحث عن موضوع النبوة الخاصّة .

وملخص هذه الآيات الكريمة على الاجمال واللّه أعلم : إنّه تعالىٰ أنزل علىٰ رُسُله وأنبيائه كتباً فيها نورٌ وهداية وأحكام وآيات بينّات وفرقان بين الحقّ والباطل ، وأنزل علىٰ خاتمهم رسولنا محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كما أنزل علىٰ الآخرين منهم علىٰ وتيرة واحدة ، أنزل عليه القرآن العربي مصدّقا لما بين يديه من سائر الكتب السماوية ومهيمناً عليها ، متطلعاً علىٰ مافيها ، معترفاً بها . وتصدّق تلك الكتبُ ـ ايضاً ـ القرآنَ الكريم الذي فيه آيات بينات وحقايق واضحات هنَّ أُمّ الكتاب يرجعُ اليها غيْرها من المتشابهات اللاتي لايتمكن من فهم حقائقها كلُّ أحد ابتداءً إلّا الرجوع إليها[١].

١ ـ وكان ذلك ملاك تحريفهم وقولهم :(إن أُوتيتم هذا فخذوه) الآية كما سيأتي الحديث عنه انشاء الله .

وماكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يتلو من كتاب ولا يخط بيمينه لئلا يرتاب المبطلون. وأسماء تلك الكتب هي : التوراة لموسىٰ(عليه السلام) ، والزبور لدواد(عليه السلام) ، والانجيل لعيسىٰ(عليه السلام) ، والقرآن لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ويطلق عليها احياناً بـ (الصحف) ايضاً[1] كما أشير الى كتاب ابراهيم (عليه السلام) في القرآن . وان سائر الأنبياء (عليهم السلام) كانوا يبلّغون مافيها ، ويحكم بها النبيّون الذين أسلموا للّه ولأمره والربانيون والأحبار ، ولم يسمّ القرآن الكريم ماأنزل لغير من ذكر منهم باسم خاص ، مع أنّ الكليات في الجميع واحدة ، من المعارف الأصولية أو الاصول العمليّة من الصلاة والصيام والحجّ ، وإنّما الاختلاف في بعض الجزئيات والصور ، كما فصّل في محلّه . وأشرنا اليه في رساتنا (نبذٌ من المعارف الاسلامية) .

واعلم أنّ التنزيل والإنزال نوعٌ تقريب للبعيد وتسهيل للصعب حتىٰ يتمكن من التناول والاستفاضة منه ،وتلك الامور حيث يؤخذ من أساس الوجود ومنبع الحياة وكنه العلم الربوبي الازلي المحيط ، ولايمكن نيل ذلك المقام بما هو عليه لأحد حتى يتنزّل إلىٰ مرحلة يتمكن الانسان من نيله لفظاً أو كتاباً في كلمات وجُمل تقرأ وتُسمع فتُدرك وتُعلم ، كما تنزّل أنت وتصوغ مافي نفسك من المعاني في حدود وضوابط من الالفاظ والكلمات المكتوبة أو الملفوظة . وكثيراً مالايسع المفهوم المراد بحدّه ، ومن ذلك تجد في القرآن الكريم حقائق متنزّلة يتوقف نيلها ومعرفة أصولها على سمّو الانسان ، فانها لايمكن أن تتنزّل أكثر مما تنزّلت، فعلى الانسان أن يرتفع ويسمو بنفسه حتى يتمكن من نيلها وكذلك تجد في القرآن الكريم مالا يناله إلا الراسخون في العلم ، بل مالا يناله إلا الرسول الاعظم (صلى الله

---

١ ـ ﴿إن هذا لفي الصحف الاولىٰ صحف ابراهيم وموسىٰ﴾ . (الأعلى [٨٧] الآية ١٨ و ١٩)
﴿... أولم تأتهم بينة مافي الصحف الاولىٰ﴾ . (طه [٢٠] الآية ١٣٣)

عليه واله وسلم) كالحروف المقطعة في أوائل بعض السور .

وتنزيل القرآن الكريم في ليلة القدر في شهر رمضان دفعة واحدة هو تنزيله الى مرحلةٍ أشير اليها باسم : (البيت المعمور) في السماء الرابعة ، أي الى محل معمور مرتفع لايتمكن كل احد من الاتصال به ، وإن كان في مستوىٰ يتّصل به الرسولُ ﷺ ، إلاّ أنّه نُهي عن التعجيل في قراءته في قوله تعالىٰ : ﴿... ولاتعجَلْ بالقرآنِ منْ قبل أنْ يُقضىٰ اليك وحيه... ﴾ (طه [٢٠]الآية ١١٤) وأمر بأنْ يقرأه علىٰ مكث في قوله تعالىٰ : ﴿ وقرآناً فرَقناه لتقرأه على الناس علىٰ مُكث ونـزّلناه تـنزيلاً﴾ (الاسراء [١٧] الآية ١٠٦) فيقرأه حسب النزول الثاني الى مرحلة يتمكن منه الآخرون متدرجاً طول زمن الرسالة ، كما فصّل في محله .

والكتاب هوالمنقوش المكتوب على صفحات الخارج والوجود والتحقق بعد النزول قبل أن يُكتب على قراطيس بأيدي الكُتّاب ، فيتمّ معنىٰ أنزلنا إليك (أو عليك) الكتاب ، ثم صار مكتوباً على صفحات بأيدي الاشخاص ، وهو ما بين الدفّتين الذي تعهد الله بحفظه ورعايته .

ولعل ذلك معنىٰ الكتابة على الالواح من كل شيء موعظةً .. لموسىٰ عندما ذهب لميقات ربّه ، فكتب هو واصحابه ماتُنُزّل اليه علىٰ الألواح ، وأُطلقوا علىٰ ذلك كُتباً ويصحّ إطلاق ﴿وألقىٰ الالواح وأخذ برأس أخيه﴾ في الآيات ١٤٥ الىٰ ١٥٤ من سورة الاعراف [٧] الىٰ قوله تعالىٰ ﴿ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح﴾، وعليك بالتأمّل في المقام .

الفصل السابع :

في تحريف اليهود للتوراة

قال تعالىٰ :

١ ـ ﴿ أفتطمعون أنْ يؤمنوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلامَ اللّه ثم يُحرّفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون ﴾ . (البقرة [٢] الآية ٧٥)

٢ ـ ﴿ فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند اللّه ليشتروا به ثمناً قليلاً ... ﴾ . (البقرة [٢] الآية ٧٩)

٣ ـ ﴿ وإنَّ منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هو من عند اللّه وماهو من عند اللّه ويقولون علىٰ اللّه الكذب وهم يعلمون ﴾ . (آل عمران [٣] الآية ٧٨)

٤ ـ ﴿ مِنَ الذين هادوا يُحرّفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعْنا وعصَيْنا واسمع غير مسمعٍ وراعنا ليّاً بألسنتهم وطعناً في الدين... ﴾. (النساء [٤] الآية ٤٦)

٥ ـ ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يُحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذُكرّوا به... ﴾ . (المائدة [٥] الآية ١٣)

٦ ـ ﴿ ... ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لقومٍ آخرين لم يأتوك يُحرّفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إنْ أُوتيتم هذافخذوه وإنْ لم تُؤتَوْهُ فاحذروا... ﴾ . (المائدة [٥] الآية ٤١)

هذه الآيات الكريمة ـ ملخصاً واللّه أعلم ـ تُصرّح بأنّ فريقاً من اليهود ـ والظاهر أنّهم علماؤهم ـ كانوا يسمعون كلام اللّه ثمّ يحرّفونه بحذف الكلمات أو

الجمل فيه أو تغييرها عن مواضعها أو اضافة مطالب من عند أنفسهم اليه ،فيلوون ألسنتهم بها عند قراءة الكتاب ثم يقولون هذا من عند الله وماهو من عند الله فيفترون بهذا على الله الكذب ويُسمعونه غيرهم ،وهم قد عقلوا الحق من قبل وعرفوه .

وغرضهم من ذلك العمل والتحريف هو فتنة اليهود وإبعادهم عن الاسلام ودين الحق . وظاهر ذلك أنّ التحريف هذا كان أولاً فيما يخصّ الاعتقاد برسالة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والتصديق به ، فكلما كان في التوراة مصدّقاً لنبي الاسلام(صلى الله عليه وآله وسلم) ومبيّناً لدين الحق كانوا يحرفونه بزيادة ونقصية وبتغيير وتأويل ويسمعون ويلوون بألسنتهم على أكابر اليهود الذين لم يأتوا النبي تكبّراً حتىٰ يسمعوا من نفسه الشريفة فيقولون لهم إن أُوتيتم من ذلك النبي هذا فخذوه وإنْ لم تُؤتَوه فاحذروه ، فكان يلتبس الأمر عليهم ولايتبيّن الحق لهم .

كان عملهم هذا قبال نبي الاسلام ، وقد فضحهم الله بقوله : ﴿ بل قالوا سمعنا وعصينا﴾ فتخلفوا بهذا عن أمر ربهم من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم ونسوا ما ذُكّروا به من المواعظ الموجودة في كتابهم[١] وبهذا لُعنوا وأُبعدوا عن رحمة الله تعالىٰ وقستْ قلوبُهم حتىٰ اقترفوا ذنب التحريف ثانياً لصالح الحكّام الجبابرة الذين كانوا يريدون الفسق والفجور من الشرب والزنا وبقية المظالم ، مع حفظ عنوان الدين عند الناس ؛ فأمروهم بتحريف الكتاب وتجويز المحرّمات للمحافظة على سلطتهم علىٰ الناس ، فأطاعوهم طمعاً في حطام الدنيا ورياستهم الظاهرية على الناس ،

---

١ ـ تشير الىٰ ذلك الآيات الكريمة في قوله : ﴿وكتبنا في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء﴾ الى قوله: ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلمّا أخذتهم الرجفة ..... ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ... الذين يتبعون الرسول النبي الأُمّي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة .....﴾.
الاعراف [٧] الآيات ١٤٥ الىٰ ١٥٧ .

فانتهى أمر التحريف من الرسالة الى تغير الحلال والحرام وفق رغبة الحكّام الظلمة، وتوسّع ذلك الى أنك تجد في كتابهم الكثير من المتناقضات والممتنعات بل الكفريات ، فسقط ـ بهذا ـ عن الاعتبار عند أهل الفكر والعرفان منهم أيضاً، كما فصّل في المفصّلات .

ثم إنّ قوماًكانت هذه شيمتهم بالاضافة الى سائر الشيم السيئة ، كما تراه موضحاً في موضوع تحت عنوان : (اليهود في القرآن) أيُتوقّع منهم الأيمان والتقوىٰ ونصرة الحق ؟ كلاّ ثم كلاّ ! وذلك لأن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود . وحينئذٍ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ، أفتطمعون أن يعاونوكم ويعاضدوكم ، أفلا ترون أيها المسلمون فتن اليهود طول التاريخ الاسلامي وايذاءاتهم للمسلمين ، وها نحن نشهد اليوم تدنيسهم فلسطين واغتصابهم أراضي المسلمين،وحيلهم في الحروب وفتنهم في الشرق الاوسط .... فأين السلم والصلح ؟ انه بعيد بعيد !! والعجب من حاكم مصر (السادات) في هذه الظروف والشرائط كيف افتتن بما افتتن ؟! . اللهم احفظ الاسلام وبلاد المسلمين من شرّهم وشرّ حلفائهم الأمريكيين وغير.هم .

ثم انّ ظاهر تلك الآيات أنّ التحريف هذاكان من بعض فرق اليهود ، وأما النصارى فلايظهر ذلك من الآيات وإن كان يمكن ارجاع الضمير في الآية الثالثة إلىٰ أهل الكتاب بالمعنىٰ الأعم لسبقها بقوله تعالىٰ : ﴿ ومن أهل الكتاب منْ إنْ تأمنْه بقنطارٍ يؤدّه إليك... ﴾ (آل عمران [٣] الآية ٧٥) ولكن القرائن تؤيد الاختصاص باليهود ، وماتراه في العهد الجديد ايضاً من المحرّمات فهي بايدهم ، والتي هي من النوع الثاني من التحريف، كما فصّل في محله .

الفصل الثامن:
في أنّ الانبياء بشر ومن ذكران نوع الانسان ويكلّمون الناس بلسانهم

قوله تعالى:

١ ـ ﴿ وماأرسلنا قبلك إلّا رجالاً نوحي إليهم .... وماجعلناهم جسداً لايأكلون الطعام وماكانوا خالدين ﴾ . (الانبياء [٢١] الآية ٧ ـ ٨)

٢ ـ ﴿ وماأرسلنا قبلك من المرسلين إلّا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ... ﴾ . (الفرقان [٢٥] الآية ٢٠)

٣ ـ ﴿ولقد أرسلنا رُسُلاًمن قبلك وجعلنا لهم ازواجاًوذريّة...﴾.

(الرعد [١٣] الآية ٣٨)

٤ ـ ﴿ انّه من عبادنا المؤمنين ﴾ . (الصافات [٣٧] الآية ٨١، ١١١، ١٣٢)

في نوح وابراهيم والياس:

٥ ـ ﴿ انهما من عبادنا المؤمنين ﴾ . (الصافات [٣٧] الآية ١٢٢)

في موسى وهارون:

٦ ـ ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلّا رجالاً نوحي اليهم من أهل القرىٰ...﴾ .

(يوسف [١٢] الآية ١٠٩)

٧ ـ ﴿وما أرسلنا من قبلك إلّا رجالاً نوحي اليهم ... ﴾ . (النحل [١٦] الآية ٤٣)

٨ ـ ﴿ وما أرسلنا من رسولٍ إلّا بلسان قومه ليبيّن لهم... ﴾ (ابراهيم [١٤] الآية ٤)

٩ ـ ﴿ قالتْ لهم رسلُهم إنْ نَحْنُ إلّابشرٌ مثلكم ولكنَّ اللّه يمنُّ علىٰ من يشاءُ

من عباده .... ﴾ . (ابراهيم [١٤] الآية ١١)

١٠ ـ ﴿ قل إنّما أنا بشرٌ مثلكم يُوحىٰ اليّ أنّما الٰهكم إله واحد ..﴾ .

(الكهف [١٨] الآية ١١٠)

تصرح هذه الآيات الكريمة ـ كما ترىٰ ـ أنّ الانبياء والرسل عليهم السلام كانوا رجالاً ومن أهل القرىٰ ولهم أزواج وذريّة ، وكانوا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، فلم يكونوا جسدا لايأكلون وماكانوا خالدين ، بل يُدركهم الموت أيضاً، فهم بشر كسائر البشر من بني آدم ويتكلمون مع معاشريهم بألسنتهم .

نعم إنّهم عباد مؤمنون مَنَّ اللهُ تعالىٰ علينا بهم فاصطفاهم فأوحىٰ اليهم وأرسلهم الى الناس لينذروهم بأنّه لا إله إلا اللّه ويبشروهم برحمة الله أيضاً .

ونبيُّ الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم أيضابشر كان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ،وقد ادركه الموت . قال تعالىٰ : ﴿إنّك ميت وانّهم ميتون ﴾ نعم هو عبد اللّه المصطفىٰ المرسل الى العباد أوحىٰ اللّه تعالىٰ اليه : ﴿ أكان للناس عجباً أنْ أوْحينا الىٰ رجل منهم أن أنذر الناس... ﴾ . (يونس [١٠] الآية ٢)

ولايبعد الاستظهار من تلك الآيات الكريمة ايضاً ان العهود الألٰهية في أيّة مرحلة من مراحل الرسالة أو الامامة والقضاء وغيرها لاتنالها أيدي النسوان فإنّ الرجال قوّامون على النساء ، ﴿ ولاتتمنّوا مافضّل اللّه به بعضكم على بعض ﴾ ومارسل من رسول الاكان رجلاً من أهل القرىٰ .

الفصل التاسع :
في تفاضل الانبياء عليهم السلام وفضلهم على الناس

قال تعالىٰ :

١ ـ ﴿ وإنّهم عندنا لَمِنَ المصطفَين الأخيار . ﴾ . (ص [٣٨] الآية ٤٧)

٢ ـ ﴿ إنّ الله اصطفىٰ آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين. ﴾.
(آل عمران [٣] الآية ٣٣)

٣ ـ ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلوٰة وإيتاء الزكوٰة وكانوا لنا عابدين. ﴾ . (الانبياء[٢١] الآية ٧٣)

٤ ـ ﴿ قال ياموسىٰ إنّي اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ... ﴾
(الاعراف [٧] الآية ١٤٤)

٥ ـ ﴿ تلك الرُسلُ فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسىٰ ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس... ﴾. (البقرة[٢] الآية ٢٥٣)

٦ ـ ﴿ وربك أعلم بمن في السمٰوات والأرض ولقد فضّلنا بعض النبيّين علىٰ بعض وآتينا داود زبورا . ﴾ . (الاسراء [١٧] الآية ٥٥)

تصرح هذه الآيات الكريمة أنّ الانبياء عليهم السلام بأجمعهم ـ ابتداءً من نبيّ الله آدم الى حبيب الله الخاتم سواء كانوا من أُولي العزم أو غيرهم ـ مصطفون مِنَ بين الناس مختارون من بينهم ، فهم أفضل من غيرهم ، كماتصرح بعض تلكم الآيات أنّ بعض الأنبياء أفضل من بعض ، وهم علىٰ درجات ، فإنّ الذين لهم شريعة وكتاب هم أفضل من غيرهم الذين يبلّغون تلك الرسالات ، كما أنّ صاحب الشريعة الكاملة (التي هي

آخر الشرائع وخاتمها) أفضل من غيره لاسيّما مع الالتفات الىٰ محدودية سائر الشرائع حسب الزمان والمكان ، ومن أُرسلوا اليهم من أُمم ، دون شريعة الرسول الخاتم (ﷺ) التي هي أكمل الشرائع للناس فيكل زمان وفي جميع الشرائط والظروف المختلفة ، فإنّها تسع ذلك كله .

والذي يدلّ على ماذكر ؛ أمّا على الجزء الأول فمرجع الضمير في الآية الكريمة في قوله تعالىٰ في (سورة ص الآيةالأُولى) حسب تسلسلنا أعلاه : نوح ، وموسى ، وصالح ، ولوط ،وداود ، وسليمان ، وأيوب ، وابراهيم ، واسحٰق ، ويعقوب، واسمٰعيل ، واليسع ، وذو الكفل ؛ فإنّ قوم عاد أخوهم ونبيّهم هود ، وقوم ثمود أخوهم صالح ، وقوم فرعون ذي الأوتاد نبيُّهم موسىٰ ـ كما ترىٰ في سورة الأعراف ـ وآل ابراهيم ذريته من اسمٰعيل واسحٰق (الأنبياء منهم فقط فان عهد اللّه لاينال الظالمين)، وكذا آل عمران موسى وعيسىٰ وأنبياء بني اسرائيل من ذريته وآله. فلا يتُوهم أنّ أقوام اليهود مطلقاً (أي بأجمعهم) مصطفون . كما أنّ الظاهر من التفضيل في قوله تعالىٰ : ﴿ **يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنّي فضلتكم على العالمين** ﴾ هو تفضيل الأنبياء منهم دون أجمعهم ؛ فإنّ الآيات الكثيرة جاءت في ذكر أوصافهم بأجمعهم قبل ذلك ، وسترىٰ ذلك تحت عنوان : (اليهود في القرآن) وليس هنا تفصيل الكلام ، وقريب من ذلك مرجع الضمير في الآية الخامسة (من تسلسلنا في الفصل) أي الاشارة بـ«تلك» وعلىٰ الجزء الثاني الآيتان من سورة البقرة والاسراء بصراحتهما ، وعلى الثالث ﴿**انا أرسلناك كافةً للناس**﴾ وكثير من الآيات الكريمة في النبوة الخاصة كما سيأتي انشاء الله .

الفصل العاشر:

الانبياء: على دين واحد

قول تعالى:

١ - ﴿ قولوا آمنا بالله وماأنزل الينا وماأنزل إلى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وماأوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾. (البقرة [٢] الآية ١٣٦)

٢ - ﴿ قل آمنّا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيّون من ربّهم لانفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. ﴾. (آل عمران [٣] الآية ٨٤)

٣ - ﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورُسُله لانفرّق بين أحد من رُسُله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا واليك المصير. ﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٨٥)

٤ - ﴿ إنّ الذين يكفرون بالله ورسله ويُريدون أن يفرّقوا بين اللّه ورسله ويقولون نُؤمن ببعض ونكفر ببعض ويُريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهينا. ﴾. (النساء [٤] الآية ١٥٠ - ١٥١)

٥ - ﴿ والذين آمنوا بالله ورسُله ولم يفرّقوا بين أحد منهم أولئك سوف يُؤتيهم أُجورهم وكان الله غفوراً رحيماً. ﴾. (النساء [٤] الآية ١٥٢)

٦ - ﴿ إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنّصارى والصّابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنون. ﴾.
(البقرة [٢] الآية ٦٢)

٧ ـ ﴿ إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارىٰ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنون .﴾ (المائدة [٥] الآية ٦٩)

إنّ ظهور هذه الآيات الكريمة ـ كما ترىٰ ـ هو انّ نبيّ الاسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) هو آخر الأنبياء (عليهم السلام) وكذلك من تبعه من المؤمنين ، فهم الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه المنزلة من عنده علىٰ نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى سائر المرسلين من إبراهيم وإسمٰعيل الىٰ الأسباط وبما أُوتي موسىٰ وعيسىٰ وما أُوتي النبيّون من ربّهم من غير فرق بين أحد منهم بلسان القول أو الاخبار ، هذا من الناحية الايجابية وبيان تحقق الايمان ومتعلّقه.

اما من الناحية السلبية فالتصريح بأنّ الذين يُريدون أن يُفرّقوا بين الله ورسله ويقولون : نُؤمن ببعض ونكفر ببعض ... أولئك هم الكافرون حقاً .

والظاهر في التفريق بينهما بالتبعيض بين الأنبياء (عليهم السلام) بقبول بعضهم دون بعض أو الأعمّ الشامل للتبعيض بين أحكام شريعة واحدة لاسيّما شريعة الاسلام ، ولعل مرجعها واحد [١] .

ثم التصريح بلسان آخر بأنّ المسلمين واليهود والنصارىٰ والتابعين لشريعة نوح الصابئين إذا أسلموا بأنْ آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا الصالحات فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون في الدنيا والآخرة ، وعندنا تلك التصريحات من أوضح البيان لوحدة مذهب الأنبياء (عليهم السلام) ، وسيأتي تمام الكلام في موضوع أهداف الأنبياء (عليهم السلام) انشاء الله .

وليُعْلَم أنّ المراد من وحدة مذهب الأنبياء (عليهم السلام) أنّهم بأجمعهم يدعون الناس عن طريق واحد والى هدف واحد ، حسب الأُصول الكلّية الاعتقادية أوالعمليّة ، وإنْ كان يختلف بعض صور الاعمال حسب مقتضيات الزمان وشرائط المكان في الجزئيات .فإنّهم (عليهم السلام) متّفقو القول في وحدة المبدأ الذي هو إله العالم

---

١ ـ فان كل نبي وشريعته يصدق علىٰ سائر الأنبياء وشرائعهم .

وخالقه وربّه ، وكذا في مسألة المنتهىٰ والمعاد الذي هو اليوم الآخر ، وفي موضوع الرسالة والافتقار الى الرابط والواسطة بين الخلق وخالقهم الذي هو الرسول، ومتفقون ايضاً في أوصاف الله تعالى وحالات يوم القيامة وشرائط الرسالة ، وغيرها من المسائل الاعتقادية [١].

وهم أيضاً متفقو القول في أُصول العبادات كالصلاة والصيام والحج وكثير من أحكام الحلال والحرام . إنّما الخلاف في بعض جزئياتها بملاكٍ عرفته مع التكامل في القابل .

وأمّا ماتجد في العهدين من الشرك والتثليث والتوالد أو ارتكاب الأنبياء ـ نعوذ بالله ـ الحرام من شرب الخمر وغيره من المناقضات للدين والعقيدة وخلاف العقل فهو من التحريف الحادث فيها بأيدٍ عرفتها في مسألة التحريف وعلله ، وتفصيل الكلام في المفصّلات مع تصديق الاسلام لسائر الكتب وكونه مهيمناً عليها في الكل جميعها .

***

الفصل الحادي عشر :

الأنبياء عليهم السلام أجرهم على الله تعالىٰ ولايطلبون من الناس أجراً ولا خرْجاً

قال تعالىٰ في نوح : ـ

١ ـ ﴿ فإنْ تولّيتم فما سألتكم من أجرٍ إنْ أجري إلّا على الله وأُمِرْتُ أن أكون من المسلمين ﴾ . (يونس [١٠] الآية ٧٢)

---

١ ـ وقد اشرنا الىٰ شرائط منها في رسالتنا : «نُبَذٌ من المعارف الاسلامية» .

٢ ـ ﴿ وياقوم لا أسألكم عليه مالاً إنْ أجْرِيَ إلّا علىٰ الله... ﴾. (هود[١١]الآية ٢٩)

٣ ـ ﴿ وما أسألكم عليه من أجْر إنْ أجرِيَ إلّا علىٰ ربّ العالمين ﴾ .

(الشعراء [٢٦] الآية ١٠٩)

وفي هود : ـ

١ ـ ﴿ ياقومِ لا أسألكم أجراً إنْ أجرِيَ إلّا علىٰ الذي فطرني أفلاتعقلون ﴾ .

(هود [١١] الآية ٥١)

٢ ـ ﴿ وما أسألكم عليه من أجرٍ إنْ أجرِيَ إلّا علىٰ ربّ العالمين ﴾.

(الشعراء [٢٦] الآية ١٢٧)

وفي صالح : ـ

١ ـ ﴿ وما أسألكم عليه من أجر إنْ أجْرِيَ إلّا علىٰ ربّ العالمين ﴾.

(الشعراء [٢٦] الآية ١٤٥)

وفي لوط : ـ

١ ـ ﴿ وما أسألكم عليه من أجرٍ إنْ أجرِيَ إلّا علىٰ ربّ العالمين ﴾ .

(الشعراء [٢٦] الآية ١٦٤)

وفي شُعيب : ـ

١ ـ ﴿ وما أسألكم عليه من أجرٍ إنْ أجرِيَ إلّا علىٰ ربّ العالمين ﴾ .

(الشعراء [٢٦] الآية ١٨٠)

وفي المرسلين الىٰ أصحاب القرية : ـ

﴿ وجاءَ من أقصىٰ المدينة رجلٌ يسعىٰ قال ياقوم اتّبعوا المرسلين * آتّبعوا من لايسألكم أجراً وهم مُهتدون ﴾ . (يس [٣٦] الآية ٢٠ ـ ٢١)

وفي نبيّنا محمّد خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) :

١ ـ ﴿ قُلْ ما أسألكم عليه من أجرٍ وما أنا من المتكلّفين * إنْ هو إنْ هو إلّا ذكرٌ

للعالمين ﴾ . (ص [٣٨] الآية ٨٦ـ٨٧)

٢ ـ ﴿ وماتسألهم عليه مِنْ أجرٍ إنْ هو إلّا ذكرٌ للعالمين ﴾ .(يوسف[١٢]الآية١٠٤)

٣ ـ ﴿ أمْ تسألهم خرجاً فخراج ربّك خير وهو خير الرازقين ﴾ .

(المؤمنون [٢٣] الآية ٧٢)

٤ ـ ﴿ أمْ تسألهم أجراً فهم من مُغرَمٍ مُثقلون ﴾ . (الطور [٥٢]الآية ٤٠)

٥ ـ ﴿ قل ماأسألكم عليه مِنْ أجْرٍ إلّا من شاء أنْ يتّخِذ الىٰ ربّه سبيلا ﴾ .

(الفرقان [٢٥]الآية ٥٧)

٦ ـ ﴿ ...قل لا أسألكم عليه أجْراً إلّا المودة في القربىٰ... ﴾ .

(الشورىٰ[٤٢] الآية ٢٣)

٧ ـ ﴿ قل ما سألتكم من أجرٍ فهو لكم إنْ أجْرِيَ إلّا علىٰ الله وهو علىٰ كل شيء شهيد ﴾ . (سبأ [٣٤]الآية ٤٧)

صراحة هذه الآيات الكريمة ـ ملخصاً والله أعلم : أنّ الانبياء (عليهم السلام) لم يسألوا الناس أجراً ولا خرْجا قبال تعليمهم وهدايتهم إيّاهم ، بل كانوا يُصرّحون بلسان الانحصار في صورة النفي والاثبات بأنّا لانسأل منكم شيئاً بعنوان الأُجرة ، بل ولايمكن تعويض عملنا بشيء من أموال الدنيا وحطامها لعدم التناسب بينهما ، فليس أجرُنا إلّا علىٰ الله تعالىٰ الذي فطرنا وخلقنا والذي هو ربُّنا وربُّ آبائنا وربُّ العالمين ، والذي أرسلنا اليكم ، فهو الذي يؤاجرنا وتناسب عطاياه عملنا .

غير أنّك تجد البيان في ذلك مختلفاً بالنسبة الىٰ نبيّنا (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقرب من بيان غيره من الأنبياء أولاً ، قائلاً : ﴿ إنْ أجري إلّا علىٰ الله ﴾ ، ونفي الأجر وسؤاله من غير إثباته حتىٰ علىٰ اللّه تعالىٰ ثانياً ، إلّا أنّه ذكر في طرف الاثبات أمراً آخر يرجع الىٰ أصل الرسالة وهو أن إبلاغ أحكام اللّه تعالىٰ وهداية الناس وإرشادهم ليس إلا تذكرة قائلاً : ﴿ من شاءَ أنْ يتّخِذ الىٰ ربّه سبيلا ﴾ ، فكان ذلك عملاً الٰهياً قد فوّض

إلىٰ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا يرتبط بالتقابل والتعويض بينه وبين الناس ؛ والله تعالى هو الذي هدى الناس وأنذر وبشّر بلسان الأنبياء (عليهم السلام) ، وماكنّا لِنهتدِي لولا أنْ هدانا اللّهُ .

وثالثاً طلب الأُجرة وإثبات العوض قبال الدعوة والارشاد بصورة ظاهرة وبلسان الاستثناء في قوله تعالىٰ : ﴿ إلّا المودة في القربىٰ ﴾ فإنّ الاستثناء من نفي سؤال الأُجرة علىٰ تبليغ الرسالة إثباتٌ له عليها في المستثنىٰ وجعَل المودةَ أُجرة للعمل صريحاً .

ولكنّك بعد التأمّل في معنىٰ مودّة القربىٰ ، لاسيما بعد ملاحظة سياقها في الآية المباركة الأُخرىٰ التي هي : ﴿ إلّا من شاءَ أنْ يتَّخذ الىٰ ربِّه سبيلا ﴾ ولاسيما بعد الالتفات الىٰ الحكم بأن ماسأل (عليه وآله) من الأجر فهو لهم كما في الآية المباركة الثالثة : ﴿ قل ماسألتكم من أجرٍ فهو لكـم ﴾ فـبعد تأمّـلك اليسـير هـذا تـجد ان المصاديق القطعية تنطبق في حقّ القربىٰ الذين كانت مودّتهم أجر الرسالة ؛ ومودتُهم تساوي وتعادل اتخاذ سبيل اللّه تعالىٰ منهجاً مقبولاً ، والذي يرجع ويعود إليـنا لا إليهم ، والقربىٰ هم الصدّيقة الطاهرة (عليها السلام) التي هي خيرة نساء العالمين ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعلها سيّد الوصيين (عليه السلام) وبنوها المعصومون (عليهم السلام) فهم العترة الطاهرة وهم عدْل القرآن الكريم ، ومودّتهم لاتنطبق إلا على طاعتهم كما في تفسير القرآن الكريم وتبيين الآيات الكريمة والأحكـام الالـهية واتـباع شـريعتهم والأخـذ بولايتهم (عليهم السلام) ، فإنّ ذلك هو الذي يكون اتخاذاً لسبيل اللّه تعالىٰ وقبوله واتباعاً للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كما جاء في حديث الثقلين .

وعلىٰ ذلك فأجر الرسالة هو الأخذ بطريقٍ يُورث بقاءَ الرسـالة ويُـرشِدُ الىٰ حقيقة الرسالة وروح الشريعة ، ومعنىٰ ذلك انه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يسأل أجراً إلّا العمل بدين الله تعالىٰ وشريعته علىٰ الطريق الأصيل الذي ينتهي الىٰ بقائه وأبديته ، وإلّا

فأجره على الله تعالىٰ ، وإطلاق الأجر علىٰ الانتفاع من العمل والمودّة في القربىٰ وهو الأتّباع لهم فيه لطفٌ لايخفىٰ فانَّ الأُجرة نحو وجود العمل في المعاوضة، والغرض الأصلي من الرسالة هو هداية الناس الىٰ سبيل الله وطريق الحقّ ، فاذا تحقق ذلك بولاية ذوي القربىٰ ومودّتهم وإطاعتهم فكان العمل قد تحقّق في الخارج على وجهه الواقعي اللازم فتأمّل ؛ وتفصيل الكلام في محلّه .

الفصل الثاني عشر :

أهداف الأنبياء عليهم السلام

(ألف) اخراج الناس من الظلمات الىٰ النور ؛ قوله تعالىٰ :

١ ـ ﴿ ولقد أرسلنا موسىٰ بآياتنا أنْ أخرِجْ قومك من الظلمات الىٰ النور... ﴾.
(ابراهيم [١٤] الآية ٥)

٢ ـ ﴿ ألر كتابٌ أنزلناه إليك لتُخرِجَ الناس من الظلمات الىٰ النور بإذن ربِّهم الىٰ صراط العزيز الحميد ﴾ . (ابراهيم [١٤] الآية ١)

٣ ـ ﴿ هو الذي ينزِّل علىٰ عبده آياتٍ بيِّنات ليُخرِجكم من الظلمات الىٰ النور وإنَّ الله بكم لرؤوفٌ رحيم ﴾ . (الحديد [٥٧] الآية ٩)

٤ ـ ﴿.... قد أنزل الله اليكم ذِكْراً * رسولاً يتلو عليكم آياتِ الله مبيّنات ليُخرِجَ الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الىٰ النور... ﴾.(الطلاق [٦٥] الآية ١٠ ـ ١١)

(باء) الدعوة الىٰ الله :

١ ـ ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلّا نوحي إليه أنّه لا إلٰه إلّا أنا فاعبدونِ﴾. (الانبياء [٢١] الآية ٢٥)

٢ ـ ﴿ ولقدْ أرسلْنا نوحاً الىٰ قومه أنّي لكم نذير مبين* ألاّ تعبدوا إلّا اللّٰه إنّي أخاف عليكم عذاب يوم أليم ﴾ . (هود [١١] الآية ٢٥ و ٢٦)

٣ ـ ﴿ وإلىٰ عادٍ أخاهم هوداً قال ياقوم اعبدوا اللّٰه مالكم من إلٰه غيره إنْ أنتم إلّا مُفتَرون ﴾ . (هود [١١] الآية ٥٠)

٤ ـ ﴿ وإلىٰ ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا اللّٰه مالكم من إلٰه غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها .... ﴾ . (هود [١١] الآية ٦١)

٥ ـ ﴿ وإلىٰ مدين أخاهم شعيباً قال ياقوم اعبدوا اللّٰه مالكم من إلٰه غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان .... * وياقوم أوفوا بالمكيال والميزان بالقسط ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولاتعثوا في الأرض مفسدين ﴾ . (هود [١١] الآية ٨٤ و ٨٥)

(جيم) الانذار والتبشير :

١ ـ ﴿ وما نُرسِلُ المُرسَلين إلّا مُبشّرين ومُنذِرين فمَنْ آمنَ وأصلح فلاخوفٌ عليهم ولاهم يحزنون * والذين كذّبوا بآياتنا يمسُّهم العذاب بما كانوا يفسقون ﴾ . (الانعام [٦] الآية ٤٨ ـ ٤٩)

٢ ـ ﴿ ومانُرسِلُ المُرسلين إلّا مُبشّرين ومُنذرين... ﴾ . (الكهف [١٨] الآية ٥٦)

٣ ـ ﴿ .... إنْ أنا إلّا نذيرٌ وبشير لقوم يؤمنون ﴾ . (الاعراف [٧] الآية ١٨٨)

٤ ـ ﴿ إنّا أوحيْنا اليك كما أوحيْنا الىٰ نوح والنبيّين من بعده وأوحيْنا الىٰ إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب و .... رُسُلاً مُبشّرين ومُنذِرين لئلا يكونَ للناس علىٰ الله حجّةٌ بعدَ الرُّسُلِ وكانَ اللّٰهُ عزيزاً حكيماً ﴾ . (النساء [٤] الآية ١٦٣ ـ ١٦٥)

٥ ـ ﴿ ويقولُ الذين كفروا لولا أنزِل عليه آيةٌ من ربّه إنّما أنت منذرٌ ولكلِّ قومٍ هاد ﴾ . (الرعد [١٣] الآية ٧)

٦ ـ ﴿ وبالحقِّ أنزلْناه وبالحقِّ نزلَ وما أرسلْناك إلّا مُبشّراً ونذيرا ﴾ . (الاسراء [١٧] الآية ١٠٥)

٧ ـ ﴿الحمدُ لله الذي أنْزَل على عبده الكتابَ ولم يجعل له عِوَجاً * قيّماً لِيُنذِر بأساً شديداً من لدُنْه ويُبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنَّ لهم أجراً حسناً﴾ . (الكهف [١٨] الآية ١ ـ ٢)

٨ ـ ﴿ وما كنتَ بجانبِ الطور إذْ نادينا ولكنْ رحمةً من ربِّك لتُنذِر قوماً ما أتاهم من نذيرٍ من قبلك لعلّهم يتذكّرون ﴾ . (القصص [٢٨] الآية ٤٦)

٩ ـ ﴿قل إنّما أعظكم بواحدة أنْ تقوموا لله مثنىٰ وفرادىٰ ثم تتفكّروا مابصاحبكم من جنّة إنْ هو إلّا نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد﴾.(سبا[٣٤]الآية ٤٦)

١٠ ـ ﴿ ياأيُّها النبي إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً * وداعياً الىٰ اللّٰه بإذنه وسراجاً مُنيراً* وبشّر المؤمنين بأنَّ لهم من اللّٰه فضلاً كبيراً﴾.

(الاحزاب[٣٣]الآية ٤٥ ـ ٤٧)

١١ ـ ﴿ يٰس * والقرآن الحكيم * إنّك لمن المرسلين * علىٰ صراط مستقيم * تنزيلَ العزيز الحكيم * لتُنذِر قوماً ما أُنذر آباؤهم فهم غافلون ... إنّما تُنذر من اتّبع الذكر وخشي الرحمٰن .... ﴾ . (يٰس [٣٦]الآيات ١ ـ ١١)

١٢ ـ ﴿ ولقد أرسلنا فيهم مُنذِرين * فانظر كيف كان عاقبة المنذَرين ﴾ .

(الصافات [٣٧]الآيتا ٧٢,٧٣)

١٣ ـ ﴿ وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتُنذِر أمَّ القرىٰ ومنْ حولَها وتُنذِر يومَ الجمع لاريْبَ فيه فريقٌ في الجنّة وفريقٌ في السعير ﴾ . (الشورىٰ [٤٢]الآية ٧)

١٤ ـ ﴿واذكر أخا عادٍ إذْ أنذر قومه بالأحقاف وقد خَلَتِ النُذُر مِنْ بيْنِ يدَيْه ومِنْ خَلْفهِ ألاّ تعبدوا إلّا الله إنّي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ .

(الاحقاف [٤٦] الآية ٢١)

١٥ ـ ﴿ إنّا أرسلناك شاهداً ومُبشّراً ونذيراً ﴾ . (الفتح [٤٨]الآية ٨)

١٦ ـ ﴿ إنّا أرسَلْنا نوحاً إلىٰ قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذابٌ

أليم * قال ياقوم إني لكم نذيرٌ مبين ﴾ . (نوح [٧١] الآية ١ ـ ٣)

(دال) تلاوة آيات اللّه والتزكية وتعليم الكتاب والحكمة :

١ ـ ﴿ ربَّنا وابعث فيهم رسولاً مِنهم يتلو عليهم آياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم إنّك أنت العزيز الحكيم ﴾ . (البقرة [٢] الآية ١٢٩)

٢ ـ ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويُزكّيكم ويُعلّمكم الكتاب والحكمة ويعلّمكم مالم تكونوا تعلمون ﴾ . (البقرة [٢] الآية ١٥١)

٣ ـ ﴿ لقد مَنَّ اللّهُ عَلىٰ المؤمنين إذْ بعثَ فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياتِه ويزكّيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمة وإنْ كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ .

(آل عمران [٣] الآية ١٦٤)

٤ ـ ﴿ هو الذي بعثَ في الأُميّين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمة وإنْ كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ .(الجمعة [٦٢] الآية ٢)

(هاء) إقامة العدل والحكومة الحقّة بين الناس :

١ ـ قوله تعالىٰ : ﴿ كان الناس أُمّةً واحدة فبعث الله النبيين مُبشّرين ومُنذِرين وأنْزَلَ معهم الكتابَ بالحقّ ليَحْكُمَ بين الناس فيما اختلفوا فيه... ﴾ .

(البقرة [٢] الآية ٢١٣)

٢ ـ ﴿ إنّا أنزَلْنا اليك الكتابَ بالحقّ لتحكم بين الناس بما أراك اللّه ولاتكن للخائنين خصيما ﴾ . (النساء [٤] الآية ١٠٥)

٣ ـ ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلّا لتُبيِّن لهم الذي اختلفوا فيه وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ . (النحل [١٦] الآية ٦٤)

وربّ قائل يقول : بأنّ بيان الحق المختلف فيه هو غير الحكم بالحق في مورد الخلاف ، ولكن الظاهر أنّ البيان بلا حكم لا أمر له إلّا في الجملة ـ كما ترىٰ .

٤ ـ ﴿ لقد أرسلْنا رُسُلنا بالبيّنات وأنْزلنا معهم الكتابَ والميزان ليقومَ الناسُ

بالقسط وأنزلْنا الحديدَ فيه بأسٌ شديدٌ ومنافع للناس وليعلم اللّهُ مَنْ ينصرُهُ ورُسُلَه بالغيب إنَّ اللّه قويٌ عزيز ﴾ . (الحديد [٥٧] الآية ٢٥)

٥ ـ ﴿ هو الذي أرسل رسولَه بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون ﴾ . (الصف [٦١] الآية ٩)

الآيات الكريمة كما ترىٰ ينقسم محور بحثها الىٰ عناوين خمسة :

الأول : ان الغرض من الرسالة وتنزيل الآيات البينات الىٰ الأنبياء (عليهم السلام) واعطائهم الكتب هو إخراج الناس من الظلمات الىٰ النور بمفهومه الكلي الشامل لكل هداية الى الحق وإرشاد الى الخير في العقائد والأفكار والأعمال والأفعال .

الثاني : إنّ الغرض والهدف الأصلي هو الدعوة الى التوحيد ونفي الشرك حتى لايعبد الناس إلّا اللّه الواحد الأحد ، فإنّه مامن إلٰه غيره ، والتفوّه بألوهية غيره كذبٌ وافتراء ، فالله تعالىٰ هو المعبود بالحق ولا إلٰه إلّا اللّه .

الثالث : الانذار والتبشير ، فهما غرضان لهم أيضاً ، والأنبياء (عليهم السلام) هم النُذر وعليهم إنذار الناس من عذاب الآخرة الأليم والبأس الشديد في يوم الجمع الذي لاريب فيه مِنْ قَبْلِ أن يأتيهم . فإنّ هناك فريقين فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير. وعليهم أيضاً التبشير بالجنة والنعيم الدائم لمن آمن بالله تعالىٰ وأصلح نفسه وعمل صالحاً فإنّ لهم عند ربّهم أجراً حسناً ولايكون للناس علىٰ الله حجة في الجزاء ، وقد عُدَّ لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) معهما (الانذار والتبشير) مقام آخر بعنوان الشاهد ، وذلك في قوله تعالىٰ : ﴿ ياأيُّها النبي إنّا أرسلناك شاهداً ومُبشّراً ونذيرا ﴾ (الأحزاب [٣٣] الآية ٤٥ والفتح [٤٨] الآية ٨) وهذا مستلزم للحضور والتطلّع عند تحقق العمل حتى يصح شهادة التحمّل فيتمكّن من أداء الشهادة ، وتفصيل هذا الفضل القرآني (الذي قد خصّ به صلى الله عليه وآله وهو من الحقائق الدقيقة العالية) في المفصّلات ، وقد أُشير اليه إجمالاً في رسالة «بحث جمعي حول الولاية» وقد طبع بحمد الله باسم «الولاية في القرآن

الكريم» .

الرابع : تلاوة آيات الله تعالىٰ على الناس وتبيينها لهم حتى تستحكم العلاقة بين الخالق والمخلوق ، ثم التطهير والتزكية من الرذائل ، ثم تعليم الكتاب والحكمة (النظرية والعملية) التي من يؤتاها فقد أُوتي خيراً كثيرا .

الخامس : وفي النهاية : الغاية الاساسية والغرض النهائي للبعث والرسالة هو الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه بالحقّ على حدود اللّه تعالى وأحكامه حتى يقوم الناس بالقسط ويحكمهم دين الحق ويظهر على الدين كلّه ولو كره المشركون . وفي المقام أُشير الىٰ أنّ ذلك متوقّف على القدرة وإعدادها ، وهذا يتوقّف على وجود الأجهزة والآلات ، فلابد من اعدادها إذن ؛ واللّه تعالىٰ أنزل الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، لابدّ من الانتفاع منه حسب المقتضيات والشرائط الزمانية والمكانية في ايجاد البأس الشديد على الكفّار والمشركين والمعاندين ـ حفظاً للعدل ، ولاتكن للخائنين خصيماً متجاوزاً عن العدل لذلك .

هذا ولكنّك تعلم أنّ تلك العناوين الخمسة ـ مع عدم تزاحمها ورجوع بعضها الى بعض ـ تجتمع كلها في أمرين :

الأول : إرشاد الناس وهدايتهم الى الحق من عبادة الله تعالىٰ مخلصين له غير مشركين به ، وطهارة الأعمال وصلاحها .

الثاني : الحكومة بين الناس بالحقّ والعدل ليقوم الناس بالقسط ، بأن تتشكل الحكومة الحقّة وتتحقّق الدولة الاسلامية الحاكمة من جميع الجوانب فيسعد الانسان بها في الدنيا والآخرة .

فالغرض كلّه ـ إذن ـ هو خير الانسان وسعادته في الدارين كما عرفت .

الفصل الثالث عشر:

الأنبياء الذين ذكرت أسماؤهم في القرآن الكريم

قبل تحديد أسماء الأنبياء المذكورين في القرآن وتخصيص شطر منه لقصصهم التي تدور حول نبوّتهم، نذكر مقدمة عامة عن النبوة فنقول:

انّ حقيقة النبوّة ليست هي إلّا الوساطة بين الله تعالى الخالق وعباده المخلوقين، في هدايتهم إلىٰ سبيل الرشاد والحق، عن طريق الوحي إلى المصطفين الأخيار الأنبياء الأطهار؛ فكانوا يتحملون الوحي عن الله تعالىٰ ويستمعون كلامه ثم يبلّغونه إلى الناس أو إلى امّتهم وبذلك تتمّ الحجّة عليهم.

والكلام في ذلك كما تعلم قد يقع في نفس تلك الوساطة من غير النظر إلى شريعةٍ وكتاب وطريقةٍ، ويعبّر عنها بالنبوّة العامة.

وقد يقع في ذوي الشرائع وأوُلي العزم الذين بعثوا بدين وكتاب، ويعبّر عنها بالنبوّة الخاصة، وهم الأنبياء الخمسة عليهم السلام.

وقد تطلق النبوة الخاصة ويراد بها خصوص نبوّة سيّدنا ونبينا خاتم الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ويطلق على البحث في غيره «النبوة العامة» ليشمل أُولي العزم منهم، واما انّ دعوتهم كانت تختص بأمّةٍ وقوم مثل عاد وثمود أو بني إسرائيل أو تعمّ الناس مثل دعوة خاتمهم عليه السلام فلا يرتبط بالبحث.

وحيث انّ الكلام في المقام في النبوّة والأنبياء حسب ما يوجد في القرآن الكريم على الإجمال، فإن كتاب الله تعالىٰ بأجمعه وحيٌ وواسطة أوحاه الله تعالىٰ إلى نبيّه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وقد قصّ فيه علىٰ نبيّه قصص الأنبياء وأعلمه وأخبره شطراً

من أنبائهم وأشار إلىٰ آخرين لم يقصصهم[1].

والقرآن الكريم يحوي هذه القصص والأنباء في شتّىٰ سوره ومختلف مباحثه بتفصيل في الجملة[2] كقصة يوسف أو ذكر مجملاً من قصة موسىٰ عليه السلام في مواضع شتّىٰ من القرآن، وكذا الأمر في سائر الأنبياء عليهم السلام .

وتلك الأنباء وردت في كتاب الله تعالىٰ محفوفة بمباحث أُخرىٰ متنوعة؛ عبرة وتذكرة أو تسكيناً منه ـ تعالىٰ ـ لنبيّه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم .

ولنشر إلى ملخّص ما يوجد في مطاوي القرآن سيّما في سور: الأعراف [٧]، وهود [١١]، ومريم [١٩]، والأنبياء [٢١]، والشعراء [٢٦]، وسبأ [٣٤]، والصافات [٣٧]، و ص [٣٨]. ويمكن أن يصطاد منها ترتيبهم التاريخي أيضاً ومعرفة أقوامهم في الجملة وان لم يذكر بحينه.

قال تعالىٰ :

١ ـ ﴿ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾.

(آل عمران [٣] الآية ٣٣)

٢ ـ ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إنّ ربك حكيم عليم* ووهبنا له اسحٰق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين* وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كلٌ من الصالحين* واسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين* ومن آبائهم وذرّياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم﴾ . (الانعام [٦] الآية ٨٣ ـ ٨٧)

---

١ ـ ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين﴾. (هود [١١] الآية ٤٩)

٢ ـ أي ذكر المقاطع الأصلية للقصة دون الجزئيات المستفادة من طبيعة الأمر.

٣ ـ ﴿اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوّة ...﴾. (الأنعام [٦] الآية ٨٩)

٤ ـ ﴿اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده* قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو إلّا ذكرى للعالمين﴾. (الأنعام [٦] الآية ٩٠)

الآيات ـ كما ترى ـ تصرّح باصطفاء الله تعالى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران المذكورين في الآيات اللاحقة.

واما قوله تعالى ﴿اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوّة﴾ فلا تشير إلّا إلى من سمّي قبلاً بالاسم من إبراهيم وآله ـ ومن قبلهم نوح ـ وهم سبعة عشر من آل ابراهيم نشير إليهم إجمالاً.

ويؤيده، بل يُصرّح بنبوّتهم أيضاً خطابه تعالى إلى نبيّه الخاتم بالاقتداء بهداهم؛ قال: ﴿اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ (الأنعام [٦] الآية ٩٠). فان الهداية تلك الخاص منها للخواص حسب تناسب الحكم والموضوع.

وحيث ان الترتيب المستفاد من الآيات يفيد تقدّم آدم على الآخرين ثم نوح ثم إبراهيم وآله وذرّيته الموهوب له اسحاق ويعقوب وبعدهما المذكورين بأسمائهم ـ وان كان الترتيب بينهم لابد وان يستفاد منها ومن سائر الآيات التي نشير إليها إجمالاً ـ. فنقول عندما نطلب ترتيب الأنبياء وزمن بعثهم أو رسالتهم إلى أُممهم من الآيات الكريمة في مطاوي القرآن العظيم ففي الواقع لانجد آية تصرّح بذلك؛ إلّا أن يُصطاد منها الأمر في الجملة.

ففي سورة الأعراف [٧] الآيات رقم ٥٩ إلى ١٧٠ ذُكر أوّلاً:

نوح ٥٩ إلى ٦٤.

ثم هود ٦٥ إلى ٧٢.

ثم صالح ٧٣ إلى ٧٩.

ثم لوط ٨٠ إلى ٨٤.

ثم شعيب ٨٥ إلى ٩٣.

ثم موسىٰ ١٠٣ إلى ١٧١.

ولم يُذكر في الآيات عن قصّة إبراهيم عليه‌السلام بين صالح ولوط شيء مما ذكر في غيرها وركّزت الآيات علىٰ بيان هدف الأنبياء وما كانوا يدعون إليه أممهم من التوحيد في عبادة الله تعالى وترك الآلهة التي كانوا هم وآباؤهم في ضلالة عبادتها، وقبول الرسالة والنصح من قبل الله تعالىٰ ومحادثاتهم معهم، دون التعرّض إلى تعذيبهم أنبياءهم وصبرهم عليهم‌السلام في هذا السبيل.

كما لم يُذكر بعد نوح وهود أيضاً ما ذُكر من قصّة داود وسليمان وأيوب مما ذُكر في آيات سورة الأنبياء.

وفي سورة هود [١١] النازلة كأنّها لمواساة النبيّ الأكرم الخاتم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وتثبيت فؤاده ولزوم تحمّله المشاقّ والمشاكل قبال ما يسمع ويرىٰ من أمّته ويضيق به صدره مما يقولون، بعد تبيين طبيعة الإنسان قِبال البلايا والنِعم، ونتيجة أعمالهم في الدنيا والآخرة، وفي هذا الطريق قصّ الله تعالىٰ عليه شطراً من قصص الأنبياء عليهم‌السلام.

وذكر أوّلاً قصّة نوح بتفصيل نسبي في الآيات من رقم ٣٦ إلى ٤٨.

ثم هود في الآيات ٥٠ إلى ٦٠.

ثم صالح في الآيات ٦١ إلى ٦٨.

ثم إبراهيم في الآيات ٦٩ إلى ٧٦.

ثم لوط في الآيات ٧٧ إلى ٨٣.

ثم شعيب في الآيات ٨٤ إلى ٩٤.

ثم موسىٰ في آيات ٩٦ إلى ٩٩.

ثم قال ﴿ذلك من أنباء القرى نقصّه عليك منها قائم وحصيد* وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم* فما أغنت عنهم آلهتهم... فاستقم كما أُمرت

... ولا تركنوا إلى الذين ظلموا* وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل، واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين... كلاً نقصّ عليك من أنباء الرسل ما نُثبّت به فؤادك...﴾ ولعلّه ﷺ هناك قال: شيبتني سورة هود ـ كما ورد.

وفي سورة مريم [١٩] التي كأنّها نزلت في تبيين مقام عيسىٰ روح الله عليه السلام وبيان هويّته البشرية ردّاً على ما هو بين الناس انّه ابن الله وولده.

فذكرت أوّلاً يعقوب، ثم زكريا، ثم يحيىٰ ثم ذكرت قصة مريم بنت عمران التي قالت أمّها: ﴿ربِّ إنّي نذرتُ لك ما في بطني محرراً فتقبّل منّي إنّك أنت السميع العليم* فلمّا وضعتها قالت ربِّ إنّي وضعتها أُنثىٰ والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأُنثىٰ وإنّي سمّيتها مريم وإنّي أُعيذها بك وذرّيّتها من الشيطان الرجيم* فتقبلها ربّها بقبولٍ حسن وانبتها نباتاً حسنا وكفّلها زكريا كلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّىٰ لكِ هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب* هنالك دعا زكريا ربّه قال ربِّ هب لي من لدنك ذريّةً طيّبة انّك سميع الدعاء﴾. (آل عمران [٣] الآيات ٣٥ ـ ٣٧)

واستجيب دعاؤه ويُشّر بيحيىٰ مصدّقاً بكلمةٍ من الله وهو الغلام الذي بشر به في سورة مريم اسمه يحيى لم يجعل له من قبل سميا وهو بعد الموصوف بكونه سيّداً وحصّوراً ونبيّاً من الصالحين، كما سنشير إليه والمصدقّ بكلمة من الله، وهذه الكلمة هي التي أتاها الله مريم «اسمه المسيح». مريم التي انتبذت من أهلها وأرسل الله إليها روحه فتمثّل لها بشراً سويّاً وقال لها: انما أنا رسول ربّك لأهب لكِ غلاماً زكيّا قالت أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغيّا قال كذلك قال ربّك هو عليّ هيّن ... إلى قوله تعالىٰ حكاية عن عيسىٰ بن مريم قال انّي عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّا وجعلني مباركاً أينما كنت... ذلك عيسىٰ ابن مريم ماكان لله أن يتّخذ من ولد.

ثم تذكر قصّة إبراهيم وانه كان صدّيقاً نبيّا وتشرح شطراً من احتجاجاته مع أبيه آزر. ثم تذكر قصّة موسىٰ وانّه كان مخلَصاً وكان رسولاً نبيّاً، ثم أخاه هارون، ثم إسمٰعيل انّه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيّا، ثم إدريس انّه كان صدّيقاً نبيّاً : أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبييّن من ذريّة آدم وممّن حملنا مع نوح من ذريّة إبراهيم وإسرائيل .. والحاصل انّك ترىٰ في سورة مريم ذكر:

١ ـ يعقوب .

٢ ـ ثم زكرّيا .

٣ ـ ثم يحيىٰ .

٤ ـ ثم عيسىٰ .

٥ ـ ثم إبراهيم .

٦ ـ ثم موسىٰ وهارون .

٧ ـ ثم إسماعيل .

٨ ـ ثم إدريس .

مصرّحاً بأنّهم هم الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذريّة آدم، فهم الأنبياء المصرّح بنبوّتهم في القرآن الكريم، مع ان الترتيب في البعث غير ذلك قطعاً كما صرّحت به سائر الآيات. ولم يشر فيها إلىٰ غيرهم كذي الكفل وذي النون وغيرهما.

وكذلك في سورة الأنبياء [٢١]، قال الله تعالى : ﴿ولقد آتينا موسىٰ وهارون الفرقان﴾ الآية [٤٨]، ثم قال: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل...﴾ الآية [٥١]. إلى قوله تعالىٰ: ﴿ونجيّناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين . ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلةً وكلاً جعلنا من الصالحين﴾ إلى الآية [٧٢] الآيات المشيرة إلى قصّة إبراهيم عليه السلام ونجاته مع لوط وهبة الله تعالى إياه اسحق ويعقوب، من غير إشارة إلىٰ نبوّتهم، ثم أشير إلى نبوّة لوط وحكمه كما سيأتي إن شاء الله ثم نوح .

فالترتيب حسب الذكر في الحكم والنبوّة دون البعث والإرسال:

١ ـ إبراهيم عليه السلام الآيات ٥١ إلى ٧٢.

٢ ـ ثم لوط الآية ٧٤.

٣ ـ ثم نوح الآية ٧٦.

٤ ـ ثم داود وسليمان الآية ٧٨.

٥ ـ ثم أيوب الآية ٨٣.

ثم إسمٰعيل وإدريس، وذا الكفل، وذا النون ويونس، وزكريا، ويحيىٰ وعيسىٰ، وركزت الآيات ـ كما ترىٰ ـ على تعريف الأنبياء عليهم السلام باشخاصهم والإيماء إلى ما آتاهم الله من الحكمة والنعمة طيلة حياتهم الرسالية دون شيء من الترتيب في البعث فإن إبراهيم الذي آتاه الله رشده من قبل، كان مبعوثاً بعد نوح، بل كان من شيعته وتابعيه، ولم يذكر شيئاً عن هود وصالح اللذين كانا بعد نوح وقبل إبراهيم كما ذكر في سورة هود.

وهكذا في سورة الشعراء [٢٦] التي ذكر في أوّلها خطاباً للنبيّ الأكرم ﴿لعلّك باخعٌ نفسك ألّا يكونوا مؤمنين﴾ الحاكي عن حرص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على هداية الأمّة وتأثره الشديد علىٰ عدم القبول، ثم ذكر قصّة جمع من الأنبياء في دعوتهم أممهم وكيف تصرفوا معهم وجابهوهم وحاربوهم؛ كلّ ذلك تثبيتاً للفؤاد، ولكي يتذكّر في نهاية كلّ مورد من الموارد ان هذه القصص وما جرىٰ للمرسلين والأنبياء تكون طبيعية بمقتضى الرسالة، وهي مستلزمة لذلك، فقد ذكر أوّلاً شطراً من قصّة موسىٰ عليه السلام في الآيات ١٠ إلى ٦٨.

ثم إبراهيم في الآيات ٦٩ إلى ٨٩.

ثم نوح في الآيات ١٠٥ إلى ١٢٢.

ثم هود في الآيات ١٢٣ إلى ١٤٠.

ثم صالح في الآيات ١٤١ إلى ١٥٩ .

ثم لوط في الآيات ١٦١ إلى ١٧٥ .

ثم شعيب في الآيات ١٧٦ إلى ١٨٩ .

ثم خاطب الرسولَ النبيَّ الأُمّيَّ بقوله تعالىٰ : ﴿وإن ربّك لهو العزيز الرحيم* وانّه لتنزيلٌ من ربّ العالمين* نزل به الروح الأمين* على قلبك لتكون من المنذرين* بلسانٍ عربيٍّ مبين﴾. الآيات ١٩١ إلى آخر السورة .

وفي سورة سبأ [٣٤] ورد ذكر داود وانّ الله تعالى أتاه فضلاً؛ فسّر ذلك الفضل بالنبوّة والكتاب، ولقد سخّر الله له الجبال والطير، وليّن له الحديد. وسخّر لسليمان الريح غدوّها شهر ورواحها شهر، وسُيّل له عين القطر، وسخّر له الجنّ؛ من يعمل بين يديه، ثم قصّ واقعة موته لخصوصية في ذلك المقام المُنبّه لكلّ إنسان.

وكما في سورة الصّافات [٣٧] عند ذكر إرسال المنذِرين من الرسل بعد الإشارة إلى وضع الأُمم وظلمهم بأنفسهم وبيان عاقبة المنذَرين، فنادىٰ نوحٌ ربّه وشكا أُمّته، فأجابه الله تعالى ونجّاه وأهله من الكرب العظيم، وجعل ذرّيته هم الباقين، فنعم المجيب ربّ العالمين .

ثم ذكر إبراهيم وانّه من شيعة نوح، وقصّ احتجاجه مع أبيه آزر، ورؤيته في المنام انّه يذبح اسماعيل، وفدية الله تعالىٰ إيّاه بذبحٍ عظيم وصرّح به ببركة الله تعالى عليه وعلى إسحٰق ثم أشار إلى نعمة الله تعالى على موسى وهارون ونجاتهما وقومهما من الكرب العظيم .

ثم ذكر إلياس وانّه لمن المرسلين، وأشار إلى تكذيب قومه، وسلام الله عليه، وانّه من عباده المؤمنين .

ثم ذكر لوط وأنّه لمن المرسلين، ونجاة الله تعالىٰ إياه وأهله من قومه وتدمير الآخرين.

ثم يونس وانّه لمن المرسلين، إذ أبق إلى الفلك المشحون.. إلى نهاية قصته .

وفي نهاية تلك القصص قال الله تعالىٰ : ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انّهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون.

وفي سورة ص[٣٨] نفس المقال من ذكر الأمم الذين عجبوا ان جاءهم منذرٌ منهم وقالوا هذا ساحرٌ كذّاب وقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون وثمود وقوم لوط وأصحاب الأريكة (أي قوم شعيب) كلٌ كذّب الرسل فحقّ عليهم العقاب .

ثم ورد ذكر داود وقد جعله الله خليفة في الأرض وآتاه الحكمة وفصل الخطاب وأمره أن يحكم بين الناس بالحق ثم قال: ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انّه أوّاب﴾ (ص [٣٨] الآية ٣١) وقصّ قصّته، ثم ذكر أيّوب إذ نادى ربه انّي مسّني الشيطان بنصبٍ وعذاب.

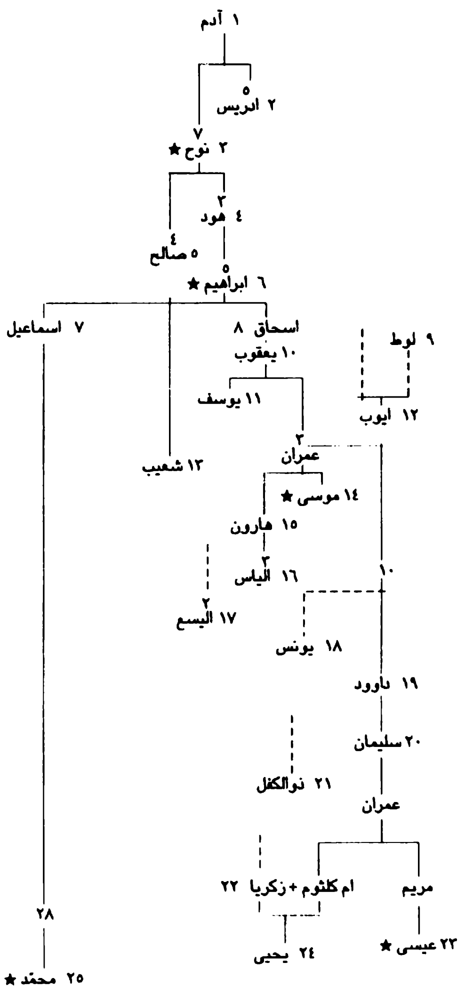
ثم ذكر إبراهيم وإسحٰق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار .

ثم ذكر إسمٰعيل واليسع وذا الكفل وكلٌ من الأخيار .

وكذا في سورة العنكبوت [٢٩] وغيرها من السور حيث ورد ذكر الأنبياء وقصصهم أو قصص أممهم كلّ ذلك تثبيتاً لفؤاد الرسول وتقويةً لروحه حتى يخف عليه ثقل ما يصيبه من قومه في طريق هدايتهم وإرشادهم .

والآيات كما عرفت لا تتصدّى لبيان ترتيب الأنبياء وبعثهم بحسب الزمان ومن بعث منهم أوّلاً أو ثانياً وثالثاً إلاّ بالنسبة إلى خاتم الأنبياء ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿ماكان محمّدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين...﴾ (الأحزاب [٣٣] الآية ٤٠) ولكن يمكن أن يستفاد من الآيات في مطاوي السور ترتيبهم عليهم السلام في الجملة.

فلنرجع إلى ذلك الترتيب المستفاد من تلك الظواهر معتضداً بما يفسّر الأمر من الروايات كما ترىٰ ذلك في القائمة الموجودة في الصفحة التالية.



١ آدم
٥
٢ ادريس
٧
٣ نوح ★
٣
٤ هود
٤
٥ صالح
٥
٦ ابراهيم ★
٧ اسماعيل
اسحاق ٨
٩ لوط
١٠ يعقوب
١١ يوسف
١٢ ايوب
٣
عمران
١٣ شعيب
١٤ موسى ★
١٥ هارون
٣
١٦ الياس
١٠
٢
١٧ اليسع
١٨ يونس
١٩ داوود
٢٠ سليمان
٢١ ذوالكفل
عمران
٢٢ زكريا + ام كلثوم
مريم
٢٨
٢٣ عيسى ★
٢٤ يحيى
٢٥ محمّد ★

فأوّلهم آدم عليه السلام وفي خلقته وقصّته وشأنه آيات نتعرّض لشطر منها :

الأوّل في خلقته :

• ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصالٍ من حمإٍ مسنون﴾. (الحجر[١٥]الآية ٢٦)

• ﴿وإذ قال ربّك للملائكة إني خالق بشراً من صلصالٍ من حمإٍ مسنون﴾.
(الحجر[١٥]الآية ٢٨)

• ﴿قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصالٍ من حمإٍ مسنون﴾.
(الحجر[١٥]الآية ٣٣)

• ﴿خلق الإنسان من صلصالٍ من فخّار﴾. (الرحمن[٥٥]الآية ١٤)

• ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا﴾. (الاسراء[١٧]الآية ٦١)

• ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمّى عنده ثم أنتم تمترون﴾. (الانعام [٦]الآية ٢)

• ﴿قال ما منعك ألّا تسجد إذ أمرتك قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين﴾. (الأعراف [٧]الآية ١٢)

• ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾. (المؤمنون [٢٣]الآية ٢٣)

• ﴿يا أيّها الناس إن كنتم في ريبٍ من البعث فإنّا خلقناكم من ترابٍ ثم من نطفة ثم من علقةٍ ثم من مضغةٍ مخلّقة وغير مخلقة لنبيّن لكم ونقرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجلٍ مسمّى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدّكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يُردّ إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علمٍ شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كلّ زوجٍ بهيج﴾ . (الحج[٢٢]الآية ٥)

• ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشرٌ تنتشرون﴾.
(الروم[٣٠] الآية ٢٠)

• ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم* الذي أحسن كلَّ شيءٍ خَلقَه وبدأ خلقَ الإنسان من طين* ثم جَعَلَ نسلَهُ من سلالةٍ من ماءٍ مهين* ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾.

(السجدة[٣٢] الآيات ٦ ـ ٩)

• ﴿فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً أم من خلقنا إنّا خلقناهم من طينٍ لازب﴾.

(الصافات[٣٧] الآية ١١)

• ﴿إذ قال ربّك للملائكة إني خالق بشراً من طين﴾. (ص [٣٨] الآية ٧١)

• ﴿قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾. (ص [٣٨] الآية ٧٦)

• ﴿ان مثل عيسىٰ عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾.

(آل عمران [٣] الآية ٥٩)

• ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة﴾.

(الكهف [١٨] الآية ٣٧)

• ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أُنثىٰ ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمرٍ ولا ينقص من عمره إلا في كتابٍ ان ذلك علىٰ الله يسير﴾. (فاطر [٣٥] الآية ١١)

• ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدّكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمّى ولعلّكم تعقلون﴾. (غافر [٤٠] الآية ٦٧)

الثاني في قصّته وشأنه :

• ﴿وإذ قال ربّك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون* وعلّم آدم الأسماء كلّها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بإسماء

هؤلاء إن كنتم صادقين* قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا إنك أنت العليم الحكيم* قال يا آدم انبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنّي أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون* وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبىٰ واستكبر وكان من الكافرين* وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين* فأزلّهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعضٍ عدوّ ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين* فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه انّه هو التوّاب الرحيم* قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منّي هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.(البقرة [٢]الآيات٣٠ـ٣٨)

• ﴿يا أيُّها الناس اتقوا ربّكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا﴾. (النساء [٤]الآية ١)

• ﴿ولقد خلقناكم ثم صوّرناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين﴾. (الأعراف [٧]الآية ١١)

• ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين* فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربّكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين* وقاسمهما إنّي لكما لمن الناصحين* فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة وناداهما ربّهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدوّ مبين* قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين* قال اهبطوا بعضكم لبعضٍ عدوّ ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاع إلى حين* قال فيها تحيون وفيها

تموتون ومنها تخرجون* يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خيرٌ ذلك من آيات الله لعلّهم يذكرون* يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنّة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انّه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انّا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾.

(الأعراف [٧] الآيات ١٩ ـ ٢٧)

• ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرّت به فلما أثقلت دعوا الله ربّهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين* فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عمّا يشركون﴾. (الأعراف [٧] الآيات ١٨٩ ـ ١٩٠)

• ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما* وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبىٰ* فقلنا يا آدم ان هذا عدوّ لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنّه فتشقى* ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرىٰ* وأنّك لا تظمأ فيها ولا تضحى* فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلّك على شجرة الخلد وملك لا يبلىٰ* فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة وعصى آدم ربّه فغوىٰ* ثم اجتباه ربّه فتاب عليه وهدى* قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدوّ فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضلّ ولا يشقى﴾.

(طه [٢٠] الآيات ١١٥ ـ ١٢٣)

• ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربّه أفتتخذونه وذرّيته أولياء من دوني وهم لكم عدوّ بئس للظالمين بدلا﴾.

(الكهف [١٨] الآية ٥٠)

• ﴿خلقكم من نفسٍ واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أُمهاتكم خلقاً من بعد خلقٍ في ظلماتٍ ثلاث

ذلكم الله ربّكم له الملك لا إله إلّا هو فأنّى تصرفون﴾. (الزمر [٣٩] الآية ٦)

وملخّص الآيات:

ان آدم أبو البشر الذي اذا أراد الله تعالى أن يخلقه في الأرض ليجعله خليفة فيها، خلقه من تراب ثم من طين باختلاط الماء مع التراب بل من سلالة من طين بعد ذلك الاختلاط. وعندما صار الطين لازباً بتلاصق الأجزاء بعد انفعال كلّ جزء مع الآخر وتأثير كلّ منها فيه طيلة الزمن، ثم في حرارة الطبيعة وحركة الشمس والقمر مدى سنين عديدة، صار صلصالاً كالفخار من حمإٍ مسنون.

ثم عندما تهيأ واستعد لقبول أمرٍ من الله تعالى بعدما سوّاه سويّا كاملاً، أُفيض إليه ونفخ فيه من روحه فخلق بشراً سوياً ذا جسم وروح من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً ونساءً فكان مثله كمثل عيسىٰ في خلقه من غير أب[1]. وعندما أراد الله أن يجعله خليفة في الأرض، قالت الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، حيث لم يروا منه إلّا ظاهره الطبيعي وبدنه من عالم الكون والفساد وما تقتضيه الغرائز. وعندئذٍ علّم الله تعالى آدم الأسماء كلّها ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة وقال لهم انبئوني بأسماء هؤلاء. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا وأنت تعلم انّا لا نعلم منها شيئاً، فقال الله تعالىٰ لآدم: انبئهم، فلما أنبأهم عرفوا حقيقة الأمر وأنّ في آدم هذه الخصيصة، على جسمه وبدنه بل نفسه وروحه وأنّها علم من الله تعالى اختُصّ به؛ ولذلك سجدوا لله تعالىٰ تفخيماً لآدم عندما أمرهم الله بذلك[2] إلّا إبليس أبىٰ واستكبر وقال خلقته من طين وخلقتني من النار. ءأسجد لمن خلقته طيناً. ولم أكن لأسجد لبشرٍ خلقته من صلصالٍ من حمإٍ مسنون، فان النار من عالم النور والطين والتراب من عالم الظلمة فقيل له لاستكباره بعدما علم

---

١ ـ ﴿ان مثل عيسىٰ عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ...﴾. (آل عمران [٣] الآية ٥٩)

٢ ـ ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ...﴾ (البقرة [٢] الآية ٣٤)

ما علمه الملائكة: اخرج فانّك رجيم وعليك اللعنة إلى يوم الدين .

وهكذا صار إبليس أعدىٰ عدوّ للإنسان، وأقسم بالله تعالى أن يضلّ أبناء آدم بعدما طلب دوام نسله بدوام أبناء آدم إلى يوم الدين، وأعطي طلبه إلّا عباد الله المخلصين، وأوّل من ابتلي بهذا البلاء والعداوة آدم وزوجته .

فملخّص الآيات ان الله تعالىٰ قال لآدم اسكن أنت وزوجك الجنّة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين[١]* ويا آدم إنّ لك أن لا تجوع فيها (أي في هذه الجنّة) ولا تعرىٰ وانّك لا تظمأ فيها ولا تضحى[٢] فوسوس إليه الشيطان وقال هل أدلّك علىٰ شجرة الخلد، وقاسمهما انّه لهما لمن الناصحين، فدلّاهما بغرور فأزلهما فأكلا من الشجرة. ولما ذاقا منها بدت لهما سوآتهما، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة، وبذلك عصىٰ آدم ربّه فغوىٰ. وناداهما ربُّهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدوّ مبين[٣] فأخرجهما ممّا كان فيه وقال لهما اهبطا جميعاً[٤] بل اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين[٥] اهبطوا جميعاً (آدم وزوجه مع إبليس الذي وسوس لهما) فإما يأتينكم منّي هدىً فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون[٦] فتلقى آدم من ربّه بكلمات فتاب عليه انّه هو التوّاب الرحيم[٧] .

وبالتأمّل في نفس هذه الآية الإلهية والخلقة الرحمانيّة تجد أن آدم خلق في الأرض، من الأرض والسماء، من الخلق والأمر، فبدنه من الطين والتراب، ونفسه من

---

١ ـ البقرة ٢ / ٣٥.
٢ ـ طه ٢٠ / ١١٨ ـ ١٢٠.
٣ ـ الأعراف ٧ / ٢٢.
٤ ـ طه ٢٠ / ١٢٢.
٥ ـ البقرة ٢ / ٣٦.
٦ ـ البقرة ٢ / ٣٨.
٧ ـ البقرة ٢ / ٣٧.

روحه وأمره تعالىٰ. وخلق من هذه النفس الواحدة زوجها وبثّ منهما رجالاً ونساءً[١].

ثم ان آدم، هذه الآية الإلهية علّمه الله تعالى الأسماء كلّها، وليس المراد اللغات والألفاظ بل أسماء الله تعالى، الحقائق المحققة، في الخلقة الناشئة من اسمائه، وبعد ذلك التعليم أراد أن يجعله خليفةً في الأرض وإذا أراد شيئاً يكفي أن يقول له كن فيكون.

والجنّة هذه المعرّفة بالألف واللام غير موصوفة، فالجنّة التي جُعلت مسكناً لآدم وزوجته غير جنّه الخلد أو الفردوس أو جنّة النعيم وحتى غير الجنّة التي وُعد المتقون والجنّة التي تجري من تحتها الأنهار وفيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت والجنّة التي نورث من عبادنا من كان تقيّا، فإنّ ذلك كلّه لما بعد الموت وجزاءً لما كانوا يعملون بعد البعث وانتهاء نظام الخلقة الحالي، حيث لا تكليف هناك، ولا يدخل فيها الرجيم حتى وسوسته بل لا يمكن الخروج منها، فإن طبعها الخلود والنعمة أنّ فيها نعيماً وخلوداً .

في حين ان إبليس أو وسوسته قد دخل في تلك الجنّة التي اتخذها آدم وزوجته مسكناً ووسوس لهما وأزلّهما عن تكليف ودفعهما الى ما نهاهما الله تعالى عنه وهو ان يقربا تلك الشجرة .

ولذلك فالهبوط منها ليس إلا الورود في المهبوط إليه المستلزم للخروج، فالجنّة هذه كانت علىٰ الأرض التي خلق الله تعالى آدم منها وجعله خليفةً فيها ثم هبط إلى بسيط الأرض سهلها وممتنعها عندما تلقّى من ربّه كلمات فتاب عليه. انّه هو التوّاب الرحيم.

---

١ ـ سورة النساء ٤ آية ١ .

وعلى هذا، فآدم عليه السلام خليفة لله تعالىٰ في أرضه ومعلّمٌ بعلم الأسماء أي الحقائق المخلوقة من أسماء الله تعالىٰ، وهو مصطفىٰ كاصطفاء نوح وإبراهيم وآل إبراهيم وآل عمران من الأنبياء المصطفين الأخيار، وذلك غير اصطفائه في نظام الخلقة وعالم الوجود. وهذه الخلافة وهذا الاصطفاء يجعله ممتازاً عن أبنائه البشر المنتشر، وآدم أبو البشر وأبناؤه المنتشرين ليسوا آدم هذا.

ومقتضى خلافته الخاصّة، وعلّمه بالأسماء وحقائق الخلقة، واصطفائه ـ في هذا المستوىٰ علىٰ الأقلّ ـ نبوته إلى أبنائه وزوجته وعشيرته من زمن خلقه إلى بعث نبي بعده من بنيه إدريس أو نوح كما سنشير إليه .

ويدلّ على ذلك قوله تعالى لدىٰ هبوطهم **﴿فإمّا يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**[١].

وهذه الهداية هي التي أتىٰ بها آدم من قِبل الله تعالىٰ لأبنائه .

ويؤيد ذلك قوله تعالىٰ : **﴿ولقد بعثنا في كلّ أمّة رسولاً﴾**[٢].

وقوله تعالىٰ : **﴿وإن من أُمّة إلا خلا فيها نذير﴾**[٣].

والناس طول حياته المديدة بل بعد وفاته أُمةٌ لم تخل من نذير، وقد عاش على الأرض كثيرٌ من أبنائه. وبينه وبين نبي بعده زمنٌ طويل لا يعقل خلوّهم من نبي ونذير.

وفي الباب روايات كثيرة بتعابير مختلفة عن انقضاء نبوّة آدم[٤]، أو انه أوّل الأنبياء والمرسلين[٥] من شاء فليراجع .

---

١ ـ البقرة ٢ / ٣٨.
٢ ـ النحل ١٦ / ٣٦.
٣ ـ فاطر ٣٥ / ٢٤.
٤ ـ بحار الأنوار ج١١ ص٢٢٨ رواية ٦ باب ٥ .
٥ ـ بحار الأنوار ج٢٣ ص٦٤ رواية ٤ باب ٢ ... قلت من كان أوّل الأنبياء قال آدم . وبحار الأنوار ج١١ ص٤٣ ←

ومما يُعجب المراجع انّه لم يبحث عن نبوّة آدم مستقلاً على ما هو المتوقع بل أشير إلى ذلك خلال تفسير قصّة خلقه ومراحل ابتلاءاته التي أشرنا إليهما كما عرفت.

وختام البحث فيما يُقال ان أفضل أفراد كلّ نوع هو امام نوعه يُنبئهُم بلزوم التكامل حتىٰ الوصول إليه، وأكمل أفراد نوع الإنسان في كلّ زمان هو الإمام بالمعنى الأعمّ، الشامل للنبيّ، وفي بدء خلق الإنسان لم يكن ذلك إلا آدم لتواجد ما ذكرنا من العلم والفضيلة فيه وتشرّفه بالخلافة، فكان نبيّاً لسائر بني نوعه كما تشهد بذلك الأدلّة العقلية .

ثم بعد آدم ـ حسب ظاهر الآية التي عدّت المصطفين ـ نوح إلا ان هناك نبيّاً ذكر في سورة مريم، قال تعالىٰ : **﴿واذكر في الكتاب إدريس انّه كان صدّيقاً نبيّاً* ورفعناه مكاناً عليّا* أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممّن حملنا مع نوح ...﴾** (مريم [١٩] الآيات ٥٦ ـ ٥٨).

وهو إدريس، وقد عُدّ من النبيين من ذرّية آدم وممّن حمله الله تعالى مع نوح فكان موجوداً في زمنه. وفي التفاسير[1] انّه (جد أبي نوح) ومن ذلك يعلم قطعاً انه كان نبيّاً قبل نوح بعد آدم .

وكذلك في سورة الأنبياء عُدّ ضمن الأنبياء، قال تعالىٰ: **﴿واسمٰعيل وإدريس وذا الكفل كلٌّ من الصابرين﴾**. (الأنبياء [٢١] الآية ٨٦)

فإدريس عليه السلام كان صدّيقاً نبياً بصراحة الآية الشريفة وهو من ذرّية آدم لا من ذرّية نوح وإبراهيم، فكانت نبوّته قبل نوح وكان من الصابرين في الله تعالى وممّن ركب سفينة نوح وقد رفعه الله تعالى مكاناً عليا.

← رواية ٤٨ باب ١ عن ابن عباس انّه قال أوّل المرسلين آدم وآخرهم محمّد صلى الله عليه وآله .
١ ـ تفسير الجلالين .

وقيل ان هذا الرفع هو الرفع الواقع في روح الله تعالى عيسىٰ بن مريم، في قوله تعالىٰ ﴿وما قتلوه وما صلبوه بل رفعه الله إليه﴾ وان إدريس أيضاً حيٌّ مرفوع في السماء وقيل في الجنّة بعد أن اذيق الموت وأُحيي ولم يخرج منها .

فهو من النبيين المرفوع درجتهم المصطفين الأخيار، وزمن انتهاء نبوّته لا ينافي نبوّة نوح في أوائل بعثه .

ولم يُذكر في كتاب الله تعالىٰ في غير الموضعين، زائداً على ما عرفت من نبوّته وصدقه وصبره وعلوّ مكانه، شيئاً من أنبائه مع قومه وأُمته إلّا ما يستفاد من نفس تلك الأوصاف، فان التصريح بكونه صديقاً قِبال تكذيب الناس إيّاه مثل سائر الأنبياء وصبره في جنب الله تعالىٰ، دالّ على ايذاء امّته إياه، ويترتب على ذلك علوّ مكانه أو رفعه تعالى إياه لديه .

ثم بعده حسب ترتيب الآية نوح .

نوح هو شيخ الأنبياء علىٰ نبيّنا وآله وعليه السلام. قد لبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين[1] وفي قصته آيات كثيرة نذكر شطراً منها ونشير إلى ما هو المستفاد منها ملخصاً.

١ ـ ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره انّي أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيم* قال الملأ من قومه إنّا لنراك في ضلالٍ مبين* قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكنّي رسولٌ من ربّ العالمين* أُبلغكم رسالات ربّي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون* أو عجبتم ان جاءكم ذكرٌ من ربّكم على رجلٍ منكم لينذركم ولتتقوا ولعلّكم ترحمون* فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفُلك وأغرقنا الذين كذّبوا بآياتنا إنّهم كانوا قوماً عمين﴾. الأعراف [٧] الآية ٥٩ ـ ٦٤

---

١ ـ ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾. العنكبوت [٢٩] الآية ١٤.

٢ ـ ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه انّي لكم نذيرٌ مبين* أن لا تعبدوا إلّا الله انّي أخاف عليكم عذاب يومٍ أليم* فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتّبعك إلّا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرىٰ لكم علينا من فضلٍ بل نظنّكم كاذبين* قال يا قوم أرأيتم إن كنتُ علىٰ بيّنة من ربّي وآتاني رحمةً من عنده فعمّيت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون* ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً ان أجري إلا علىٰ الله وما أنا بطارد الذين آمنوا انّهم ملاقوا ربّهم ولكني أراكم قوماً تجهلون* وياقوم من ينصرني من الله ان طردتهم أفلا تذكّرون* ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انّي مَلَكٌ ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إنّي إذاً لمن الظالمين* قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين* قال انّما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين﴾. الآيات هود [١١] الآية ٢٥ ـ ٤٨

٣ ـ ﴿كذبت قوم نوحٍ المرسلين* إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون* إنّي لكم رسولٌ أمين* فاتقوا الله وأطيعون* وما أسألكم عليه من أجرٍ إن أجري إلا علىٰ ربّ العالمين فاتقوا الله واطيعون* قالوا أنؤمن لك واتّبعك الأرذلون* قال وما علمي بما كانوا يعملون* ان حسابهم إلّا على ربّي لو تشعرون* وما أنا بطارد المؤمنين* ان انا إلّا نذيرٌ مبين* قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين* قال ربّ إنّ قومي كذبون* فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجّني ومن معي من المؤمنين* فأنجيناه ومن معه في الفُلك المشحون* ثم أغرقنا بعد الباقين﴾ .

(الشعراء [٢٦] الآية ١٠٥ ـ ١٢٠)

فارجع البصر إلى الآيات ثانياً، هل ترىٰ فيها من فطور؟ فانها بألطف بيان وأصرح لسان تقصّ عليك قصّة نوح وقومه بأن الله تعالىٰ أرسله إليهم فقال لهم اعبدوا الله مالكم من إله غيره، ولا تعبدوا إلا الله انّي أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيم

ويوم أليم، فاوعدهم بعذاب يوم القيامة أو يوم الطوفان لتوصيف اليوم بانّه أليم وان كان يحتمل أن يكون الوصف للعذاب، فقال الملأ من قومه الذين كفروا به ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك إلا أن اتّبعك أراذلنا وما نراك إلا في ضلالٍ وليس لكم علينا فضل ونظنّكم كاذبين .

فأجابهم بانّي رسولٌ أمين أبلّغكم رسالات ربي وأنصح لكم، ولا أعلم الغيب، ولا أقول إنّي ملك، ولا أعلم ما في أنفسكم، وما أنا بطارد الذين آمنوا لأنكم ترونهم من الأراذل والطبقة السفلىٰ، ولا أقول ان الله لا يؤتي الخير للذين تزدي أعينكم من هذه الطبقة الذين آمنوا بي، وليس بي ضلالة، وذلك من عناية الله ورحمته من إرساله الرسول إلى عباده. أوعجبتم إن جاءكم رجلٌ منكم ومثلكم، ولا أسألكم من أجرٍ ومال، فإنّ أجر رُسل الله عليه الذي فطر الناس وخلقهم، فقالوا يا نوح قد جادلتنا وأكثرت جدالنا وان لم تنته لنرجمنّك .

ولم يؤمن له إلّا قليل طيلة سنوات عديدة فـ ﴿قال ربِّ إنّي دعوت قومي ليلاً ونهاراً* فلم يزدهم دعائي إلا فرارا* وإنّي كلّما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرّوا واستكبروا استكبارا* ثم انـي دعوتهم جهارا* ثم انّي أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا فقلت استغفروا ربّكم انّه كان غفّارا﴾. (سورة نوح [٧١] الآية ٥ ـ ٩)

﴿... ربِّ انّهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا* ومكروا مكراً كبارا...﴾ (سورة نوح [٧١] الآية ٢٢ و ٢٣)

﴿ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا* إنّك ان تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا﴾. (سورة نوح [٧١] الآية ٢٦ و ٢٧)

﴿فدعا ربّه انّي مغلوبٌ فانتصر﴾. (سورة القمر [٥٤] الآية ١٠)

﴿...ربِّ ان قومي كذّبون* فافتح بيني وبينهم ونجّني ومن معي من

المؤمنين﴾. (سورة الشعراء [٢٦] الآية ١١٧ ـ ١١٨).

فأوحى الله تعالى إليه ﴿لن انه يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون* واصنع الفُلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنّهم مغرقون﴾. (سورة هود [١١] الآية ٣٦ و ٣٧)

فأطاع نوح ربّه في صناعة الفلك سيما ان الله تعالى نهاه عن التخاطب معه في الظالمين وعذابهم الكاشف من صبر نوح وحلمه في دعوته وتلطفه بعباد الله تعالى فإنّه لم يدعُ إلّا على الكافرين، بل دعا لنفسه وللذين آمنوا معه فأُجيب بأمرٍ بوعد الظالمين الكافرين المكذّبين له، ونُهي عن التخاطب فيهم وكلّما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه، قال ان تسخروا منّا فإنّا نسخر منكم كما تسخرون، فإذا جاء أمر الله وفار التنور وفتحت أبواب السماء بماءٍ منهمر وفجّرت الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمرٍ قد قدر[١] أوحىٰ الله تعالىٰ إليه ان احمل فيها من كلّ زوجين اثنين وأهلك ومن آمن معك، فقال نوح اركبوا فيها بسم الله مجريٰها ومرسيٰها وهي تجري في موجٍ كالجبال وابنه الذي سبق عليه القول لم يركب ونادٰاه نوح يا بني اركب معنا قال سآوي إلى جبلٍ يعصمني قال لا عاصم اليوم، فحال بينهما الموج وكان من المغرقين. وقيل يا أرض ابلعي مائكِ ويا سماء اقلعي وغيض الماء واستوت على الجودى فانجاه الله تعالى ومن معه في الفُلك المشحون بالمؤمنين وسائر الحيوانات من كلّ زوجين اثنين وأغرق بعد الباقين الذين كذّبوا بآيات الله وقال نوح في ابنه: ربِّ ان ابني من أهلي وان وعدك الحق فقال الله تعالىٰ انّه ليس من أهلك انّه عمل غير صالح فاستعاذ ربّه في سؤاله ذلك واستغفره، مع ان سؤاله عليه السلام ليس من الذنب المتعارف ولكن بالنسبة إلى مقام النبي المرسل الذي يعلم ان الله بيده كلّ شيء ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يفعل إلا خيراً، بعيدٌ غير متوقع فاستعاذ بالله أن يسأل ما ليس له

١ ـ انظر سورة القمر [٥٤] الآيات ١١ ـ ١٤.

به علم، فقال له الله تعالى في نهاية الأمر: يا نوح اهبط بسلام منّا وبركات عليك وعلى أمم ممّن معك، وقال تعالىٰ :

• ﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون• ونجيناه وأهله من الكرب العظيم• وجعلنا ذريّته هم الباقين• وتركنا عليه في الآخرين• سلامٌ علىٰ نوحٍ في العالمين• انّا كذلك نجزي المحسنين• انّه من عبادنا المؤمنين• ثم أغرقنا الآخرين• وان من شيعته لإبراهيم﴾. (الصافات [٣٧] الآيات ٧٥ ـ ٨٣)

• ﴿... ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريّته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسىٰ وهارون وكذلك نجزي المحسنين﴾. (الأنعام [٦] الآية ٨٤)

ثم بعد نوحٍ هودٌ عليه السلام الذي أُرسل إلى قوم عاد وفي قصته وشأنه آيات :

١ ـ ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون• قال الملأ الذين كفروا من قومه انّا لنراك في سفاهة وانّا لنظنّك من الكاذبين• قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكنّي رسولٌ من ربّ العالمين• أُبلّغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصحٌ أمين• أو عجبتم أن جاءكم ذكرٌ من ربّكم على رجلٍ منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطةً فاذكروا آلاء الله لعلّكم تفلحون• قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبدُ آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين• قال قد وقع عليكم من ربّكم رجسٌ وغضبٌ أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزّل الله بها من سلطان فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين• فأنجيناه والذين معه برحمةٍ منّا وقطعنا دابر الذين كذّبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين﴾. (الأعراف [٧] الآيات ٦٥ ـ ٧٢)

٢ ـ ﴿وإلى عادٍ أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ان أنتم إلا مفترون• يا قوم لا أسألكم عليه أجراً ان أجري إلّا على الذي فطرني أفلا تعقلون• ويا قوم استغفروا ربّكم ثم توبوا إليه يُرسل السّماء عليكم مدراراً ويزدكم قوّة إلى

قوّتكم ولا تتولوا مجرمين* قالوا يا هود ما جئتنا ببيّنةٍ وما نحنُ بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين* ان نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوءٍ قال إنّي أشهد الله واشهدوا انّي بريءٌ ممّا تشركون* من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون* إنّي توكلتُ علىٰ الله ربّي وربّكم ما من دابّةٍ إلّا هو آخذٌ بناصيتها انّ ربّي علىٰ صراطٍ مستقيم* فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أُرسلتُ به إليكم ويستخلف ربّي قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً ان ربي علىٰ كلّ شيء حفيظ* ولمّا جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمةٍ منّا ونجيناهم من عذاب غليظ * وتلك عادٌ جحدوا بآيات ربّهم وعصوا رُسله واتبعوا أمر كلّ جبّارٍ عنيد* وأُتبعوا في هذه الدنيا لعنةً ويوم القيامة ألا انّ عاداً كفروا ربهم ألا بُعداً لعادٍ قوم هود﴾ (هود [١١]الآيات ٥٠ ـ ٦٠)

٣ ـ ﴿كذبت عادٌ المرسلين* إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون* انّي لكم رسولٌ أمين* فاتقوا الله وأطيعونِ* وما أسألكم عليه من أجرٍ إن أجري إلا علىٰ ربّ العالمين* أتبنون بكل ريع آية تعبثون* وتتخذون مصانع لعلّكم تخلدون* وإذا بطشتم بطشتم جبّارين* فاتقوا الله واطيعون* واتقوا الذي أمدّكم بما تعلمون* أمدّكم بأنعامٍ وبنين* وجناتٍ وعيون* انّي أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيم* قالوا سواءٌ علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين* انّ هذا إلا خلق الأولين* وما نحنُ بمعذبين* فكذبوه فأهلكناهم ان في ذلك لآيةً وما كان أكثرهم مؤمنين* وان ربّك لهو العزيز الرحيم﴾ . (الشعراء [٢٦]الآية ١٢٣ ـ ١٤٠)

٤ ـ ﴿واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الاّ تعبدوا إلا الله انّي أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيم* قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ...﴾ (الاحقاف [٤٦]الآية ٢١ ـ ٢٢)

الآيات الشريفة الواردة في قصّة هود ذُكرت بعد قصّة نوح في ثلاثة موارد، وفي الأحقاف في مقام تثبيت فؤاد النبيّ الأكرم ﷺ في خطابه تعالىٰ ﴿قل ما كنت

بدعاً من الرسل﴾ واشير إلى ما جرى عليهم مع أممهم من التكذيب والإيذاء .

وهناك آيات أُخر تشير إلى عذاب عادٍ قوم هود أو نوع العذاب كما في قوله تعالىٰ :

١ ـ ﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين* وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وما كانوا مستبصرين* وقارون وفرعون وهامان...* فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.

(العنكبوت [٢٩] الآية ٣٧ ـ ٤٠)

٢ ـ وقال شعيب لقومه : ﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوحٍ أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ .

(هود [١١] الآية ٨٩)

٣ ـ ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين (قوم شعيب) والمؤتفكات (قوم لوط) أتتهم رسلهم بالبيّنات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ . (التوبة [٩] الآية ٧٠)

٤ ـ ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعادٍ وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبيّنات فردّوا أيديهم في أفواههم وقالوا انّا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفي شكٍ ممّا تدعوننا إليه مريب﴾ . (ابراهيم [١٤] الآية ٩)

٥ ـ ﴿وإن يكذّبوك فقد كذّبت قبلهم قوم نوحٍ وعاد وثمود* وقوم إبراهيم وقوم لوط* وأصحاب مدين (قوم شعيب) وكُذّب موسىٰ فأمليت للكافرين ثم أخذتُهم فكيف كان نكير﴾ (الحج [٢٢] الآية ٤٢ ـ ٤٤)

٦ ـ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد* وثمود وقوم لوط

وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب* ان كلٌّ إلا كذّب الرسل فحق عقاب﴾.

ص [٣٨] الآية ١٢ ـ ١٤

٧ ـ ﴿فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ... فأما عادٌ فاستكبروا في الأرض بغير الحقّ وقالوا من أشدّ منّا قوّة... وكانوا بآياتنا يجحدون* فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيّامٍ نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزىٰ وهم لا ينصرون﴾. (فصلت [٤١] الآية ١٣ ـ ١٦)

٨ ـ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرسّ وثمود* وعاد وفرعون وإخوان لوط* وأصحاب الايكة (قوم شعيب) وقوم تُبّع كلٌّ كذّب الرسل فحق وعيد﴾.

(ق [٥٠] الآية ١٢ ـ ١٤)

٩ ـ ﴿وفي عادٍ إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾. الذاريات [٥١] الآية ٤١

١٠ ـ ﴿كذّبت عاد فكيف كان عذابي ونذر* انّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحسٍ مستمر* تنزع الناس كأنّهم أعجاز نخل منقعر* فكيف كان عذابي ونذر﴾. (القمر [٥٤] الآيات ١٨ ـ ٢١)

١١ ـ ﴿كذّبت ثمود وعاد بالقارعة* فأمّا ثمود فأهلكوا بالطاغية* وامّا عاد فأهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية* سخرّها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيّام حسوماً فترى القوم فيها صرعىٰ كأنّهم أعجاز نخلٍ خاوية* فهل ترىٰ لهم من باقية﴾ .

(الحاقة [٦٩] الآيات ٤ ـ ٨)

١٢ ـ ﴿ألم تر كيف فعل ربّك بعاد* ارم ذات العماد* التي لم يخلق مثلها في البلاد... فأكثروا فيها الفساد* فصبّ عليهم ربُّك سوط عذاب * إن ربّك لبالمرصاد﴾. (الفجر [٨٩] الآيات ٦ ـ ١٤)

وغيرها من الآيات .

وملخّص القسمين المستفاد منهما في قصّة هود وقومه ان عاداً كانوا قوماً ذوي

قوّة وثروة، كانوا يعيشون في رفاه ونعمة وجنّات عالية البناء لم يوجد ولم يخلق مثلها في البلاد. وكانوا بالاحقاف فأرسل الله تعالى إليهم أخاهم هوداً؛ قال لهم يا قوم اعبدوا الله مالكم من إلّه غيره، انكم مفترون في اعتقاداتكم وعباداتكم للآلهة المصنوعة ولا أسألكم على دعوتي إيّاكم من أجر، إن أجري إلا على الله الذي فطرني، فقال الذين كفروا من قومه إنّا لنراك في سفاهة ونظنّك من الكاذبين، وانّك جئتنا لنترك آلهتنا وما جئتنا ببيّنة وما نحنُ بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين.

فأجابهم بقوله يا قوم ليس بي سفاهة ولكنّي رسول ربّ العالمين أُبلغكم رسالات ربّي وأنا لكم ناصحٌ أمين، أوعجبتم إن جاءكم ذكرٌ من ربّكم على رجل منكم لينذركم، ثم ذكر لهم النعم التي أنعم الله عليهم بعد واقعة الطوفان فقال ان الله جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم بصطةً في الخلق وأمدّكم بأنعامٍ وبنين وجنّات وعيون لتبنوا بكلّ ريعٍ بناء وعلى كلّ مرتفع قصراً وتتخذون مصانع تحسبون انّكم تخلدون فتبطشون بطش الجبارين، فاتقوا الله واستغفروا ربّكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوّة إلى قوّتكم، انّي أشهد الله واشهدوا انّي بريءٌ ممّا تشركون من دونه، انّي توكلت على الله ربّي وربّكم، ما من دابّة إلا هو آخذٌ بناصيتها، إن ربّي على صراطٍ مستقيم، فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أُرسلت به إليكم ويستخلف ربّي قوماً غيركم . قالوا يا هود سواءٌ علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين. فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين .

فقال هود : أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزّل الله بها من سلطان فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين . فأرسل الله عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحسٍ مستمر بأيامٍ نحسات سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ، وكان كالصاعقة تنتزع الناس كأنّهم أعجاز نخلٍ خاوية فلا ترىٰ لهم من باقية .

والله تعالىٰ قد نجّا هوداً ومن آمن معه وأهلك الآخرين .

وممّا يرشد بل يدلّ على انّ هوداً عليه السلام كان نبيّاً بعد نوح النبيّ عليه السلام أوّلاً ما صرّح به في قوله تعالىٰ عن لسان هود خطاباً إلى قومه عاد : ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح...﴾ (الأعراف [٧] الآية ٧١)، فهم كانوا بعد هلاك قوم نوح بالطوفان خلفاءهم، ولا يطلق خلفاء نسل وقوم مع وسائط بل بعضهم كانوا ممن مع نوح في السفينة ومن الناجين المشمولين لبركات الربّ .

وثانياً ما ذكر في شيمتهم من بناء القصور والمساكن على المرتفعات حفظاً عمّا كانوا قد رأوا من السيل والطوفان، وكان يذكر بينهم ما قال لهم نبيّهم هود: ﴿أتبنون بكلّ ريع آيةً تعبثون * وتتخذون مصانع لعلّكم تخلدون﴾.(الشعراء[٢٦]الآية ١٢٨و١٢٩)

فهم كانوا بعد نوح من غير واسطة بتلك القرائن وكذلك نبيّهم .

ويشير إلى ذلك ما في نهاية قصّة نوح من قوله تعالىٰ : ﴿يا نوح اهبط بسلام منّا وبركات عليك وعلى اُممٍ ممّن معك واُمم سنمتعهم ثم يمسّهم منّا عذابٌ أليم﴾ (هود [١١] الآية ٤٨) فان قوم عاد قد أنزل الله عليهم بركات وزادهم بصطةً في الخلق وآتاهم بركات كثيرة من النعم والارم والجنات فكفروا بربّهم فمسّهم عذاب غليظ لما اتبعوا أمر كلّ جبارٍ عنيد؛ وغير ذلك ممّا يمكن أن يستفاد من الآيات، مع صراحة التاريخ والسنن بذلك.

ثم بعد هود النبيّ عليه السلام بُعث صالح عليه السلام أخو ثمود إلى قومه، وفي قصّته وشأن قومه آيات :

١ ـ ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بيّنة من ربّكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم * واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوّأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون من الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا

تعثوا في الأرض مفسدين* قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون ان صالحاً مرسلٌ من ربّه قالوا إنّا بما أُرسل به مؤمنون* قال الذين استكبروا انّا بالذي آمنتم به كافرون* فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربِّهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين* فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين* فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾. (الأعراف [٧] الآيات ٧٣ ـ ٧٩)

٢ ـ ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعادٍ وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين (قوم شعيب) والمؤتفكات (قوط لوط) أتتهم رسلهم بالبيّنات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾. (التوبة [٩] الآية ٧٠)

٣ ـ ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب* قالوا يا صالح قد كنتَ فينا مرجُوّاً قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب* قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربي وآتاني منه رحمةً فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير* ويا قوم هذه ناقة الله لكم آيةً فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسّوها بسوءٍ فيأخذكم عذابٌ قريب* فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب* فلما جاء أمرنا نجيّنا صالحاً والذين آمنوا معه برحمةٍ منّا ومن خزي يومئذٍ ان ربّك هو القوي العزيز* وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين* كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم ألا بُعداً لثمود﴾. (هود [١١] الآيات ٦١ ـ ٦٨)

٤ ـ ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم...﴾ (ابراهيم [١٤] الآية ٩)

٥ ـ ﴿.... وآتينا ثمود الناقة مبصرةً فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾.

(الاسراء [١٧] الآية ٥٩)

٦ ـ ﴿وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود* وقوم إبراهيم وقوم لوط* وأصحاب مدين (قوم شعيب) وكذِّب موسىٰ فامليتُ للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير﴾. (الحج [٢٢] الآيات ٤٢ ـ ٤٤)

٧ ـ ﴿وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً﴾.

(الفرقان [٢٥] الآية ٣٨)

٨ ـ ﴿كذبت ثمود المرسلين* إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون* انّي لكم رسولٌ أمين* فاتقوا الله واطيعون* وما أسألكم عليه من أجرٍ إن أجري إلّا علىٰ ربّ العالمين* أتُتركون في ما هٰهنا آمنين* في جناتٍ وعيون* وزروع ونخل طلعها هضيم* وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين* فاتقوا الله واطيعون* ولا تطيعوا أمر المسرفين* الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون* قالوا انّما أنت من المسحَّرين* ما أنت إلا بشرٌ مثلنا فأتِ بآيةٍ إن كنت من الصادقين* قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم* ولا تمسّوها بسوءٍ فيأخذكم عذاب يومٍ عظيم* فعقروها فأصبحوا نادمين* فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾. (الشعراء [٢٦] الآيات ١٤١ ـ ١٥٨)

٩ ـ ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً ان اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون* قال يا قوم لِمَ تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلّكم ترحمون* قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قومٌ تفتنون* وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ... فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنّا دمّرناهم وقومهم أجمعين* فتلك بيوتهم خاوية بما

ظلموا إن في ذلك لآية لقومٍ يعلمون* وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾.

(النمل [٢٧] الآيات ٤٥ ـ ٥٣)

١٠ ـ ﴿كذّبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد* وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب* انْ كلٌّ إلا كذّب الرسلَ فحق عقابِ﴾.

(ص [٣٨] الآيات ١٢ ـ ١٤)

١١ ـ ﴿وقال الذي آمن (من آل فرعون) يا قوم انّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب* مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريدُ ظلماً للعباد﴾. (غافر [٤٠] الآية ٣٠ ـ ٣١)

١٢ ـ ﴿واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدىٰ فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون* ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾.

(فصلت [٤١] الآية ١٧ و ١٨)

١٣ ـ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود* وعاد وفرعون واخوان لوط* وأصحاب الأيكة وقوم تبع كلٌّ كذب الرسل فحق وعيد﴾.

(ق[٥٠] الآيات ١٢ ـ ١٤)

١٤ ـ ﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتىٰ حين* فعتَوا عن أمر ربّهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون* فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين﴾.

(الذاريات [٥١] الآية ٤٣ ـ ٤٥)

١٥ ـ ﴿وانه أهلك عاد الأولىٰ* وثمود فما أبقىٰ* وقوم نوح من قبل انّهم كانوا هم أظلم وأطغىٰ* والمؤتفكة أهوى* فغشاها ما غشىٰ﴾. (النجم[٥٣]الآيات ٥٠ ـ ٥٤)

١٦ ـ ﴿كذبت ثمود بالنذر* فقالوا أبشراً منّا واحداً نتبعه إنّا إذاً لفي ضلال وسعر* ءألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذّابٌ أشر* سيعلمون غداً من الكذّاب

الاشر * انّا مرسلوا الناقة فتنةً لهم فارتقبهم واصطبر * ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كلّ شرب محتضر * فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر * فكيف كان عذابي ونذر * انّا أرسلنا عليهم صيحةً واحدة فكانوا كهشيم المحتظِر﴾. (القمر [٥٤] الآية ٢٣ ـ ٣١)

١٧ ـ ﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة * فاما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾.

(الحاقة [٦٩] الآية ٤ ـ ٥)

١٨ ـ ﴿وثمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾. (الفجر [٨٩] الآية ٩)

١٩ ـ ﴿كذبت ثمود بطغواها * إذ انبعث أشقاها * فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها * فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربّهم بذنبهم فسوّاها * ولا يخاف عقباها﴾. (الشمس [٩١] الآيات ١١ ـ ١٥)

الآيات ـ كما ترىٰ ـ تدلّ على الترتيب وان صالحاً عليه السلام قد أُرسل إلى قومه ثمود بعد هودٍ المرسل إلى قومه عاد، وهما مرسلان بعد نوح .

قال الله تعالىٰ عن لسان نبيّه صالح عليه السلام : ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عادٍ وبوّأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً...﴾.(الأعراف [٧] الآية ٧٤). والتصريح بأن الله تعالى جعلهم خلفاء عاد بعد هلاكهم وان قوم عاد كانوا يبنون بكلّ مرتفع وريع تحرزاً عن الطوفان وقوم ثمود يتّخذون سهول الأرض قصوراً نعمةً عليهم ورحمة فهم كانوا قطعاً بعد قوم عاد، ونبيّهم صالح كان بعد نبيّهم هود .

ويشير إلى ذلك ذكر قوم ثمود بعد عاد في كثير من الآيات التي عرفت وذكرهما بعد نوح في قسم منها سيّما الترتيب المذكور في سور التوبة [٩] الآية ٧١ وإبراهيم [١٤] الآية ٩ والحج [٢٢] الآيات ٤٣ إلى ٤٥ وغيرها المشعر بالترتيب .

ثم تصرّح بأن صالحاً النبيّ عليه السلام كان من القوم وهو أخوهم أُرسل إليهم فقال لهم يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره، هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها

فاتقوه وأطيعوه ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون[١] فاني لكم رسول أمين لقد أبلغتكم رسالة ربّي ونصحتُ لكم وما أسألكم عليه من أجرٍ إن أجري إلّا على الله .

فاستكبروا وقالوا له يا صالح أتنهانا أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا إنّا لفي شكٍّ مما تدعونا إليه مريب انّما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشرٌ مثلنا، أنتبع بشراً واحداً منّا إنّا إذاً لفي ضلالٍ وسعر وجنون، وكيف ألقي الذكر على أحد من بيننا، فأنت كذّابٌ أشر.

وعندئذٍ صار القوم فريقين يختصمون قد آمن بعضهم، واستكبر آخرون، فقال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين آمنوا أتعلمون أن صالحاً مرسلٌ من ربّه؟ قالوا إنّا بما أُرسل به مؤمنون، فقالوا إنّا بالذي آمنتم به كافرون .

فقال لهم صالح يا قوم إن كنت علىٰ بيّنة من ربّي فمن ينصرني من الله؟ قالوا فإتِ بآيةٍ إن كنت من الصادقين. فقال الله تعالىٰ لرسوله انا مرسلو الناقة فتنة لهم واختباراً فارتقبهم واصطبر ونبئهم ان الماء قسمةٌ بينهم كلّ شرب محتضر .

فقال لهم صالح هذه ناقة الله لكم آية منه تعالىٰ فذروها تأكل في أرض الله، لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، ولا تمسّوها بسوءٍ فيأخذكم عذاب أليم وعذاب يومٍ عظيم .

فلم يجيبوه ولم يسمعوا دعوته وعتوا عن أمر ربّهم واتبعوا أمر الرهط المفسدين فعقروا الناقة .

فقال لهم صالح تمتعوا في داركم حتىٰ حين (ثلاثة أيّام) ثم يمسّكم عذاب أليم من ربّكم، وذلك وعدٌ غير مكذوب .

قالوا يا صالح أئتنا بما تعدنا إن كنتَ من المرسلين .

---

١ ـ وكان في المدينة تسعة رهط (رجال) يفسدون في الأرض ولا يصلحون. (النمل [٢٧] الآية ٤٨)

قال صالح يا قوم لِمَ تستعجلون بالسّيئة والعذاب قبل الحسنة، لولا تستغفرون ربّكم وتطلبون منه ان يرد عنكم العذاب لعلّكم ترحمون برحمةٍ منه ورأفة في تلك الفرصة (ثلاثة أيام). ولكن حيث كان في المدينة تسعة رهط مفسدين ومغرورين وكانوا ينهون القوم عن التوبة والاستغفار ويأمرونهم بالإستكبار. فأصبحوا نادمين ومانفعهم الندم. فإذا جاء الأمر بعد ثلاثة أيّام أنجىٰ الله تعالىٰ نبيّه صالحاً والذين آمنوا معه برحمةٍ منه وأخذ الذين استكبروا وظلموا أنفسهم الصيحة الواحدة والرجفة الشديدة والزلزلة الطاغية فأصبحوا في ديارهم جاثمين باركين على الركب ميتين كهشيم المحتضر مكسورة عظامهم كأنّها هشيم الزرع فصارت ديارهم كأن لم يغنوا فيها.

وخلاصة قصّة قوم ثمود ونبيّهم صالح انّ الله تعالىٰ جعلهم خلفاء لقوم عاد وأنعم عليهم كثيراً فصاروا آمنين في جنّات وعيون وزروع ونخل طلعها هظيم، وجابوا الصخر من الجبال بالوادي وبنوا قصوراً وبيوتاً في سهول الأرض والجبال فارهين فرهين فأرسل الله إليهم أخاهم صالحاً وجعل له آيةً وفتنةً واختباراً لهم وهي الناقة، وقيل لهم لا تمسّوها بسوءٍ، فاستحبوا العمى على الهدى فطغوا وعتوا على أمر ربّهم وعقروها، فدمدم عليهم ربّهم بذنبهم، فأخذتهم الصاعقة والصيحة الواحدة والرجفة وعذاب الهون فما استطاعوا من قيام، وحقّ عليهم العقاب وصاروا في ديارهم جاثمين. وما الله يريدُ ظلماً للعباد، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

ثم بعد صالح إبراهيم عليه السلام .

ثم بعد صالح من ذريّته نوح وشيعته إبراهيم عليه السلام نشير إلى شطرٍ من الآيات الراجعة إلى قصّته في القرآن الكريم :

■ ﴿وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأتمّهنّ قال إنّي جاعلك للناس إماما قال

ومن ذرّيتي قال لا ينالُ عهدي الظالمين* وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أنْ طهِّرا بيتي للطائفين والعاكفين والركّع السجود* واذ قال إبراهيم ربِّ اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير* وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربّنا تقبّل منّا إنّك أنت السميع العليم* ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلّا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنّه في الآخرة لمن الصالحين... أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلٰهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾.

(البقرة [٢] الآيات ١٢٤ ـ ١٣٤)

■ ﴿وإن من شيعته لإبراهيم* إذ جاء ربّه بقلبٍ سليم* إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون* أئفكاً آلهةً دون الله تريدون* فما ظنّكم بربّ العالمين* فنظر نظرة في النجوم* فقال إنّي سقيم* فتولّوا عنه مدبرين* فراغ إلىٰ آلهتهم فقال ألا تأكلون* مالكم لا تنطقون* فراغ عليهم ضرباً باليمين* فأقبلوا إليه يزِفّون* قال أتعبدون ما تنحتون* والله خلقكم وما تعملون﴾. (الصافات [٣٧] الآيات ٨٣ ـ ٩٦)

■ ﴿وقال إني ذاهبٌ إلى ربي سيهدين* ربِّ هب لي من الصالحين* فبشرناه بغلامٍ حليم* فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرىٰ في المنام أنّى أذبحك فانظر ماذا ترىٰ قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين* فلمّا أسلما وتلّه للجبين* وناديناه أن يا إبراهيم* قد صدّقت الرؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين* إن هذا لهو البلاء المبين* وفديناه بذبحٍ عظيم* وتركنا عليه في الآخِرين* سلامٌ على إبراهيم* كذلك نجزي المحسنين* انه من عبادنا المؤمنين* وبشّرناه بإسحٰق نبيّاً من الصالحين﴾. (الصافات [٣٧] الآيات ٩٩ ـ ١١٢)

■ ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين* إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلامٌ قومٌ منكرون* فراغ إلى أهله فجاء بعجلٍ سمين* فقرّبه إليهم قال ألا تأكلون* فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلامٍ عليم* فأقبلت امرأته في صرّة فصكّت وجهها وقالت عجوز عقيم* قالوا كذلكِ قال ربّكِ انه هو الحكيم العليم* قال فما خطبكم أيُّها المرسلون* قالوا إنّا أُرسلنا إلى قومٍ مجرمين* لنرسل عليهم حجارة من طين* مسوَّمة عند ربّك للمسرفين* فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين* فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين* وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم﴾. (الذاريات [٥١] الآيات ٢٤ ـ ٣٧)

■ ﴿وإذ قال إبراهيم ربِّ اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام* ربِّ انهنّ أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فانّه منّي ومَن عصاني فانّك غفور رحيم* ربنا إنّي أسكنت من ذرّيتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ربّنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون* ربّنا إنّك تعلم ما نخفي وما نُعلن وما يخفى على الله من شيءٍ في الأرض ولا في السماء* الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسمٰعيل وإسحٰق إن ربي لسميع الدعاء* ربِّ اجعلني مقيم الصلاة ومن ذرّيتي ربّنا وتقبّل دعاء* ربنا اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾. (سورة إبراهيم [١٤] الآيات ٣٥ـ٤١)

■ ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهةً اني أراك وقومك في ضلالٍ مبين* وكذلك نري إبراهيم ملكوت السمٰوات والأرض وليكون من الموقنين* فلّما جنّ عليه الليل رأىٰ كوكباً قال هذا ربّي فلما أفل قال لا أُحبّ الآفلين* فلما رأىٰ القمر بازغاً قال هذا ربّي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربّي لأكوننَّ من القوم الضالّين* فلما رأىٰ الشمس بازغةً قال هذا ربّي هذا أكبر فلّما أفلت قال يا قوم إنّي بريء ممّا تشركون* إنّي وجّهتُ وجهي للذي فطر السمٰوات والأرض حنيفاً وما

أنا من المشركين* وحاجّه قومه قال أتحاجّونّي في الله وقد هدانِ ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربّي شيئاً وسع ربّي كلّ شيءٍ عِلماً أفلا تتذكرون﴾.

(الأنعام [٦] الآيات ٧٤ ـ ٨٠)

■ ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنّا به عالمين* إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون* قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين* قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلالٍ مبين* قالوا أجئتنا بالحقّ أم أنت من اللاعبين* قال بل ربّكم ربّ السمٰوات والأرض الذي فطرهن وأنا علىٰ ذلكم من الشاهدين* وتالله لأكيدن آلهتكم بعد أن تولوا مدبرين* فجعلهم جُذاذاً إلّا كبيراً لهم لعلّهم إليه يرجعون* قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنّه لمن الظالمين* قالوا سمعنا فتى يذكرهم يُقال له إبراهيم* قالوا فأتوا به علىٰ أعين الناس لعلّهم يشهدون* قالوا ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم* قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون* فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنّكم أنتم الظالمون* ثم نُكسوا علىٰ رؤوسهم لقد علمت ما هٰؤلاء ينطقون* قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضرّكم* أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون* قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين* قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم* وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين* ونجيّناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين* ووهبنا له إسحٰق ويعقوب نافلةً وكلاً جعلنا صالحين﴾. (الأنبياء [٢١] الآيات ٥١ ـ ٧٢)

■ ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم* إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون* قالوا نعبد أصناماً فنظلّ لها عاكفين* قال هل يسمعونكم إذ تدعون* أو ينفعونكم أو يضرّون* قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون* قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون* أنتم وآباؤكم الأقدمون* فانّهم عدوٌّ لي إلّا ربّ العالمين* الذي خلقني فهو يهدين* والذي هو يطعمني ويسقين* وإذا مرضتُ فهو يشفين* والذي يميتني ثم يُحيين* والذي

أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾. (الشعراء [٢٦] الآيات ٦٩ ـ ٨٢)

■ ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرىٰ قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجلٍ حنيذ* فلّما رأىٰ أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفةً قالوا لا تخف إنّا أُرسلنا إلى قوم لوط* وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحٰق ومن وراء إسحٰق يعقوب* قالت يا ويلتىٰ ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إنّ هذا لشيء عجيب* قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت انّه حميدٌ مجيد* فلّما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرىٰ يجادلنا في قوم لوط* إن إبراهيم لحليمٌ أوّاه منيب* يا إبراهيم أعرِض عن هذا انّه قد جاء أمر ربّك وإنّهم آتيهم عذابٌ غير مردود﴾. (سورة هود [١١] الآيات ٦٩ ـ ٧٦)

■ ﴿ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيمَ في ربّه ان آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربّي الذي يُحيي ويُميت قال أنا أُحيي وأُميت قال إبراهيم فإنّ الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

(البقرة [٢] الآية ٢٥٨)

■ ﴿وإذ قال إبراهيم ربِّ أرِني كيف تُحيي الموتىٰ قال أوَلم تؤمن قال بلىٰ ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهُنّ إليك ثم اجعل على كلّ جبلٍ منهنّ جزءاً ثمّ ادعهن يأتينك سعياً واعلم ان الله عزيز حكيم﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٦٠)

■ ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسنٌ واتبع ملّة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾. (النساء [٤] الآية ١٢٥)

وملخّص الآيات ـ والله أعلم ـ ان إبراهيم كان من شيعة نوح وتابعيه فاختبره الله تعالىٰ وابتلاه بكلمات وأُمور وحوادث مثل ما دخلوا عليه رسل الله وضيفه وسلّموا عليه فأجابهم بقوله سلام وجاء لهم بعجلٍ سمين حنيذ كثير اللحم مشويّ فلم تصل إليه أيديهم، وقال لهم ألا تأكلون، وما لكم لا تنطقون ولا تجيبون، وأوجس في نفسه

منهم خيفة، قالوا له لا تخف إنّا أُرسلنا إلىٰ قوم لوط، وبشرّوه بغلامٍ عليم، وعندما كانت امرأته (سارة) قائمةً ضحكت فبشروها بإسحٰق ومن وراء إسحٰق يعقوب، فصكّت وجهها ولطمته صائحة في صرّة وتعجبت وقالت ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا، قالوا لها أتعجبين من أمر ربّك، كذلك أمرُ الله، ورحمته وبركاته عليكم أهل البيت، والله تعالى عليم بما يريد، حكيم في فعله، حميدٌ مجيد، فإنّ ما يريد ويفعل محمودٌ ممجّدٌ. فسألهم إبراهيم عن خطْبهم ورسالتهم، فقالوا إنّا أُرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مُسوّمةً عند ربّك، جزاءً لجرائمهم، فذهب عن إبراهيم الروع والخيفة وجادلهم في القوم بأنّكم تهلكونهم وفيهم مؤمنون، قالوا يا إبراهيم أعرِض عن هذا إنّه قد جاء أمر ربّك، فاخرج الله تعالىٰ من كان فيهم من المؤمنين وآتاهم عذاباً غير مردود، فما وُجد فيها غير بيت من المسلمين، فخلص إبراهيم ومن آمن به نجيًا وهلك المجرمون .

وكذا دعوته من آتاه الله الملك المذكور في التاريخ (نمرود) واحتجاجه معه. فقال له ان ربّي يُحيي ويميت، فأجاب الملك أنا أيضاً أُحيي وأُميت وطلب، بعض المسجونين وأطلق بعضاً وأعدم وأمات الآخر، فقال إبراهيم: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب ان كنت من الصادقين، فبهت الذي كفر، وغلب إبراهيمٌ في احتجاجه على الخصم المغالط في إحيائه واماتته .

وكذلك دعوته أبيه آزر وقومه بعدما آتاه الله رشده فقال لهم ما تعبدون؟ ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ قالوا نعبد أصناماً ولقد وجدنا آباءنا لها عابدين، فقال لهم إبراهيم هل تسمع هذه الأصنام كلامكم عندما تدعونهم أو هل ينفعونكم او يضرّون، وحيث انّهم لا يسمعون ولا يعلمون ولا يقدرون علىٰ شيء فأنتم وآباؤكم الأقدمون في ضلالٍ مبين. فقالوا له يا إبراهيم اجئتنا بإلٰهٍ حقٍّ يسمع ويعلم وينفع شيئاً، او أنت من اللاعبين بالأصنام، فأجابهم بأن ربّكم ربّ السمٰوات والأرض الذي

فطرهن وربّ العالمين الذي خلقني فهو يهديني والذي يُطعمني ويسقيني وإذا مرضت فهو يشفيني والذي يُميتني ثم يُحييني والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين .

فربّي الله خالق كلّ شيء القادر المتعال النافذ أمره من السماء إلى الأرض وفي جميع شؤون الحياة في الدنيا والآخرة، وتلك الأصنام لا تقدر علىٰ شيء، فأيهما أحقّ بالعبادة، ثم ان تلك الأصنام في طريق الهداية والإثبات لا تقدر علىٰ شيء حتى على الدفاع عن أنفسها، وأقسم بالله تعالى على أن يكيد لتلك الأصنام عندما يولون عنهم مدبرين في يوم وفرصة خاصّة، فانتهز الفرصة وجعل الأصنام جذاذاً مقطّعة متفرقة الأجساد والقطعات إلاكبيرهم، وعندما رجعوا إلى معبدهم ورأوا هذا المنظر قالوا من فَعَلَ هذا بآلهتنا ولقد سمعنا فتىً يذكرهم ويشنأهم يُقال له إبراهيم، فأتوا به على أعين الناس وفي مشهدهم وقالوا له ءأنت فعلت هذا بآلهتنا ؟ قال بل فعله كبيرهم واسألوه إن كان يقدر على الدفاع عن نفسه، أو علىٰ الأقل على التكلّم، فرجعوا إلى أنفسهم ونكسوا رؤوسهم وعلموا انّهم هم الظالمون لأنفسهم في عبادتهم ما لا ينطق ولا ينفع ولا يضرّ شيئاً. وعندئذٍ قال لهم إبراهيم أفٍ لكم ولما تعبدون، أفلا تعقلون ؟ فتحرّكت أحاسيسهم الجاهلية وما ران علىٰ قلوبهم، وأخذتهم الحمية والعصبية وأدركوا في أنفسهم ضعفاً وحقارة وأرادوا أن يجبروا ذلك فقالوا حرّقوا إبراهيم وانصروا آلهتكم، فأحضروا ناراً وألقوه فيها وهو عبد الله وحده لا يقدر على شيء ولا يرىٰ من يقدر علىٰ شيء إلا الله، فقال الله تعالى يا نار كوني برداً وسلاماً علىٰ إبراهيم، فتحوّلت النار وصارت كالجنّة بأمره تعالى سلاماً عليه وحافظاً له من كلّ شرّ، وردّ الله إليهم كيدهم وجعلهم الأخسرين، ونجّى إبراهيم ولوطاً إلى الأرض المباركة، ووهب إبراهيم اسحٰق ومن بعده يعقوب نافلةً وكلاً جعلهم من الصالحين .

وكذلك في احتجاجه على قومه بعدما أراه الله ملكوت السمٰوات والأرض وعرف انّه كيف تكون حركات الشمس والقمر والنجوم وانّها مسخّرات بأمره، فلمّا جنّ عليه الليل وسجى فرأى الكوكب الذي كان له ضياء أكثر قال توجيهاً لنظرهم إلى ماهو أفضل وأقوىٰ من الأصنام إن هذا ربّي فلّما أفل قال إنّي لا أحبُّ الآفلين. وكذلك لمّا رأى القمر بازغاً والشمس بازغةً وآفلة قال يا قوم إني بريءٌ مما تشركون إنّي وجهتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض وخلق الشمس والقمر والنجوم وقد هداني الله ولا أخاف أحداً غير الله فإن ربي وسع كلّ شيء علما .

كلّ هذا شطر ممّا ابتلى الله به إبراهيم عليه السلام وأتمّه كما كان حقّه. وهناك ابتلاءات أخر ومنها: إذا بلغ ابنه اسمٰعيل السعي قال له يا بني انّي أرىٰ في المنام إني أذبحك فانظر ماذا ترىٰ؟ قال إسمٰعيل يا أبتِ افعل ما تؤمر وستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلّما اسلما وتلّه للجبين وتبيّن حسن تسليم إبراهيم وابنه إسمٰعيل لله تعالى وانه أوّل المسلمين، ناداه الله تعالىٰ ان يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا وفدينا اسماعيل بذبحٍ عظيم. والله تعالى بحسن اتمامه الاختبار سلّم عليه هنالك وقال سلامٌ على إبراهيم كذلك نُجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشّرناه بإسحٰق نبيّاً من الصالحين.

ومنها ان الله تعالى عهد إلى إبراهيم وإسمٰعيل ان يُطهّرا بيت الله تعالى للصائمين والعاكفين والركّع السجود فأطاعا الله تعالى في الأمر وطهّرا البيت بعدما رفعا القواعد منها وقالا ربّنا تقبّل منّا إنّك أنت السميع العليم .

وغير ذلك مما ابتلاه الله تعالى فأتمّهنّ وثبت في إطاعة الله تعالى وسلم له في جميع الأحوال فأعطاه الله المنصب الآخر الأعلىٰ من خلّته ونبوّته فقال: إنّي جاعلك للناس إماما تؤمّهم ويأتمّون بك في إطاعة الله تعالى، وعليك ما على الإمام من تحمل المشاقّ في طريق هداية الناس وإجراء أحكام الله تعالىٰ .

وعندئذٍ قال إبراهيم : ومن ذرّيتي ؟ وكأنه سأل من الله تعالىٰ أن يجعل الإمامة في ذرّيته فأجابه واستجاب طلبه لا على الإطلاق وقال لا ينال عهدي الظالمين، فإن إمامة الناس والتقدّم عليهم عهدٌ من الله يستلزم العدل والإنصاف بين عباد الله بعد الحقّ والإيمان، فجعل الله الإمامة في ذرّية إبراهيم إلا من كان منهم من الظالمين.

وقد دعا إبراهيم ربّه عندما أسكن ذرّيته اسمٰعيل وأُمّه بوادٍ غير ذي زرع عند بيت الله المحرم كي يقيموا الصلاة، فقال ربِّ اجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات، ربِّ اجعلني مقيم الصلاة ومن ذرّيتي ربّنا وتقبّل دعاءِ ربّنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب، وحمد الله على ما أنعم عليه وقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسمٰعيل وإسحٰق ان ربّي سميع الدعاء.

وفي نهاية استكمال ايمانه ويقينه بالنسبة إلى البعث والحشر طلب من الله تعالىٰ أن يريه كيف يحيي الله الموتى، فقال الله له أوَلَم تؤمن قال بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبي فأمره بأن يأخذ أربعة من الطير ويخلط جميع أجزائهنّ بعد الذبح ويضع كلّ جزء على جبل، وقال ثم ادعهن يأتينك سعياً، فعمل ما أمرهُ اللهُ به ورأىٰ ما رأىٰ من اتيانهنّ وجذب الأعضاء والأجزاء وبعث الطيور الأربعة فخاطب الله تعالى خليله بعدما أتمّ يقينه في البعث بعمل إعجازي لم يعمله لغيره وقال له: اعلم ان الله عزيزٌ حكيم.

ولذلك صار إبراهيم وشريعته حنيفاً مسلماً طيباً طاهراً واتخذ الله إبراهيم خليلاً.

تنبيهان:

الأول : إنّه قد يُتوهّم أنّ أبا ابراهيم (ع) كان آزر المشرك بالله تعالىٰ، الكافر، العابد الوثن على صراحة الكتاب العزيز، وذلك في قوله : ﴿ إذْ قال ابراهيم لأبيه آزر

أتتخذ أصناماً آلهة ؟﴾ ﴿ياأبتِ لِمَ تعبدُ مالايسمعُ ولايُبصرُ ولايُغني عنك شيئا﴾، ﴿وإذْ قال ابراهيم لأبيه ولقومه ماتعبدون؟﴾ .

والانبياء عليهم السلام طابتْ أصلابهم وطهُرت أرحام أمّاتهم من كلّ رجسٍ وشرك علىٰ ما ثبت في محلّه عقْلاً ونقْلاً، عند البحث في مسألة العصمة وظروفها، فكيف الجمع ؟

وأنت تعرف بالتأمّل في الآيات الكريمة نفسها أنّ المراد من الأب هو المطاع المحترم لدىٰ قومه، كما يؤيده ذكر القوم بعده ؛ وصرّحت به روايات الباب، ويدلّ علىٰ ذلك عندنا أنّ آزر لم يخاطب ابراهيم بكلمة (ابن) في محاوراته معه بل انه قال له : أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ؟ لئن لم تنتهِ لأرجمنّك واهجرني مليّا، وكذلك ماخاطبه ابراهيم بكلمة (اب) بعد ذلك، وقال له : سأستغفر لك ربّي إنّه كان بي حفيّا، وأعتزلكم وماتدعون من دون اللّه.

الثاني : إنّ ابراهيم عليه السلام كان رؤوفاً بذرّيته وخاصّته زائداً علىٰ رأفته بعامّة الناس، فكان يدعو لهم بالخير في كلّ مناسبة ؛ ولهذا جعل اللّه تعالىٰ في ذرّيته العهد والرسالة، دون الظالمين منهم، كما ترىٰ في الآيات الكريمة .

ثم بعد إبراهيم حسب المستفاد من الآيات ولده إسمٰعيل عليه السلام، وفي قصّته وشأنه آيات :

١ ـ ﴿وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى وعهدنا إلى إبراهيم وإسمٰعيل ان طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والركّع السجود* وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير* وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسمٰعيل ربّنا تقبّل منّا إنّك أنت السميع العليم... أم

كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلٰهك وإله آبائك إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ... قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى إبراهيم واسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسىٰ وعيسىٰ وما أوتي النبيّون من ربّهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون... أم تقولون إن إبراهيم واسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارىٰ قل ءأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممّن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عمّا تعملون﴾. (البقرة [٢] الآيات ١٢٥ ـ ١٤٠)

٢ ـ ﴿قلْ آمنا بالله وما أُنزل علينا وما أُنزل علىٰ إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب والأسباط وما أُوتي موسىٰ وعيسىٰ والنبيون من ربِّهم لا نفرّق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون﴾. (آل عمران [٣] الآية ٨٤)

٣ ـ ﴿إنّا أوحينا إليكَ كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب والأسباط وعيسىٰ وأيوب ويونس وهٰرون وسليمٰن وآتينا داود زبورا* ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلّم الله موسىٰ تكليما* رسلاً مبشّرين ومنذرين....﴾.

(النساء [٤] الآيات ١٦٣ ـ ١٦٥)

٤ ـ ﴿وتلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربّك حكيمٌ عليم* ووهبنا له إسحٰق ويعقوب كلاًّ هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذرّيته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسىٰ وهٰرون وكذلك نجزي المحسنين* وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ وإلياس كلٌّ من الصالحين* وإسمٰعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاًّ فضّلنا على العالمين﴾ (الأنعام [٦] الآيات ٨٣ ـ ٨٦)

٥ ـ ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكِبر إسمٰعيل وإسحٰق ان ربّي لسميع الدعاء﴾. (إبراهيم [١٤] الآية ٣٩)

٦ ـ ﴿واذكر في الكتاب إسمٰعيل انّه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيّا* وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربّه مرضيا﴾. (مريم [١٩] الآية ٥٤ و ٥٥)

لعل إسماعيل الذي ذكره الله تعالىٰ في هذه الآية هو إسماعيل ابن حزقيل ولم يكن إسماعيل ابن إبراهيم؛ كما ذكره العلّامه (ره) في ذيل الآية فراجع.

٧ ـ ﴿وإسمٰعيل وإدريس وذا الكفل كلٌّ من الصابرين* وأدخلناهم في رحمتنا انّهم من الصالحين﴾ . (الأنبياء [٢١] الآية ٨٥ و ٨٦)

٨ ـ ﴿... قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين﴾.

(الصافات [٣٧] الآية ١٠٢)

٩ ـ ﴿واذكر اسمٰعيل واليسع وذا الكفل وكلٌّ من الأخيار﴾. (ص [٣٨] الآية ٤٨)

وملخّص الآيات وما عرفنا من قبل في قصّة إبراهيم: ان إبراهيم عليه السلام دعا ربه ان يهب له ولداً صالحاً يرثه في النبوّة والإمامة بعدما سمع من الله تعالى انّه لا ينال عهده الظالمين جواباً عن سؤاله «ومن ذرّيتي» عندما جعله الله تعالى إماماً للناس، ولذا قيد بالصلاح في دعائه وطلبه هذا، وكان ذلك في أواخر عمره وهو شيخٌ كبير وكانت زوجته عجوز عقيم فاستجيب دعاؤه وبُشّر بغلام حليم عليم لا بمطلق الولد، فأقبلت امرأته في صرّة فصكّت وجهها وقالت عجوز عقيم. قالوا كذلكِ قال ربّك وبشّروها بإسحٰق ومن وراء إسحق يعقوب. قالت يا ويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيءٌ عجيب. قالوا أتعجبين من أمر الله .

فقال إبراهيم الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسمٰعيل وإسحٰق إن ربي سميع الدعاء، وكان إسمٰعيل أولهما وهو حليم سيّما في قصّة ذبحه بعدما رأى أبوه إبراهيم في المنام ما رأى وانتهى إلى قوله تعالىٰ: وفديناه بذبحٍ عظيم. وبعد ذلك انتهى إلى ان أسكن ابنه هذا وذرّيته بوادٍ غير ذي زرع عند بيت الله المحرم ودعا لهم، فعهد الله تعالى إلى إبراهيم وإسمٰعيل ان يُطهّرا بيته للطائفين والعاكفين وفي هذا

السبيل يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسمٰعيل .

فاسمٰعيل هذا أوّل ولدي إبراهيم كان حليماً صادق الوعد ومن الصابرين وكان رسولاً نبيّاً يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا مفضلاً على العالمين وأنزل الله تعالى إليه من الآيات ما أنزل على إبراهيم ولعلّها هي التي أوتي موسىٰ وعيسىٰ والنبيّون من غير فرق بينهم وهم مسلمون .

والحاصل ان إسمٰعيل كان نبيّاً مرسلاً بعد أبيه إبراهيم وقبل أخيه إسحٰق وكانت شريعته شريعة أبيه إبراهيم حنيفاً مسلماً، والله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم كما أوحىٰ إلى نوح والنبيّين من بعده وأوحىٰ إلى إبراهيم وإسحٰق ويعقوب والاسباط... رسلاً مبشرين ومنذرين [١].

ثم بعد إسمٰعيل حسب المستفاد من الآيات إسحٰق، وفي شأنه وقصّته بعد الآيات المذكورة في قصة إسمٰعيل الواردة فيها آيات :

١ ـ ﴿وكذلك يجتبيك ربّك ويعلّمك من تأويل الأحاديث ويتمّ نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمّها على ابويك من قبل إبراهيم وإسحٰق ان ربّك عليمٌ حكيم﴾. (يوسف [١٢] الآية ٦)

٢ ـ ﴿واتّبعت ملّة آبائي إبراهيم وإسحٰق ويعقوب ....﴾ (يوسف [١٢] الآية ٣٨)

٣ ـ ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحٰق ويعقوب وكلاً جعلنا نبيّاً * ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدقٍ عليّا﴾.

(مريم [١٩] الآية ٤٩ و٥٠)

٤ ـ ﴿ووهبنا له إسحٰق ويعقوب وجعلنا في ذرّيته النبوّة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وانّه في الآخرة لمن الصالحين﴾. (العنكبوت [٢٩] الآية ٢٧)

٥ ـ ﴿وبشّرناه بإسحٰق نبيّا من الصالحين * وباركنا عليه وعلى إسحٰق ومن

---

١ ـ مقتبس من الآية ١٦٤ من سورة النساء [٤].

ذرّيتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾. (الصافات [٣٧] الآية ١١٢ و ١١٣)

٦ ـ ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحٰق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار* إنّا أخلصناهم بخالصةٍ ذكرى الدار* وانّهم عندنا لمن المصطَفَين الأخيار﴾.

(ص [٣٨] الآيات ٤٥ ـ ٤٧)

ومحصل ما يمكن ان يستفاد من الآيات وما ذكرنا في قصّة إسمٰعيل وأبيه إبراهيم إن إسحٰق كان بعد إسمٰعيل موهوباً لأبيه إبراهيم مثل ولده يعقوب، وقد تعجبت امرأة إبراهيم عندما بشرت بإسحٰق لأنها كانت مسنّة عجوزاً وكان بعلها شيخاً وأنّها بُشّرت بيعقوب من وراء إسحٰق أي من بعده ونسله، أي يطول عمرها حتى ترى حفيدها من صلب إسحٰق وورائه وكان هذا من أمر الله تعالى.

وقد جعل الله تعالى كلاً من إسحٰق ويعقوب نبيّاً، وجعل لهم لسان صدقٍ، وجعل في ذرّية إبراهيم النبوّة والكتاب وهم إسحق ويعقوب ويوسف.. فإسحق من الرُسل المبشرين والمنذرين وممن أنزل إليه ما أنزل إلى أبيه إبراهيم بل مما أوتي موسى وعيسىٰ وكانت شريعته شريعة أبيه إبراهيم (الإسلام) وما كان يهودياً ولا نصرانياً بل كان حنيفاً مسلماً، فقد سأل يعقوب من بنيه حين موته فقالوا نعبد إلٰهك وإله آبائك إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون، وقال لابنه يوسف عندما سمع منه ما رأى في منامه: ﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلّمك من تأويل الأحاديث ويُتمّ نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمّها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق...﴾ (يوسف [١٢] الآية ٦) وتمام النعمة هو الإسلام والتوحيد. وقال يوسف للفتيين اللذين دخلا معه السجن بعد طلبهما تعبير الرؤيا: ﴿اني تركت ملّة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملّة آبائي إبراهيم وإسحٰق ويعقوب ماكان لنا أن نشرك بالله من شيء ...﴾ (يوسف [١٢] الآية ٣٨) واستدل لهما بسؤاله عنهما ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهّار.

فالتوحيد وترك الشرك كان ملة آباء يوسف وأجداده؛ وإسحٰق جدّه وإبراهيم أبو جدّه.

ولم يذكر في الآيات شيء من دعوات إسمٰعيل وإسحٰق للناس ومن قبولهم الدعوة أو الردّ والجدال وإيمان البعض وكفر الآخرين كما في سائر الأنبياء. إلا ان يُستفاد من التوصيف بان لسانهم لسان صدق وكون إسمٰعيل صادق الوعد تكذيبُ الناس إياهما، وبالصبر والحلم بعد كونهما مبشرين ومنذرين ايذاءُ الناس إياهم وصبرهما وحلمهما قِبال ذلك مع ان طبع الإنسان مع شهادة الزمان والتاريخ تكذيب الرسل والكفر بما كانوا يدعون الناس إليه إلّا قليل.

ثم بعد إسحٰق لوط بل مع أبيه إبراهيم لا بعده ولا بعد إسمٰعيل وإسحٰق وان ذكرت قصّته في السنن والتواريخ بهذا الترتيب.

فهذه صراحة قوله تعالىٰ في قصّة إبراهيم: فآمن له لوط. إلى قوله تعالىٰ: **﴿ولمّا جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرىٰ قالوا إنّا مهلكو أهل هـٰذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين* قال ان فيها لوطاً قالوا نحنُ أعلم بمن فيها لننجيّنه وأهله ...﴾**

(العنكبوت [٢٩]الآية ٣١ـ٣٢).

ان لوطاً ابن اخي إبراهيم على ما قيل كان في زمن عمّه فآمن بالله تعالى وبرسالة إبراهيم ودعوته ثم أُرسل إلى أهل القرية الظالمة أهلها أنفسهم التي كانت تعمل الخبائث فان الإيمان له غير الإيمان به فهو كان رسولاً عندما كان إبراهيم نبيّاً ورسولاً حتىٰ يئس من إيمان القرية كما سيأتي، فدعا ربه ان ينجيه من هذه القرية، واستجيب دعاؤه فجاءت رُسل الله إلى ابراهيم بالبشارة بهلاك أهل القرية فقال إبراهيم إن فيها لوطاً، قالوا نحنُ أعلم بمن فيها لننجيّنه وأهله.

ولعلّه انتهت رسالته بهلاك القرية في زمن حياة إبراهيم أو بقي على رسالته بعده وبعد إسمٰعيل واسحٰق الى انتهاء حياته وكان رسولاً معهما أيضاً.

ويشير إلى ما ذكرنا ذيل الآية في قصّة إبراهيم أيضاً في قوله تعالىٰ: ﴿ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين* ووهبنا له إسحٰق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين* وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾. (الأنبياء [٢١] الآيات ٧١ ـ ٧٣)

فان ظاهر نجاة كلّ منهما من قومه ابتلاؤهما به لدى البعث والرسالة ونجاتهما معاً يشير إلى ان بعثهما كان في زمن واحد، ولا يساعد علىٰ ذلك انّ رسالة لوط بعد إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق قطعاً، وعلى الأقل رسالته مع إبراهيم وابنيه إسمٰعيل وإسحٰق بان بقي لوط على رسالته بعد هلاك قومه في زمن إبراهيم إلى انتهاء حياته .

وكيف كان ففي قصّته ودعوته وهلاك قومه آيات :

١ ـ ﴿واسمٰعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين... أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوّة...﴾. (الأنعام [٦] الآيات ٨٦ و ٨٩)

٢ ـ ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحدٍ من العالمين* انّكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قومٌ مسرفون* وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم انّهم اُناسٌ يتطهّرون* فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين* وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾. (الأعراف [٧] الآيات ٨٠ ـ ٨٤)

٣ ـ ﴿ولمّا جاءت رسلنا لوطاً سيئ بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يومٌ عصيب* وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجلٌ رشيد* قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق وانّك لتعلم ما نريد* قال لو ان لي بكم قوّة أو آوي إلىٰ ركنٍ شديد* قالوا يا لوط إنّا رُسلُ ربّك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطعٍ من الليل ولا يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتك انّه مصيبها ما أصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب* فلّما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها

وأمطرنا عليها حجارة من سجّيل منضود* مسوّمة عند ربّك وما هي من الظالمين ببعيد﴾. (هود [١١] الآيات ٧٦ ـ ٨٢)

٤ ـ ﴿ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انّهم كانوا قوم سوءٍ فاسقين* وأدخلناه في رحمتنا انّه من الصالحين﴾.

(الأنبياء [٢١] الآيتان ٧٤ و ٧٥)

٥ ـ وفي ذيل قصّة إبراهيم عليه السلام ﴿ونجّيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾. (الأنبياء [٢١] الآية ٧١)

٦ ـ ﴿كذّبت قوم لوطٍ المرسلين* إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون* انّي لكم رسولٌ أمين* فاتقوا الله وأطيعون* وما أسألكم عليه من أجرٍ ان أجري إلا على رب العالمين* أتأتون الذكران من العالمين* وتذرون ما خلق لكم ربّكم من أزواجكم بل أنتم قومٌ عادون* قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين* قال إنّي لعملكم من القالين* ربّ نجّني وأهلي ممّا يعملون* فنجيناه وأهله أجمعين* إلا عجوزاً في الغابرين* ثمّ دمّرنا الآخرين* وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذَرين* إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾.

(الشعراء [٢٦] الآيات ١٦٠ ـ ١٧٤)

٧ ـ ﴿فآمن له لوط وقال إنّي مهاجرٌ إلى ربّي انّه هو العزيز الحكيم... ولوطاً إذ قال لقومه انّكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين* أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أئتنا بعذابِ الله إن كنتَ من الصادقين* قال ربِّ انصرني على القوم المفسدين* ولمّا جاءت رُسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنّا مهلكو أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين* قال ان فيها لوطاً قالوا نحنُ أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين* ولمّا أن جاءت رسلنا لوطاً سيئ بهم وضاق بهم ذرعاً

وقالوا لا تخف ولا تحزن إنّا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين* إنّا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾.

(العنكبوت [٢٩] الآيات ٢٦ ـ ٣٤)

٨ ـ ﴿وان لوطاً لمن المرسلين* إذ نجيناه وأهله أجمعين* إلا عجوزاً في الغابرين* ثم دمّرنا الآخرين﴾. (الصافات [٣٧] الآيات ١٣٣ ـ ١٣٦)

٩ ـ ﴿كذبت قوم لوط بالنذر* إنّا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجّيناهم بسحر* نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر﴾. (القمر [٥٤] الآيات ٣٣ ـ ٣٥)

وملخّص الآيات ان لوطاً كان من المصطفين الأخيار في زمن إبراهيم عليه السلام آمن به، وآتاه الله تعالى حكماً وعلماً وأدخله في رحمته وجعله من الصالحين وأرسله إلى قرية ظالمة أهلها أنفسهم فآمن له وذهب إليهم فكان من المرسلين وكان قومه المُرسل إليهم يعملون الخبائث ويأتون الرجال شهوة من دون النساء وكانوا قوم سوء فاسقين فقال لهم ألا تتقون إنّي لكم رسولٌ أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري إلا على ربّ العالمين أتأتون الذكران وتذرون ما خلق لكم ربّكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون متجاوزون عن حدود الله ونواميسه ومجاري خلقته مقاطعون السبيل . فكذبوه وقالوا له لأن لم تنته لتكونن من المخرجين . ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين. كذبت قوم لوط المرسلين. كذبت قوم لوط بالنذر[1].

هنالك دعا لوط ربّه وقال ربِّ نجّني وأهلي ممّا يعملون، فاستجيب دعاؤه

---

١ ـ وحيث ان القرية ذكرت في قصّة قوم لوط انّهم كذا وكذا وأهلها كذّبوا لوطاً النبيّ وذلك تكذيب رسول واحد ومع ذلك ورد في شأنهم كذبت قوم لوط المرسلين والنذر فتدلّ على انّه أُرسل إليهم رُسل متعددون وهم كذّبوهم. ونتلو في سورة (يس) خطاباً للرسول الخاتم صلى الله عليه وآله :

﴿واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون. إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالثٍ فقالوا انّا اليكم مرسلون. قالوا ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا وما أنزل الرحمٰن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾.

(يس [٣٦] الآيات ١٣ ـ ١٥)

فيتصور ان القرية هي هذه.

وجاءه رُسل ربّه أوّلاً وبشروه بهلاك قوم لوط وأهل القرية فقال ان فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجّينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين .

ثم جاءوا لوطاً وقالوا يا لوط إنّا رُسل ربّك فأسر بأهلك بقطعٍ من الليل ولا يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتك ان موعدهم الصبح . فلما جاء أمر الله جعل القرية عاليها سافلها وأمطر عليها مطر السوء، مطر الحجارة، من سجيل منضود مسوّمة، ونجّاه وأهله بسحَر إلا امرأته، نعمةً من عند الله وكذلك يجزي الله الشاكرين. والحمد لله ربّ العالمين.

ثم بعد إسمٰعيل وإسحٰق ولوط يعقوب ابن إسحاق الذي وهبه الله تعالى إبراهيم نافلةً عن إسحٰق، وفي شأنه آيات :

١ ـ ﴿ووهبنا له إسحٰق ويعقوب كلاًّ هدينا ... أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوّة ....﴾ (الأنعام [٦] الآيات ٨٣ ـ ٨٩)

٢ ـ ﴿... وهبنا له إسحٰق ويعقوب وكلاً جعلنا نبيّا* ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدقٍ عليّا﴾. (مريم [١٩] الآيات ٤٩ ـ ٥٠)

٣ ـ ﴿ووهبنا له إسحٰق ويعقوب نافلةً وكلاً جعلنا صالحين* وجعلناهم أئمةً يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾. (الأنبياء [٢١] الآية ٧٢ و ٧٣)

٤ ـ ﴿ووهبنا له إسحٰق ويعقوب وجعلنا في ذرّيته النبوّة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وانّه في الآخرة لمن الصالحين﴾. (العنكبوت [٢٩] الآية ٢٧)

٥ ـ ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحٰق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار* إنّا أخلصناهم بخالصةٍ ذكرى الدار* وانّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾.

(ص[٣٨] الآيات ٤٥ ـ ٤٧)

وملخّص الآيات ان يعقوب الذي وهبه الله تعالى لإبراهيم النبيّ نافلةً بعد

إسحٰق إجابةً لدعائه هو أيضاً من المصطفين الأخيار الذين أوتوا الكتاب والحكم والنبوة وجُعل نبيّاً مستفيداً من رحمة الله وجَعل له لسان صدقٍ وهو من الصالحين ومن الأئمة الذين يهدون بأمر الله تعالى وأوحى اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لله عابدين، وهو أيضاً من أولي الأيدي والأبصار المخلَصين بخالصة ذكرى الدار.

ولم يذكر شيء من دعائه ودعوته للناس وإجابتهم إياه أو تكذيبهم له إلا ما يستفاد من الكليات الدالّة على تكذيب الرّسل والمنذرين أو من توصيفه عليه السلام بان له لسان صدق وهو من أولي الأيدي والأبصار بأن ذلك كان ردّاً على تكذيب الناس إياه كما ذكر في طبيعتهم وشيمتهم.

وكيف كان فهو من الأنبياء المرسلين، ذو كتاب وحكم ونبوّة في الجملة ولا ينافي ان يكون كتابه الذي أرسل به هو نفس كتاب النبي المرسل من أولي العزم في زمانه .

ثم بعد يعقوب وفي زمانه يوسف، وقصته في القرآن الكريم من أحسن القصص التي أوحى الله تعالى إلى نبيّه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم نشير إلى الآيات الدالّة إلى شأن نبوّته ورسالته من غير سرد لقصّته وهناك آيات :

١ ـ ﴿... ومن ذريّته داوود وسليمان وأيوب ويوسف...﴾ .الآية(الأنعام[٦]الآية ٨٤)

٢ ـ ﴿وكذلك يجتبيك ربّك ويعلّمك من تأويل الأحاديث ويتمّ نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمّها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحٰق ان ربّك عليم حكيم﴾. (يوسف [١٢]الآية ٦)

٣ ـ ﴿... وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض ولنعلّمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون* ولمّا بلغ أشدّه آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نُجزي المحسنين﴾. (يوسف [١٢]الآية ٢١ و ٢٢)

٤ ـ ﴿... ذلكما ممّا علّمني ربي إنّي تركتُ ملّة قومٍ لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون* واتبعتُ ملّة آبائي إبراهيم وإسحٰق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾.

(يوسف[١٢] الآيتان ٣٧ ـ ٣٨)

٥ ـ ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إنّي حفيظٌ عليم﴾. (يوسف [١٢]الآية ٥٥)

٦ ـ ﴿ربِّ قد آتيتني من المُلك وعلّمتني من تأويل الأحاديث فاطر السمٰوات والأرض أنت وليّي في الدنيا والآخرة توفّني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾.

(يوسف [١٢]الآية ١٠١)

٧ ـ وفي ذيل السورة ونهاية القصّة الاحسن: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خيرٌ للذين اتقوا أفلا تعقلون* حتى إذا استيأس الرسل وظنّوا انهم قد كُذبوا جاءهم نصرنا فَنُجّي من نشاء ولا يُردّ بأسنا عن القوم المجرمين﴾. (يوسف [١٢]الآية ١٠٩ و ١١٠)

٨ ـ ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبيّنات فمازلتم في شكٍّ مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً كذلك يضلّ الله من هو مسرفٌ مرتاب﴾. (المؤمن غافر [٤٠]الآية ٣٤)

وملخّص الآيات ان يوسف عليه السلام أيضاً كان من المصطفين الذين آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوّة وهداهم الله تعالى وأمر بالإقتداء بهم وبهداهم.

وانّه هو الذي اجتباه ربّه ليعلّمه من تأويل الأحاديث ويتمّ نعمته عليه وعلى آل يعقوب كما أتمّها على جدّه وأبي جده إسحٰق ويعقوب، وليس ذلك العلم المتمم للنعمة إلا النبوّة التي آتاها الله تعالى إبراهيم وإسحٰق.

وانّه هو الذي مكّنه الله تعالى في الأرض مكنةً وأعطاه قدرة ولمّا بلغ أشدّه آتاه

حكماً وعلماً.

وانه هو الذي ترك ملّة قومٍ لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبع ملّة آبائه إبراهيم وإسحٰق ويعقوب.

ولذلك قال للملك اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم وكان يعلم كيف يحافظ على الخزائن وكيف يستفيد منها في ادارة شؤون الحكومة.

وانّه هو الذي دعا ربّه ووليّه في الدنيا والآخرة ان يتوفاه مسلماً ويلحقه بالصالحين بعدما آتاه الله المُلك وعلّمه من تأويل الأحاديث.

وانّه الذي قال لاخوته عندما عرفوه في مقام القدرة والمكنة وقالوا ﴿ءانك لأنت يوسف قال انا يوسف وهذا أخي قد مَنَّ الله علينا انّه من يتّقِ ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين* قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنّا لخاطئين* قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾. (يوسف [١٢] الآيات ٩٠ ـ ٩٢)

والآية التي نزلت في آخر قصته في السورة تدلّ على انّه أيضاً كان من الرُسل الذين كذّبه قومه حتى إذا استيأس، نصره الله ونجاه من القوم الظالمين، فإن تأخير النصر من الله تعالى لرسله طيلة دعوتهم وتكذيب الأُمم لهم كان يورث الظنّ بأنّهم كذبوا في الوعد على نصرهم، وعندما استيأسوا جاءهم نصر من الله. قال تعالىٰ خطاباً لنبيّه الخاتم ﷺ:

﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرىٰ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خيرٌ للذين اتقوا أفلا تعقلون* حتى إذا استيأس الرسل وظنوا انّهم قد كُذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾. (يوسف [١٢] الآية ١٠٩ ـ ١١٠)

هذه خلاصة ما في شأن نبوّة يوسف الصدّيق. وامّا قصته فقد وردت في سورته بتفصيل مع الاختصار على المقاطع الدالة على النكات العامة الهادية إلى مسائل

مهمّة في شأن هداية الإنسان دون السرد الكامل لنفس القصة؛ ولذلك نرى في مقاطعها أمور هامّة ونكات أخلاقية كما فصّل في محلّه والكتب المفصلة.

ثم أيوب عليه السلام، وفي شأنه آيات:

١ - ﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيّين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب والأسباط وعيسىٰ وأيوب ويونس وهٰرون وسليمان وآتينا داود زبورا* ورسلاً قد قصصنا عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلّم الله موسىٰ تكليما* رسلاً مبشّرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرّسل وكان الله عزيزاً حكيما﴾. (النساء [٤] ١٦٣ - ١٦٥)

٢ - ﴿ووهبنا له إسحٰق ويعقوب كلاًّ هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذرّيته داود وسليمان وأيّوب ويوسف وموسىٰ وهٰرون وكذلك نجزي المحسنين﴾.

(الأنعام [٦] الآيات ٨٤ - ٨٧)

٣ - ﴿وأيّوب إذ نادىٰ ربّه انّي مسّني الضّرّ وأنت أرحم الراحمين* فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرّ وآتيناهُ أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾. (الأنبياء [٢١] الآيات ٨٣ - ٨٥)

٤ - ﴿واذكر عبدنا أيّوب إذ نادى ربّه انّي مسّني الشيطان بنصب وعذاب* اركض برجلك هذا مغتسلٌ بارد وشراب* ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمةً منّا وذكرى لأولي الألباب* وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث إنّا وجدناه صابراً نعم العبد انّه أوّاب﴾ الآيات. (ص [٣٨] الآيات ٤١ - ٤٤)

والمستفاد من صراحة تلك الآيات أن أيّوب كان ممن أوحىٰ الله تعالى إليه كما أوحى إلى سائر الأنبياء المذكورين وكما أوحى إلى خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله وسلم وانّه كان من الرسل المبشّرين والمنذرين في إرشاد الناس وهدايتهم أي التبشير بالجنّة للمؤمنين والإنذار للكافرين من النار وذلك إتماماً للحجّة وتكميلاً للهداية لئلا يكون للناس

على الله حجّة فيقولوا ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتّبع آياتك ونكون من المؤمنين.

كما تدلّ على ان أيوب كان ممّن هداه الله بالهداية الخاصّة التي اهتدىٰ بها إبراهيم وإسحٰق ويعقوب ومن قبلهم نوح ومن ذرّية نوح داود وسليمان وغيرهم، وليست الهداية هذه إلّا النبوّة، فهو أيضاً من الأنبياء المهديين عليهم السلام، وذلك جزاء المحسنين.

وباقي الآيات تدلّ على ابتلائه بضرٍّ شديد ونصب وعذاب كما انّها تدلّ على ابتلائه بحلف أراد حنثه فنادىٰ ربّه ودعاه أن يكشف ضرّه بعدما كان من الصابرين فاستجاب له ربّه وكشف ما به من ضرٍّ وآتاه أهله ومثلهم معهم.

الظاهر ان الضرّ كان على وجه ترك أهله، ومعلوم مدى الضرّ والنصب والعذاب بترك الإنسان أهله بعد الفقر وفقد المال وفقد السلامة والصحّة في البدن، وما يتبعه من الكسل والمرض سيّما إذا أورث التغيير في ظاهر الجسم خاصة في الوجه والجبهة بحيث يتنفر عنه كلّ أحد.

ان الضرّ الذي أصاب أيّوب عليه السلام من فقد المال والولد وسلامة الجسم بحيث تركه أهله أعقبه كشف الله تعالىٰ ضرّه وآتاه أهله بمعنى رجوع سلامته في الجسم وظواهره بحيث رغب فيه أهله وولده فرجعوا إليه وأحسنوا إليه وصار على وجه آتاه الله مثلهم معهم من أهل وولد آخرين زائداً على ما كان له من قبل.

ولعلّ حلفه على الضرب أيضاً حدث في مسيرة هذه الحوادث كما لو تركته زوجته مثلاً لما أصابه من ضرّ أورث التنفر عنه وعندما كشف الله عنه ضرّه وآتاه أهله ورأىٰ زوجته ومجيئها إليه أراد حنث حلفه وترك ضربها فهداه الله تعالى إلى طريق الجمع ان لا يحنث حلفه ولا يزجر زوجته بأن يأخذ ضغثاً له فروع بعدد ما حلف من الضرب أو أكثر فيضربها بها واحدة ويُعيد الضرب حسب فروع الضغث.

وكشف ضرّه هذا كان بأمر من الله تعالى أن يركض برجله فيجد ماءً ومغتسلاً

بارداً وشراباً، ويستشفي بذلك أي ظاهر جسمه ويرشّ به باطن بدنه. وكيف كان فقد كان نبيّاً صالحاً وعبداً صابراً. نعم العبد إنّه أوّاب .

وفي التفاسير والسنن والتواريخ تفصل ضرّه وطول زمانه وكيفية دعائه عند تركه أهله وأولاده بعد فقد أمواله وصبره على ذلك كلّه . حتىٰ صار صبره مضرب المثال.

ثم انّك كما ترى لا يستفاد من الآيات زمن رسالته وكيفية دعوته أُمّته وقبولهم إياه أو تكذيبهم له. وحتى ترتيب ذكره في الأنبياء تجده متفاوتاً في الآيات حسب التقدّم والتأخّر مع سائر الأنبياء، فقد ذكر في الآية الأُولىٰ بعد إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب والاسباط وعيسىٰ وقبل يونس وهٰرون وسليمان وداود، وفي الثانية ذكر ضمن ذرّية نوح بعد داود وسليمان وقبل يوسف وموسىٰ وهٰرون.

مع انّه عليه السلام حسب السنن والتواريخ كان من ذرّية إبراهيم عن طريق إسحٰق ولوط النبي قبل يعقوب ويوسف وقد كان قبل عيسىٰ قطعاً فكان إما معاصراً ليعقوب ويوسف أو بعدهما، وكان نبيّاً لقوم خاص ولم يذكر في القرآن الكريم شيء من ذلك .

ثم بعد أيوب شعيب النبيّ عليه السلام، وفي زمانه وفي شأنه آيات :

١ ـ ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بيّنة من ربّكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين * ولا تقعدوا بكلّ صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين * وإن كان طائفةٌ منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين * قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملّتنا قال أولو كنّا كارهين * قد افترينا على الله كذباً ان عدنا في ملّتكم بعد إذ نجّانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلاّ أن يشاء الله ربنا وسع ربّنا كلّ

شيء علماً على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين* وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً انّكم إذاً لخاسرون* فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين* الذين كذّبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذّبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين* فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربّي ونصحتُ لكم فكيف آسىٰ على قوم كافرين﴾. (الأعراف [٧] الآيات ٨٥ ـ ٩٣)

٢ ـ ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انّي أراكم بخير وإنّي أخاف عليكم عذاب يوم محيط* وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين* بقيّة الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ* قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنّك لأنت الحليم الرشيد* قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربّي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أُريد أن اخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أُريد إلّا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب* ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد* واستغروا ربّكم ثم توبوا إليه ان ربّي رحيم ودود* قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً ممّا تقول وإنّا لنراكَ فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز* قال يا قوم أرَهطي أعزّ عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إنّ ربي بما تعملون محيط* ويا قوم اعملوا على مكانتكم انّي عاملٌ سوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يخزيه ومن هو كاذب فارتقبوا إنّي معكم رقيب* ولمّا جاء أمرنا نجّينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منّا وأخذتِ الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين* كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود﴾.

(هود [١١] الآيات ٨٤ ـ ٩٥)

٣ ـ ﴿كذّب أصحاب الأيكة المرسلين* إذ قال لهم شعيبٌ ألا تتقون* إنّي لكم رسولٌ أمين* فاتقوا الله وأطيعون* وما أسألكم عليه من أجرٍ إن أجـري إلا على ربّ العالمين* أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين* وزنوا بـالقسطاس المستقيم* ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مـفسدين* واتـقوا الذي خلقكم والجبلّةَ الأولين* قالوا انّما أنت من المسحَّرين* وما أنت إلا بشرٌ مثلنا وان نظنّك لمن الكاذبين* فأسقِط عـلينا كسـفاً مـن السـماء إن كـنت مـن الصادقين* قال ربّي أعلم بما تعملون* فكذّبوه فأخذهم عذاب يوم الظلّة انّه كان عذاب يومٍ عظيم* ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾.

(الشعراء [٢٦] الآيات ١٧٦ ـ ١٩٠)

٤ ـ ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مـفسدين* فكـذّبوه فأخـذتهم الرجـفة فأصـبحوا فـي دارهـم جاثمين﴾. (العنكبوت [٢٩] الآية ٣٦ ـ ٣٧)

وملخّص الآيات بصراحتها ـ والله أعلم ـ ان شعيباً كان من أهل مدين وكان له منهم رهط وعصبةٌ وعشيرة وكان لرهطه مكانة خاصّة تـلاحظ لدىٰ سـائر القـبائل والأُسر فانهم كانوا عصبةً متعاضدة بعضهم مع بعض، فبعثه الله رسولاً إليهم وكانوا يعبدون الأصنام ممّا كان يعبد آباؤهم وكان من شائع أعمالهم الرائج بينهم التطفيف في الميزان فكانوا يُخسرون الناس في أموالهم، ولقد كثّرهم الله في نسمتهم وأعطاهم النعم بعدما كانوا قليلين مستضعفين وصاروا مستكبرين .

فقال لهم نبيّهم شعيب يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غـيره وأوفـوا الكـيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تنقصوا المكـيال والمـيزان وزنـوا بالقسطاس المستقيم ولا تعثوا في الأرض مـفسدين ولا تـفسدوا فـي الأرض بـعد إصلاحها واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين، وزادهم إرشاداً ونصحاً وإنذاراً، فلم

يستجيبوا له وقالوا يا شعيب أصلاتك تأمر أن نترك ما يعبد آباؤنا أو ان نفعل في أموالنا ما نشاء، وما نراك إلا بشراً مثلنا ونظنّك من الكاذبين وإنما أنت من المسحُرين، فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين .

فقال لهم شعيب يا قوم اني على بيّنة من ربي وما أُريد ان اخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ان أُريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب، يا قوم اذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم الله وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ممن كان قبلكم يا قوم لا يجرمنّكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد.

ويا قوم ويا قوم ... ألا تتقون إنّي لكم رسولٌ أمين لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسىٰ على قوم كافرين أي لا أُبالي بما يصيبكم بعد ذلك فانه ليس على الرسول إلا البلاغ .

فآمن به وبما أُرسل به طائفة منهم ولم يؤمن آخرون، وقال الملأ الذين استكبروا من قومه ولم يؤمنوا به يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنّا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك، ولنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنّ في ملّتنا. فكأنهم خيّروه بين أمرين: العود في ملّتهم وترك ما كان يقول وأن يعمل عملهم، أو الخروج من قريتهم؛ وذلك احتراماً لرهطه وعصبته، ولولاهم لرجموه. فقال إذاً قد افترينا على الله إذا عدنا في ملتكم، بعد إذ نجّانا الله من ضلالتكم. ويا قوم أرهطي وعصبتي أعزّ عليكم من الله ؟ ان ربي بما تعملون محيط. فلما طال معهم الجدال عندئذٍ قال يا قوم اعملوا على مكانتكم وافعلوا ما شئتم في أموالكم وأنفسكم سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب ساحر .

ولمّا جاء أمر الله تعالى نجّىٰ نبيّه شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منه وأخذت الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا في دارهم جاثمين .

فكان أمره وأمر قومه كما في سائر الأنبياء والأمم في نهاية دعوتهم نجاة النبيّ والذين آمنوا معه وهلاك الآخرين الباقين على الضلالة.

واما زمان بعثته ودعوته وعذاب قومه فلا يستفاد من الآيات إلا ما كان بعدما أصاب قوم هود وصالح ولوط، بل يمكن أن يستفاد انه لم يكن بين زمن بعثته إلى قومه وبين ما أصاب قوم لوط من تدمير تاريخي لم يُنس بسرعة أمداً بعيداً كما صرّح به عند انذاره قومه «وما قوم لوط منكم ببعيد» إلا ان يقال ان المقصود نوع العذاب وإن ما أصاب قوم نوح من طوفان أو قوم هود وصالح من صيحة وضجّة وما أصاب قوم لوط من تدمير أنذرهم انه ليس منهم ببعيد ويمكن أن يصيبهم.

وكذلك لا يبعد أن يكون (شعيب عليه السلام) نبياً في زمن نبوّة يعقوب وأيوب ويوسف سيما ان شعيباً كان يرتبط بواسطتين بإبراهيم عليه السلام ويعقوب ويوسف يرتبطان عن طريق إسحاق بإبراهيم عليه السلام وكان لوط وأيوب أيضاً قريباً منهم في العصر والزمان، وهؤلاء الأنبياء لم تكن دعوتهم عالمية بل أرسلوا إلى قومهم خاصة، وهم آخرهم ومنهم، كما عرفت.

ويؤيد ذلك بل يدلّ عليه قوله تعالى في قصّة موسىٰ بن عمران:

﴿ولمّا توجّه تلقاء مدين قال عسىٰ ربّي أن يهديني سواء السبيل* ولمّا ورد ماء مدين وجد عليه أمّة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير* فسقى لهما ثم تولّى إلى الظلّ قال ربِّ إنّي لما أنزلت إليّ من خيرٍ فقير* فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقصّ عليه القَصَص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾. (القصص [٢٨] الآيات ٢٢ ـ ٢٦)

فان مدين على ما قيل قرية شعيب فسُميّت باسم مدين ابن إبراهيم وكانت على مسيرة ثمانية أيّام من مصر، وموسى الكليم كما سيأتي إن شاء الله كان في مصر

وقد بلغ رشده في بيت فرعون، ولمّا أُخبر بأن القوم يأتمرون به ليقتلوه خرج من مصر خائفاً يترقّب وتوجه تلقاء مدين ولمّا ورد ماء مدين ورأىٰ ما رأىٰ وسقىٰ ما سقىٰ ودعي إلى شعيب أبي المرأتين وقصّ عليه القصص قال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين، وكان شعيب شيخاً كبيراً دعا موسى ليجزيه أجر ما عمله من خير على الأقل وكان ذلك بعشر سنين قبل بعثة موسىٰ ونبوّته اما القوم الظالمون فهم فرعون وأهل مصر، وهو نفس فرعون الذي وقعت زوجته في حبّ يوسف كما في سورة يوسف عليه السلام، ومدين علىٰ بعد مسيرة ثمانية أيام في طريق غير واضح من مصر؛ ولذلك قال موسىٰ عسى ربّي ان يهديني سواء السبيل عندما توجه تلقاء مدين وكان شعيب المرسل إليها وهو اخوهم. فتطمئن النفس بان شعيباً كان نبيّاً ومرسلاً إلى قومه قريباً من زمن يوسف ويعقوب أو مقارناً له وهو الذي قال لموسىٰ: إني أُريد ان أنكحك إحدىٰ ابنتيّ هاتين على أن تأجرني ثماني حجج إلى آخر ما سنتلو عليك في قصّة موسىٰ عليه السلام .

ثم بعد شعيب موسىٰ الكليم الذي هو من أولي العزم، نذكر فيما يلي شطراً من الآيات الكريمة التي تتحدّث عنه :

١ ـ ﴿وإذ واعدنا موسىٰ أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون* وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلّكم تهتدون* وإذ قال موسىٰ لقومه يا قوم انّكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكم فتاب عليكم انّه هو التوابّ الرحيم* وإذْ قلتم ياموسىٰ لن نُؤمن لك حتىٰ نرىٰ اللّه جهرةً فأخذتكم الصاعقةُ وأنتم تنظرون .... وإذْ استسقىٰ موسىٰ لقومه فقلْنا اضرب بعصاك ....﴾. (البقرة [٢] الآيات ٥١ ـ ٦٠)

﴿وإذْ قلتم ياموسىٰ لن نصبر علىٰ طعام واحد...﴾ . (البقرة [٢] الآية ٦١)

﴿وإذْ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور...﴾ . (البقرة [٢] الآية ٦٣)

﴿وإذْ قال موسىٰ لقومه إنّ الله يأمركم أنْ تذبحوا بقرة...﴾. (البقرة [٢] الآية ٦٧)
﴿وإذْ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها واللّه مُخرجٌ ماكنتم تكتمون﴾.(البقرة[٢]الآية٧٢)
﴿ولقد آتينا موسىٰ الكتاب وقفّينا من بعده بالرسل...﴾. (البقرة [٢] الآية٨٧)
٢ ـ ﴿ولقد جاءكم موسىٰ بالبيّنات ثـم اتّـخذتم العـجل مـن بـعده وأنـتم ظالمون﴾. (البقرة [٢] الآية ٩٢)
٣ ـ ﴿ثم بعثْنا من بعدهم موسىٰ بآياتنا إلىٰ فرعون ومَلئِه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبةُ المفسدين* وقال موسىٰ يافرعون إنّي رسولٌ من ربِّ العالمين... وواعدنا موسىٰ...﴾. (الآيات من سورة الاعراف [٧] ١٠٣ ـ ١٤١)
﴿واتخذ قوم موسىٰ من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار... ولما رجع موسىٰ ... ولما سكت عن موسىٰ الغضب ...﴾. (الأعراف [٧] الآيات ١٤٨، ١٥٠، ١٥٤)
٤ ـ ﴿وآتينا موسىٰ الكتاب وجعلناه هدىً لبني اسرائيل ألاّ تتخذوا من دوني وكيلا﴾. (الاسراء [١٧] الآية ٢)
﴿ثم بعثنا من بعدهم موسىٰ وهٰرون إلى فرعون ومَـلئِه بآيـاتنا فـاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين* فلمّا جاءهم الحقُّ من عندنا قالوا ان هذا لسحرٌ مبين* قال موسى أتقولون للحقّ لمّا جاءكم أسحرٌ هذا ولا يفلح الساحرون* قالوا أجـئتنا لتلفتنا عمّا وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نـحنُ لكـما بمؤمنين* وقال فرعون ائتوني بكلّ ساحرٍ عليم* فلمّا جاء السـحرة قـال لهـم موسى ألقوا ما أنتم مُلقون* فلمّا ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إنّ الله سيبطِلُهُ إنّ آلله لا يصلح عمل المفسدين* ويحقّ الله الحقّ بكلماته ولو كره المجرمون* فما آمن لموسىٰ إلّا ذريّةٌ من قومه على خوفٍ من فرعون ومَلئِهم أن يفتنهم وإنّ فرعون لعالٍ في الأرض وإنّه لمن المسرفين* وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين* فقالوا على الله توكلنا ربّنا لا تجعلنا فِتنة للقوم الظالمين*

ونجّنا برحمتك من القوم الكافرين* وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قِبلةً وأقيموا الصلاة وبشّر المؤمنين* وقال موسى ربّنا إنّك آتيت فرعونَ وملأهُ زِينَةً وأموالاً في الحياة الدُّنيا ربّنا ليُضلّوا عن سبيلِك ربّنا اطمِس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يُؤمنوا حتّى يروا العذاب الأليم* قال قد أُجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتّبعانّ سبيل الذين لا يعلمون* وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنتُ انّه لا إله إلّا الذي آمنتْ به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين* آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين * فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آيةً وان كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون* ولقد بوّأنا بني إسرائيل مبوّأ صدقٍ ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتّى جاءهم العلم ان ربّك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ . (يونس [١٠] الآية ٧٦ ـ ٩٣)

٦ ـ ﴿واذكر في الكتاب موسىٰ إنّه كان مخلصاً وكان رسولاً نبيّا * وناديناه من جانب الطور الأيمن وقرّبناه نجيّا* ووهبْنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيّا﴾. (مريم[١٩]الآية ٥١ـ٥٣)

٧ ـ ﴿وهلْ أتاك حديثُ موسىٰ* إذْ رأىٰ ناراً فقال لأهله امكثوا إنّي آنست ناراً لعلّي آتيكم منها بقبسٍ أو أجد علىٰ النار هدى* فلّما أتاها نُودي ياموسىٰ* إنّي أنا ربك فاخلع نعليْك إنّك بالواد المقدّس طوىٰ ...﴾ .

الآيات الكريمة بتفصيل قصته عليه السلام من القذف في اليم، والأمر بذهابه مع أخيه الى فرعون ومسألة التكلم ومسألة السحرة وغيرها في سورة (طه[٢٠]الآيات٩ ـ ٩٩).

٨ ـ ﴿ولقد آتينا موسىٰ وهٰرون الفرقان وضياءً وذكراً للمتقين﴾.

(الانبياء [٢١] الآية ٤٨)

٩ ـ ﴿ثم أرسلْنا موسىٰ وأخاه هٰرون بآياتنا وسلطان مبين* إلىٰ فرعون وملئه

فاستكبروا وكانوا قوماً عالين﴾. (المؤمنون [٢٣] الآية ٤٥ ـ ٤٦)

١٠ ـ ﴿وإذْ نادىٰ ربّك موسىٰ أنِ آئت القومَ الظالمين* قومَ فرعون ألا يتّقون* قال ربِّ إنّي أخاف أن يكذّبون* ويضيقُ صدْري ولاينطلق لساني فأرْسل إلىٰ هٰرون .... وأنجيْنا موسىٰ ومن معه أجمعين* ثم أغرقنا الآخرين* انّ في ذلك لآية وماكان اكثرهم مؤمنين﴾. (الشعراء [٢٦] الآيات ١٠ ـ ٦٧)

١١ ـ ﴿ولقد مننّا علىٰ موسىٰ وهٰرون* ونجيّناهما وقومهما من الكرب العظيم﴾. (الصافات [٣٧] الآيتان ١١٤ و ١١٥)

١٢ ـ ﴿سلامٌ علىٰ موسىٰ وهٰرون إنّا كذلك نجزي المحسنين إنّهما من عبادنا المؤمنين﴾. (الصافات [٣٧] الآية ١٢٠ ـ ١٢٢)

١٣ ـ ﴿ولقد أرسلْنا موسىٰ بآياتنا وسلطان مبين* إلىٰ فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحرٌ كذّاب* فلّما جاءهم بالحقّ من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه....﴾ (المؤمن [٤٠] الآية ٢٣ ـ ٢٥ ـ)

١٤ ـ ﴿ولقد آتيْنا موسىٰ الكتاب فاختُلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربّك لقضي بينهم وإنّهم لفي شكٍ منه مريب﴾. (فصلت [٤١] الآية ٤٥)

١٥ ـ ﴿ولقدْ أرسلْنا موسىٰ بآياتنا إلىٰ فرعون وملئه فقال إنّي رسولُ ربِّ العالمين* فلّما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون* ومانُريهم من آيةٍ إلّا هي اكبر من اُختها وأخذنْاهم بالعذاب لعلّهم يرجعون* وقالوا يا أيّها الساحر ادْعُ لنا ربّك بما عهد عندك إنّنا لمهتدون﴾. (الزخرف [٤٣] الآية ٤٦ ـ ٤٩)

١٦ ـ ﴿وإذْ قال موسىٰ لقومه ياقوم لم تؤذونني وقدْ تعلمون أني رسولُ الله اليكم فلّما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدي القوم الفاسقين﴾. (الصف [٦١] الآية ٥)

١٧ ـ ﴿هل أتاك حديث موسىٰ* إذْ ناديْه ربّه بالواد المقدّس طُوىٰ* اذْهَبْ الى فرعون إنّه طغىٰ* فقل هل لك الى أن تزكّىٰ* وأهديك الىٰ ربّك فتخشىٰ* فأراه

الآية الكبرىٰ* فكذّب وعصىٰ* ثم أدبر يسعىٰ* فحشر فنادىٰ* فقال أنا ربّكم الأعلىٰ* فأخذه الله نكال الآخرة والأُولىٰ* إنّ في ذلك لعبرة لمن يخشىٰ﴾.

(النازعات[٧٩]الآية ١٥ ـ ٢٦)

وغيرها من الآيات الكريمة في هذا المورد.



ومحصل الآيات الكريمة على الإجمال والاختصار هو أنّ موسىٰ عليه السلام كان مخلَصاً وكان رسولاً نبيّا، وقد منّ اللّه تعالىٰ عليه عند ولادته فأوحىٰ إلىٰ أمّه أن أرضعيه فاذا خِفْتِ عليه فألقيه في اليمّ ولاتخافي ولاتحزني إنّا رادّوه اليكِ وجاعلوه من المرسَلين، وأن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فلْيلْقِه اليمُّ بالساحل يأخذْهُ عدوّ لي وعدوٌّ له، وعملت أمّ موسىٰ بما أوحىٰ اللّه اليها فجعلتْه في صندوق بعدما أرضعته ثم قذفتْه في اليمّ وأخذت تنظر اليه بحسرة، ولكنها كانت مطمئنة بوعد الله تعالىٰ حيث قال لها من قبل: إنّا رادّوه اليك، فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاً وحَزَنا بإرادة اللّه ومشيته. وقالت امرأة فرعون قرّةُ عيْن لي ولك، لاتقتلوه عسىٰ أن ينفعنا أو نتّخذه ولداً وهم لايشعرون، وبهذا أراد اللّه تعالىٰ أن ينجيه من الهلاك والفتنة التي افتتنها فرعون في قتْل الأبناء منعاً من تحقّق ولادة الموعود ورسالته، وهو ما اطّلع عليه بواسطة الكهنة وانه سيكون من المرسلين، وسيكون هلاكه على يديه. فردّه اللّه تعالىٰ الى أمّه بإشارة من أخته، كي تقرّ عينها، بعدما حرّم عليه المراضع وهو: إذ تمشي أخته وتقول: هل أدلّكم علىٰ من يكفله، وأصبح فؤادُ أمّ موسىٰ فارِغاً، فاتخذوها مرضعة له بعدما اتّخذوه ولداً لهم. والظاهر من القصة هو أنّ عمران أبا موسىٰ وكذلك أخته كانا بالنسبة الى آل فرعون على وجه قريب لم يشملهما ماشمل بني اسرائيل.

ولمّا بلغ أشدّه واستوىٰ آتاه الله حكماً وعلماً وقدرةً وفهماً ورشداً وبلوغاً فقد كان يعرف انحراف القوم وحاكمهم فيذكّرهم بذلك الانحراف وضعْف حاكمهم في قوّته . ودخل المدينة علىٰ حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقْتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوّه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسىٰ فقضىٰ عليه (فمات) قال ربِّ إنّي ظلمت نفسي فاغْفر لي فغفر له، فأصبح في المدينة خائفاً يترقّب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسىٰ إنّك لغويٌّ مبين، فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدوٌّ لهما قال : ياموسىٰ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إنْ تُريد إلّا أن تكون جبّارا في الأرض وماتريد أن تكون من المصلحين، فظهر أمر القتل وشاع ذلك في المدينة، وعلموا أن موسىٰ له يد طولىٰ في حماية الحق والعدل إلىٰ حدّ العمل والقتل فأتمروا عليه وتباحثوا حوله ليأخذوه ويقتلوه قصاصاً، وجاءَ رجل من أقصىٰ المدينة يسعىٰ قال : ياموسىٰ إنّ الملأ يأتمرون ليقتلوك فاخرج إنّي لك من الناصحين فخرج منها خائفاً يترقّب قال ربِّ نجّني من القوم الظالمين .

ولما توجّه تلقاء مدين (داعياً ربّه وإلٰهه راجياً لهدايته ونجاته) قال عسىٰ ربّي أن يهدني سواء السبيل، ولمّا ورد ماء مدين وجد عليه أمّةً من الناس يسقون ووجد من دونهم آمرأتين تذودان (بعد استسقاء القوم) قال : ماخطبكما؟ قالتا : لانسقي حتىٰ يصدر الرعاء وأبونا شيخٌ كبير، فسقىٰ لهما ثمّ تولّىٰ الى الظلّ (متكياً داعياً) قال: ربِّ إنّي لما أنزلْت إليّ من خير فقير . ولعلّ مقتضىٰ الأمر هو حسّه بغربته وقدرته وشبابه بعد السقي لهما، ولكن هذا هو الخير الذي شاءه له ربّه، وهو لايعلم . فما مضت فترة الا وجاءته إحداها تمشي علىٰ استحياءٍ قالت : إنّ أبي يدعوك ليجزيك أجْرَ ماسقيْتَ لنا فلمّا جاءه وقصّ عليه القصص قال : لاتخفْ نجوْت من القوم

الظالمين قالت احداهما يا أبتِ استأجره إنّ خير مَنِ استأجرْتَ القويُّ الأمين، قال : إني أُريد أن أُنكحك إحدىٰ ابنتيّ هاتين علىٰ أنْ تأجرني ثماني حجج فإنْ أتممْتَ عشراً فمِنْ عندك .

فلمّا قضىٰ موسىٰ الأجل وسار بأهلِهِ آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله أُمكثوا إنّي آنستُ ناراً لعلّي آتيكم منها بخبرٍ أوجذوة[١] من النار لعلّكم تصطلون، فلّما أتاها نودي من شاطئ الوادِ الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسىٰ إنّي أنا اللّه ربُّ العالمين .

وفي قوله تعالىٰ :

﴿إذْ رأىٰ ناراً فقال لأهله أمكثوا إنّي آنست ناراً لعلّي آتيكم منها بقبس[٢] أو أجد على النار هدى* فلّما أتيٰها نُودي ياموسىٰ* إنّي أنَا ربّك فاخلع نعليك إنّك بالواد المقدّس طُوىٰ* وأنا اخترتك فاستمع لما يُوحىٰ. إنّني أنا اللّه لا إله إلاّ أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾ . (طه [٢٠] الآيات ١٠ ـ ١٤)

وعندما اختاره اللّه تعالىٰ وأوحىٰ اليه ما أوحىٰ، وصار نبياً مرسلاً احتاج الىٰ بيّنة وبرهان وشريك يعاونه ووزير يعاضده، وأراد اللّه تعالىٰ له ذلك ايضاً فقال له :

﴿ وماتلك بيمينك ياموسىٰ* قال هي عصاي أتوكّأ عليها وأهشّ بها علىٰ غنمي ولي فيها مآربُ[٣] أخرىٰ* قال ألْقِها ياموسىٰ* فألقاها فإذا هي حيّة تسعىٰ. قال خذْها ولاتخف سنُعيدها سيرتها الأُولىٰ* واضمم يدك إلىٰ جناحك تخرجْ بيضاء من غير سوءٍ آيةً أُخرىٰ* لنُريك من آياتنا الكبرىٰ* اذهبْ الى فرعون إنّه طغىٰ* قال ربِّ اشرحْ لي صدري* ويسّر لي أمري. واحلل عقدة من لساني*

---

١ ـ الجمرة الملتهبة .
٢ ـ شعلة النار تؤخذ من معظم النار .
٣ ـ أرب اليه احتاج. المأربة الحاجة ج مآرب .

يفقهو قولي* واجعل لي وزيراً من أهلي* هٰرون أخي* أشدد به أزري[1]. واشركه في أمري .... قال قد أوتيتَ سُؤلك ياموسىٰ ﴾ . (طه [٢٠] الآيات ١٧ ـ ٣٦)

﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتي ولاتنيا في ذكري. اذهبا إلىٰ فرعون إنّه طغىٰ. فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشىٰ. قالا ربّنا إنّنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغىٰ. قال لاتخافا إنّني معكما أسمع وأرىٰ. فأتياه فقولا إنّا رسولا ربك فأرسِلْ معنا بني اسرائيل ولاتعذّبهم قد جئناك بآية من ربّك والسلامُ على من اتّبع الهدى.﴾ . (طه [٢٠] الآيات ٤٢ ـ ٤٧)

وهكذا صار موسىٰ عليه‌السلام كليم الله ونبياً رسولاً مرسلاً الى فرعون الطاغي وملئه المستكبرين، وصار أخوه هارون شريكاً معه في أمره ووزيراً له معاضداً ايّاه يعاونه ويحمل عنه شيئاً من أمره .

فأتىٰ موسىٰ وهٰروان الى فرعون وملئه ودَعواه وقَومه الى الحقّ ﴿ فأتيا فرعونَ فقولا إنّا رسولُ ربِّ العالمين* أن أرسِلْ معنا بني اسرائيل.﴾

(الشعراء [٢٦] الآية ١٦ و ١٧)

فرعون ـ ﴿ قال ألم نربّك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين. وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين ﴾ . (الشعراء [٢٦] الآية ١٨ و ١٩)

موسىٰ ـ ﴿ قال فعلتُها إذاً وأنا من الضالّين* ففررت منكم لمّا خفتكم فوهب لي ربّي حكماً وجعلني من المرسلين﴾ . (الشعراء [٢٦] الآية ٢٠ و ٢١)

فرعون ـ ﴿ قال فرعون : وما ربُّ العالمين﴾ . (الشعراء [٢٦] الآية ٢٣)

موسىٰ ـ ﴿ قال : ربُّ السمٰوات والأرض ومابينهما إنْ كنتم مؤقنين.﴾ . (٢٤)

فرعون ـ ﴿ قال لمنْ حولَهُ : ألا تستمعون ﴾؟! . (٢٥)

---

١ – الازر : الظهر .

موسىٰ ـ ﴿ قال : ربُّكم وربُّ آبائكم الأولين .﴾ . (٢٦)

فرعون ـ ﴿ قال : إنّ رسولكم الذي أُرسل اليكم لمجنون . ﴾ . (٢٧)

موسىٰ ـ ﴿ قال : ربُّ المشرق والمغرب ومابينهما إن كنتم تعقلون . ﴾. (٢٨)

فرعون ـ ﴿ قال : لئن اتّخذت إلٰهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين . ﴾. (٢٩)

موسىٰ ـ ﴿ قال : أولو جئتك بشيءٍ مبين . ﴾؟ . (٣٠)

فرعون ـ ﴿ قال : فأتِ به إنْ كنت من الصادقين . ﴾ . (٣١)

موسىٰ ـ ﴿ فألقىٰ عصاه فإذا هي ثعبانٌ مبين. ونزع يده فإذا هي بيضاءُ للناظرين . ﴾. (٣٢ـ٣٣)

فرعون ـ ﴿ قال للملأ حوله : إنّ هذا لساحرٌ عليم. يُريد أن يُخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون .﴾؟ . (٣٤ـ٣٥)

ملأ فرعون ـ ﴿ قالوا : أرجِهْ وأخاه وابعث في المدائن حاشرين. يأتوك بكلِّ سحّار عليم. فجُمع السحرة لميقات يوم معلوم. وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ...﴾ . (٣٦ـ٣٩)

السحرة ـ ﴿فلمّا جاء السحرة قالوا لفرعون إن لنا لأجراً إنْ كنّا نحنُ الغالبين .﴾؟ . (٤١)

فرعون ـ ﴿ قال : نعم وإنكم اذاً لمن المقرّبين . ﴾ . (٤٢)

موسىٰ ـ ﴿ قال لهم (للسحرة) موسىٰ: ألقوا ماأنتم ملقون ﴾. (٤٣)

السحرة ـ ﴿ فألقواحبالهم وعصيّهم وقالوابعزّة فرعون إنّا لنحن الغالبون﴾ (٤٤)

موسىٰ ـ ﴿ فألقىٰ موسىٰ عصاه فإذا هي تَلْقَفُ مايأفكون . ﴾. (٤٥)

السحرة ـ ﴿ فأُلقي السحرة ساجدين. قالوا آمنّا بربّ العالمين. ربّ موسىٰ

وهٰرون . ﴾. (٤٦ ـ ٤٨)[1]

فرعون ـ ﴿قال: آمنتم له قبل أن آذن لكم إنّه لكبيركم الذي علّمكم السحر فلسوف تعلمون.لأقطّعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلّبنّكم أجمعين.﴾ (٤٩)

السحرة ـ ﴿ قالوا لاضيرَ إنّا الى ربّنا منقلبون. إنّا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أنْ كنّا أوّل المؤمنين . ﴾ . (٥٠ ـ ٥١)

وعندئذٍ غلب موسىٰ عدوّه، فآمن بربّه وربّ هٰرون جمعٌ من عباد الله تعالىٰ من السحرة المنصفين وغيرهم، فأوحىٰ اللّه تعالىٰ الى موسىٰ أن يجمع قومه ويجلو بهم عن البلاد وليهجروها حتىٰ يأتي اللّه بأمره فإنّهم متّبعون، كما في قوله تعالىٰ :

﴿ وأوحينا الى موسىٰ أن أسرِ بعبادي إنّكم متّبعون.﴾ . (٥٢)

وعندما هاجر موسىٰ مع قومه وتركوا البلاد، أرسل فرعون في المدائن حاشرين أنَّ هؤلاء لشرذمة قليلون، وإنّهم لنا لغائظون .

فجمع فرعون جمعه وأتبع موسىٰ وقومه حتىٰ يدركهم ويهلكم في ظنه ويخلص وينجو منهم، ومن جهة أُخرىٰ فقد كان أصحاب موسىٰ جديدي عهد بالايمان قليلي التحمل، وفي اضطراب من الأمر، سيّما بعد تعقيب فرعون وجنوده لهم .

﴿فلما تراءىٰ الجمعان قال أصحاب موسىٰ : انا لمُدركون* قال : كلاّ إنّ معي ربي سيهدين﴾ (الشعراء [٢٦] الآيات ٦١ ـ ٦٢) وأنجاهم الله من فرعون وملئه بنحو اعجازي، كما في قوله تعالىٰ :

﴿ فأوحينا الىٰ موسىٰ أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فِرْقٍ كالطّود

---

١ ـ قد عرفت في بحث الاعجاز أن علّة تسليم السحرة لموسىٰ (عليه السلام) وايمانهم به هو أنهم كانوا أعلم بما صنعوا ويتلقّف ثعبانهم المحقق من قبل عصا موسىٰ (عليه السلام) وانه كان ثعباناً حقيقياً لا خيالياً، وهذا ما لايمكن إلا بقدرة ربّ موسىٰ وهارون ربّ العالمين، فراجع الفصل الثالث .

العظيم. وأزلفْنا ثَمّ الآخرين. وأنـجينا مـوسىٰ ومـن مـعه أجـمعين. ثـم أغـرقْنا الآخرين.﴾ . (الشعراء [٢٦] الآيات ٦٣ ـ ٦٦)

وهكذا نُجّي موسىٰ وقومه من فرعون وقومه، ويقي موسى وكـمالاته العـالية اللائقة لمقامه ﴿ وإذْ قال موسىٰ لفتاه لا أبرح حتىٰ أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حُقبا ... فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علما* قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمنِ ممّا علمت رشدا * قال انّك لن تـستطيع معي صبرا * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا * قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمراً * قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا* فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً امرا* قال ألم أقل انّك لن تستطيع معي صبرا * فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفساً زكيّة بغير نفس لقد جئت شيئاً نكرا* قـال ألم أقـل لك إنّك لن تستطيع معي صبرا * قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا * فانطلقا حتى إذا أتيا اهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يـضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه أجرا * قال هذا فراقٌ بيني وبينك سأُنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا * اما السفينة فكـانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة غصبا * وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً* فأردنا أن يبدلهما ربّهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما * وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربّك ان يبلغا أشدّهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾ . (سورة الكهف [١٨] الآيات ٦٠ ـ ٨٢)

الآيات تتحدّث عن حالات موسىٰ وهٰرون وقصصهما وكيف ان موسىٰ عندما نسي هو وفتاه (يوشع بن نون) حوتهما ورجعا إلى آثارهما على المكان المنسي فيه وجدا عبداً من عباد الرحمن ممن آتاه الله علماً من لدنه كان يرى به عمق نظام الخلقة وعين وقائع الطبيعة الجارية مما لا يعلم بالعلوم المكتسبة عادة سواء ما مضى أو ما سيأتي فطلب منه موسىٰ عليه السلام ان يتبعه على ان يعلمه مما علّمه الله من الرشد، فقال له هذا العبد : انك لن تستطيع معي صبرا. فان من لا يرى إلّا ظواهر الأُمور والقواعد الجارية المتعارفة يشقّ عليه ان يرى ويتحمّل ما يعمله العالم ببواطن الأُمور وحقائق العالم ولا يستطيع أن لا يعترض عليه وعلى الأقلّ أن لايسأله وجه عمله؛ ولذلك أضاف على ما قال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) فقال له موسىٰ ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً واطيع ما تأمرني به ولو لم يظهر له وجه ولم يفهم منه شيئاً .

فتعاهد معه ان يتّبعه على ان لا يسأله شيئاً حتى يخبره من تلقاء نفسه، فانطلقا معا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها هذا العبد العالم، ولم يتحمّل موسى وقال أخرقتها لتغرق أهلها؟ قال له ألم أقل انّك لن تستطيع معي صبرا؟ قال موسى نسيت ذلك ولا تؤاخذني عليه، فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله فلم يتحمّل موسى أيضاً وقال أقتلت نفساً زكيّة؟ فقال له العبد العالم: ألم أقل لك إنّك لن تستطيع معي صبراً. فتعذّر موسىٰ ثانياً وقال ان سألتك شيئاً بعد هذا فلا تصاحبني، فانطلقا معاً حتىٰ إذا أتيا قريةً استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا جداراً يريد ان ينقضّ فأقامه هذا العبد العالِم ولم يستطع موسى الصبر أيضاً ولم يفهم وجه العمل في تلك الشرائط مع جوعهما وقال لو شئت لاتخذت عليه أجرا. وقال له هذا العالم هذا فراقٌ بيني وبينك سأُنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا، ثم بيّن له تأويل كلّ ما عمله من الخرق

والقتل وإقامة الجدار بما بيّن بصراحة الآيات من صيانة السفينة عن غصب القاهر الغاصب وحفظ والدي الغلام عن الضلال وإيصال الكنز المخفي تحت الجدار إلى مالكه ومستحقه أولاد المالك الأوليّ.

ومن المناسب هنا الاشارة إلى أمرين؛ الأوّل: حكمة هذا التعلّم وهذه التلمذة وتكليف موسى أن يكون مع هذا العبد المُعلم من عند الله.

قيل في ذلك انّه كان تنبيهاً لخطئه عندما سئل عن أعلم الناس بين بني إسرائيل فأجاب: انا. وحيث لا يوجد لهذا النقل سند يعتمد عليه فلايبعد أن يكون ذلك من ابتلاء الله تعالى له حتى يجد في نفسه ما وجد بعدما سمع تأويل ما فعله الخضر ممّا لم يستطع معه الصبر من الخرق والقتل وإقامة الجدار حيث كان في نفسه يعلم ما بدر منه من طلبه من الله تعالى أن يريه نفسه حتى سمع: لن تراني. وقوله ان هذه إلا فتنتك ومن أخذه بلحية أخيه ومن ومن.. حتى قبل نبوته عندما وكز على عدوّ شيعته حيث كانا يقتتلان.

الثاني توجيه القتل المقبوح عقلاً ومعنىٰ قوله تعالىٰ: اما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفرا.. الآية، فان خشية الإرهاق واحتمال ضلالة الأبوين بل العلم بذلك حسب الواقع كيف يُجوّز القتل؟ فقد يقبل العقل والشرع بالخرق حفظاً للمال ودفعاً لضررٍ أقوىٰ بحيث يصلح العمل لكلّ من يعلم ذلك حتى مالك السفينة، وكذلك إقامة الجدار حفظاً لحقوق الصغار وايصالاً للحقّ إلى صاحبه فهو مما يقبله العقل والعقلاء بل يعمله، أما القتل فهو مرفوض بالذات عقلاً؛ وضلالة المقتول يكون باختياره، ونفس الإضلال المجوّز للقتل لم يتحقق بعد وهو أيضاً على اختيار؛ فكيف يوجه؟!

واجيب عن ذلك نقضاً بذبح إسمٰعيل ونذر عبد المطلب ذبح ابنه العاشر إن

رزق عشرة أبناء .

لكن النقض وتكثير الأمثلة لا يحلّ الاشكال. والحلّ عندنا هو أن يقال أوّلاً: ان القتل لا يكون قبيحاً عقلاً مطلقاً كما ترى في قتل المحارب والمفسد والمرتد وغيرهم. نعم صفة (الزكية) المذكور في الآية وسؤال موسىٰ عليه السلام أقتلت نفساً زكيّةً بغير نفسٍ بحلّ الموضوع ومحصل الجواب والتأويل الوارد في كلام هذا العبد المعلّم من عند الله انها لم تكن زكيّة، والأمر في الواقع كان دائراً بين حياته وضلالة والديه، وربما ضلالة العشيرة والقوم بل وجمع كثير بضلالتهما في مقابل هدايتهما ورشدهما ورشد جمع كثير بهدايتهما وبين إزهاق حياة هذا الغلام. بحيث كان الأمر في الخارج ونظام الطبيعة ولو على الاختيار والإرادة غير خارج عن الأمرين المذكورين فكان من مصاديق دوران الأمر بين المهم والأهم فيُقدّم الثاني عقلاً وعقلائياً، وفي ذلك المستوىٰ لم تكن نفس الغلام زكيّة بل عاملة ـ قطعاً ـ في الإضلال على حدّ يُسهل الأمر . إلّا أن الإطلاع والعلم بهذا الواقع الخارجي في المستقبل من الزمن لا يحصل ولا يتحقق لكلّ أحد ولا يجوز العمل به لكلّ من حصل له، فإن الأمور على مجاريها العادية والعلوم المتعارفة، وليس لكلّ عالم بما وراء ذلك أن يعمل بما علم كما ترى في علوم أئمتنا الاثني عشر (صلوات الله وسلامه عليهم) فانّهم مع علمهم بما كان وما يكون وما هو كائن إذا أرادوا أن يعلموا، ومع ذلك لم يعملوا به في معاشراتهم مع معاشر الناس؛ حتى ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال: انما اقضي بينكم بالبيّنات والآيات .

هذا وقصة موسىٰ عليه السلام موزعة في أكثر من أربع عشرة سورة من القرآن الكريم؛ وأكثرها في سُور طه [٢٠] من آية ١٠ إلى ١٠٠ من قوله تعالىٰ: هل أتاك حديث موسىٰ... إلى قوله تعالىٰ :كذلك نقصّ عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا. والشعراء [٢٦] من آية ١٠ إلى ٦٦ من قوله تعالىٰ: وإذ نادى ربّك موسىٰ... إلى

قوله تعالىٰ: ثم أغرقنا الآخَرين. والقصص [٢٨] من أوّل السورة ... نتلو عليك من نبأ موسىٰ... إلى قوله تعالىٰ: ولقد آتينا موسىٰ الكتاب من بعدما أهلكنا القرون الأُولىٰ ...

أشرنا إلى ما ترتبط برسالته ونبوّته عليه السلام دون بيان حوادث حياته وقصصه وإن أردت فراجع القرآن الكريم بعد السور الثلاث المذكورة إلى هذه السور:

السورة	الرقم	الآية
١ ـ المائدة	٥	٢١ ـ ٢٦ وإذ قال موسىٰ لقومه ...
٢ ـ الأعراف	٧	١٠٤ ـ ١٦٠ ثم بعثنا من بعدهم موسىٰ بآياتنا ...
٣ ـ يونس	١٠	٧٦ ـ ٩٢ ثم بعثنا من بعدهم موسىٰ وهٰرون ...
٤ ـ هود	١١	٩٧ ـ ١٠٠ ولقد أرسلنا موسىٰ بآياتنا وسلطان مبين...
٥ ـ إبراهيم	١٤	٦ ـ ٩ ولقد أرسلنا موسىٰ بآياتنا ان اخرج ...
٦ ـ الإسراء	١٧	٢ و ١٠١ وآتينا موسىٰ الكتاب... ولقد آتينا موسىٰ تسع آيات..
٧ ـ الكهف	١٨	٦٠ ـ ٨٢ وإذ قال موسىٰ لفتاه لا أبرح...
٨ ـ مريم	١٩	٥١ ـ ٥٣ واذكر في الكتاب موسى انّه كان مخلصاً وكان رسولاً نبيا
٩ ـ الأنبياء	٢١	٤٩ ـ ٥٠ ولقد آتينا موسىٰ وهٰرون الفرقان...
١٠ ـ المؤمنون	٢٣	٤٦ ـ ٥٠ ثم أرسلنا موسىٰ وأخاه هٰرون بآياتنا...
١١ ـ الفرقان	٢٥	٣٦ و ٣٧ ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنامعه أخاه هٰرون وزيرا
١٢ ـ النمل	٢٧	٨ ـ ١٥ إذ قال موسىٰ لأهله إني آنست ناراً...
١٣ ـ القصص	٢٨	١ ـ ٤٥ طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسىٰ..
١٤ ـ السجدة	٣٢	٢٤ ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية...
١٥ ـ غافر	٤٠	٢٢ ـ ٢٩ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين
١٥ ـ غافر	٤٠	٥٣ ـ ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا...
١٦ ـ فصّلت	٤١	٤٥ ـ ولقد آتينا موسىٰ الكتاب فاختلف فيه ..

والآيات بعد تبيين زوايا حياته عليه السلام وما جرى له في شتى المراحل من ولادته عليه السلام في أشدّ الظروف، وصيانته في مركز قدرة عدوّه وإرشاده وهدايته، حتى بعثه إلى فرعون وملئه مع أخيه هٰرون بآيات وسلطان وفرقان. والله تعالى أتىٰ موسىٰ تسع آيات والكتاب والهدى وكتابه التوراة .

ثم بعد موسى وهٰرون الياس و يسع وفيهما آيات :

١ ـ ﴿ووهبنا له اسحٰق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريّته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسىٰ وهٰرون وكذلك نجزي المحسنين* وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ والياس كلٌ من الصالحين* واسمٰعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضّلنا على العالمين﴾. (الأنعام [٦] الآيات ٨٤ ـ ٨٦)

٢ ـ ﴿سلامٌ على موسىٰ وهٰرون* انّا كذلك نجزي المحسنين* انّهما من عبادنا المؤمنين* وان الياس لمن المرسلين* إذ قال لقومه ألا تتقون* أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين* الله ربّكم وربّ آبائكم الأولين* فكذّبوه فانّهم لمحضرون* إلا عباد الله المخلصين* وتركنا عليه في الآخرين* سلامٌ على الياسين* إنّا كذلك نجزي المحسنين* انّه من عبادنا المؤمنين﴾.

(الصافات [٣٧] الآيات ١٢٠ ـ ١٣٢)

٣ ـ ﴿واذكر اسمٰعيل واليسع وذا الكفل وكلٌ من الاخيار﴾. (ص [٣٨] الآية ٤٨)

والآيات كما ترى تصرّح بأن الياس من الصالحين من ذرّية نوح وهو ابن هٰرون أخي موسىٰ كما قيل وانّه لمن المرسلين إلى قومه في بعلبك[1] فدعاهم إلى الله تعالى وعبادته وقال لهم ألا تتقون؟ أتدعون بعلاً (اسم صنم من ذهب) وتذرون أحسن الخالقين. تذرون ربّكم وربّ آبائكم الأولين. وحذّرهم من القيامة واليوم الآخر.. يوم المحضر، ولكن كذّبوه وصاروا بذلك من أهل النار. وسلام على إلياسين، ولم يذكر زائداً على ذلك شيئاً من حياته وقصص دعوته، غير انّه كان من الصالحين ومن عباد الله المؤمنين أرسله الله تعالى إلى قومه ودعاهم فكذّبوه وبذلك انقلبوا وصاروا من المحضرين في النار إلا عباد الله المخلصين، وسلام على الياس، وإنّا كذلك نجزي المحسنين.

---

١ ـ سمّي باسم الصنم الذي كانوا يعبدونه وقال لهم الياس أتدعون بعلاً ...

واما اليسع المذكور بعد إسمٰعيل في موضعين فلم يذكر في القرآن شيء من بعثه ورسالته ودعوته إلا انّه من الأخيار وممّن فضّلهم الله على العالمين من الأنبياء المذكورين السبعة عشر[1] كما إن ذا الكِفل المذكور هنا بعد اليسع. وفي سورة الأنبياء [٢١] الآية ٨٥ بعد إدريس لم يذكر أيضاً في القرآن شيء من نبوّته وبعثه إلى قومه ودعوته غير انّه من الصابرين والأخيار. وقيل انّه كان يكفل أنبياء بني إسرائيل عندما كان يتعقبهم قومهم ليقتلوهم.

ومن الأنبياء المرسلين يونس عليه السلام وفي نبوّته وشأنه وحياته آيات:

١ ـ ﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيّين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب والاسباط وعيسىٰ وأيوب ويونس وهٰرون وسليمان وآتينا داود زبورا﴾. (النساء [٤] الآية ١٦٣)

٢ ـ ﴿وإسمٰعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلّنا على العالمين﴾.

(الأنعام [٦] الآية ٨٦)

٣ ـ ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لمّا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدّنيا ومتعناهم إلى حين﴾. (يونس [١٠] الآية ٩٨)

٤ ـ ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظنّ أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا إله إلّا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين * فاستجبنا له ونجّيناه من الغمّ وكذلك ننجي المؤمنين﴾. (الأنبياء [٢١] الآيتان ٨٧ و ٨٨)

٥ ـ ﴿وانّ يونس لمن المرسلين * إذ ابق إلى الفلك المشحون * فساهم فكان من المدحضين * فالتقمه الحوت وهو مليم * فلولا إنه كان من المسبّحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون * فنبذناه بالعراء وهو سقيم * وأنبتنا عليه شجرة من

---

١ ـ وقد ذكر اسم سبعة عشر من الأنبياء عليهم السلام في الآية الأولى (الأنعام [٦] الآيات ٨٤ إلى ٨٦) مع القطع بأن ترتيبهم وتسلسلهم في الحياة والبعثة غير ما ذكر. وقد وجد بعض المفسّرين ذلك بتوجيه صححه الاستاذ العلاّمة مفسّر القرن الرابع عشر صاحب الميزان في المجلّد الثاني في بحث النبوّة بزيادة منه فراجع.

يـــقطين* وأرســـلناه إلى مـــائة ألف أو يـــزيدون* فآمـــنوا فـــمتعناهم إلى حين﴾. (الصافات [٣٧] الآيات ١٣٩ ـ ١٤٨)

٦ ـ ﴿فاصبر لحكم ربّك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم* لولا ان تداركه نعمة من ربّه لنُبِذَ بالعراء وهو مذموم* فـاجتباه ربُّـه فـجعله مـن الصالحين﴾.

(القلم [٦٨] الآيات ٤٨ ـ ٥٠)

وظاهر تلك الآيات بل صراحتها ملخّصاً ـ والله أعلم ـ ان يونس كان نبيّاً يوحىٰ إليه كما يوحى إلى غيره من الأنبياء وهو من المفضلين عـلى العـالمين كـغيره مـن الأنبياء وجرى الأمر بينه وبين قومه إلى أن غضب عليهم وتركهم وابق إلى الفـلك المشحون المملوء. وعندما انتهى الفلك إلى اللجة فساهموا فكان يونس ممّن اصابه القرعة فكان من المدحضين فالقوه في أليم فابتلعه الحوت وهو مليم نفسه لماذا ترك قومه وغضب عليهم ولماذا ابق إلى الفلك من قبل أن يأذن له ربّه فظنّ ان الله تعالى يقضي عليه بما قضى ويكون لقمة الحوت إلى الأبد وتمّ أمره وانّه تعالى لا ينجيه لأنه ظنّ بالله ظنّ السوء من عدم قدرته على نجاته فانّه كان نبيّاً يوحى إليه وكان يعرف قدرة الله على كلّ شيء ولذلك نادى ربّه في ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت وقال لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنتُ من الظالمين.

ولولا ان كان من المسبّحين ولولا دعاؤه ربّه واعترافه بظلمه نفسه للبث في بطن الحوت وكان قبره ومدفنه هذا البطن إلى يوم البعث والقيامة، ولكن استجاب له ربّه ونجّاه من الغمّ فنبذه الحوت بأمر ربّه بالعراء الأرض الخالية في ساحل اليـم وهـو سقيم، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين تحفظه مـن الحـرّ حـتى عـاد وضـعه إلى السلامة والصحة فأرسله إلى قوم آخرين مائة ألف أو يزيدون فآمنوا به ومتعهم الله

إلى حين. والقرية التي نفعها ايمانها هي هذه القرية (قوم يونس) لما آمنوا كشف الله عنهم العذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتّعهم إلى حين.

والله تعالى يخاطب نبيّه الخاتم عندما يرى عناد القوم وتعصّبهم في إطاعة الله والايمان به، ويأمره بالصبر على تلك النداثب والمصائب وتحمّل المشاكل في حكم ربّه ويقول له لا تكن كصاحب الحوت فإنّه تعجّل وغضب على قومه فقضى عليه ربّه بما قضى ولولا ان تداركه نعمةٌ من ربّه لبقىٰ في بطن الحوت إلى يوم يبعثون ولكن تداركته النعمة ونجّاه ربّه فاجتباه وجعله من الصالحين وكذلك ينجي المؤمنين.

ثم داود[1] النبيّ من أولاد يعقوب بعشرة وسائط وفي شأنه وحياته ونبوّته آيات:

١ - ﴿... وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه مما يشاء...﴾.
(البقرة [٢] الآيات ٢٥١)

٢ - ﴿... وآتينا داود زبورا﴾. (النساء [٤] الآية ١٦٣)

٣ - ﴿لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسىٰ بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾. (المائدة [٥] الآية ٧٨)

٤ - ﴿... ونوحاً هديناه من قبل ومن ذرّيته داود ...﴾. (الأنعام [٦] الآية ٨٤)

٥ - ﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوّة....﴾. (الأنعام [٦] الآية ٨٩)

٦ - ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنّا لحكمهم شاهدين* ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً وسخّرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنّا فاعلين﴾. (الأنبياء [٢١] الآية ٧٨ و ٧٩)

---

١ - داود ابن اشعياء من ولد يهود ولد يعقوب ومن ولد بني إسرائيل كان يعيش في عام الفين قبل ميلاد المسيح وزبوره في سفر المزامير من كتاب التوراة، وآل داود هم سليمان وولدها.
دائرة المعارف الاسلامية الكبرىٰ ج ١ آل داود.

٧ ـ ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضّلنا على كثيرٍ من عباده المؤمنين* وورث سليمان داود وقال يا أيُّها الناس عُلّمنا منطق الطير...﴾.

(النمل [٢٧] الآية ١٥ و ١٦)

٨ ـ ﴿ولقد آتينا داود منّا فضلاً يا جبال اوّبي معه والطير وألنّا له الحديد* ان اعمل سابغات وقدّر في السرد واعملوا صالحاً انّي بما تعملون بصير﴾.

(سورة سبا[٣٤] الآية ١٠ و ١١)

٩ ـ ﴿... واذكر عبدنا داود ذا الايد إنّه أوّاب* انّا سخّرنا الجبال معه يُسبِّحن بالعشي والاشراق* والطير محشورةً كلٌّ له أوّاب* وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب* وهل آتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب* إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحقّ ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط... يا داود انّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحقّ ولا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله... ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انّه أوّابٌ﴾. (سورة ص [٣٨] الآيات ١٧ ـ ٣٠)

وملخّص ما يستفاد من الآيات ان داود عليه السلام كان من ذرّية نوح وآتاه الله المُلك والحكمة وفضلاً وعلماً وهو ممّن آتاهم الله تعالى الكتاب والحكم والنبوّة وكتابه كان زبورا «المكتوب في سفر مزامير من التوراة» وانّه كان كثير الرجوع إلى الله تعالى يذكره ويؤوب إليه وقد سخّر الله تعالى الجبال يسبّحن معه بالعشي والاشراق وكذلك الطير محشورة حوله يسبحن وكلٌّ له أوّاب أي لله تعالى لا لداود. وقد شدّد الله ملكه وآتاه الحكمة وفصل الخطاب، فكان يحكم بين الناس في ملكه ويقضي بينهم في الخصومات فيفصل الخطاب.

وفي تاريخ قضائه انّه كان في المحراب عندما رأى على سوره من خاف منهم وفزع، لأنّهم جاءوا من غير طريق فقالا لا تخف نحن خصمان، وطلبا منه ان يحكم

بينهما بالحقّ من غير شطط بل إلى سواء الصراط. وعندما سمع من المدعي انّ له نعجة ولخصمه تسعاً وتسعين ويسأله عن نعجته ويعزّه في الخطاب قضىٰ له قبل أن يسمع كلام الخصم بقوله لقد ظلمك بسؤالك نعجتك إلى نعاجه وان كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض. وكان هذان الخصمان في الواقع ملكين تمثلا له بشراً وضربا له المثل في الخصومات فعرف داود انّه قد ابتلي وفتن فاستغفر ربّه وأناب، وعندئذٍ جعله الله خليفةً في الأرض وأمره أن يحكم بين الناس حكومة الحق وان يقضي بينهم قضاء العدل من غير اتباع الهوى في حكومته وقضاوته عليه السلام. (وما ذكر في الباب من القصص وبعض الروايات في تزوجه مع زوجة من قُتل في الحرب اسرائيليات ودخيلات قد اجاب عنه الإمام الثامن علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام فراجع).

وكان ممّا آتاه الله تعالى في ملكه وقدرته انّه قد ليّن له الحديد ووهبه سليمان فورثه، وعلمهما الله تعالى منطق الطير ان كان ضمير (نا) راجعاً إليهما في قوله تعالىٰ: ﴿يا أيها الناس عُلمنا منطق الطير﴾ والا كان هذا الفضل لسليمان فقط وبتعبير ضمير الجمع تفخيماً.

فهو عليه السلام كان من الأنبياء بعد نوح بعدّة آباء حتى يصدق انّه من ذريّته وهم هود وإبراهيم وإسحٰق ويعقوب من الأنبياء وغيرهم بعشرة آباء بينه وبين يعقوب على ما ذكر وبعده ولده ووارثه سليمان. واليك بعض الآيات الراجعة إليه :

١ ـ ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ...﴾. (البقرة [٢] الآية ١٠٢)

٢ ـ ﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيّين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب والاسباط وعيسىٰ وأيّوب ويونس وهٰرون وسليمان وآتينا داود زبورا﴾. (النساء [٤] الآية ١٦٣)

٣ ـ ﴿ووهبنا له إسحٰق ويعقوب كلاًّ هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذرّيته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسىٰ وهٰرون وكذلك نجزي المحسنين...﴾ (الأنعام[٦]الآية ٨٤)

٤ ـ ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنّا لحكمهم شاهدين* ففهمناها سليمان وكلاًّ آتينا حكماً وعلماً وسخّرنا مع داود الجبال يُسبّحن والطير وكنّا فاعلين* وعلّمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون* ولسليمان الريح عاصفةً تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنّا بكلّ شيء عالمين* ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنّا لهم حافظين﴾. (الأنبياء [٢١]الآيات ٧٩ ـ ٨٢)

٥ ـ ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضّلنا على كثيرٍ من عباده المؤمنين* وورث سليمان داود وقال يا أيُّها النـاس عُـلّمنا منطق الطـير وأُوتينا من كلّ شيء ان هذا لهو الفضل المبين* وحشر لسليمان جنوده من الجنّ والإنس والطير فهم يوزعون* حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيُّها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون* فتبسّم ضاحكاً من قولها وقال ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين* وتفقّد الطير... الآيات إلى قوله: إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرحمٰن الرحيم... وإلى قوله: فلما جاء سليمان قال اتمدونني... إلى آخر الآية في قوله تعالىٰ: قالت ربِّ اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله ربّ العالمين﴾. (النمل [٢٧]الآيات ١٥ ـ ٤٤)

٦ ـ ﴿... ولسليمان الريح غدوّها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجنّ من يعمل بين يديه بإذن ربّه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير...

إلى قوله تعالى: لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾.

(سبا[٣٤]الآيات ١٢ ـ ١٤)

٧ ـ ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انّه أوّاب* إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد...إلى قوله تعالى: ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيّه جسداً ثم أناب. قال ربِّ اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي انّك أنت الوهّاب* فسخّرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب* والشياطين كل بنّاء وغوّاص* وآخرين مقرّنين في الأصفاد* هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب* وان له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾.

(ص[٣٨]الآيات ٣١ ـ ٤٠)

وملخّص ما يمكن ان يستفاد من الآيات الراجعة إلى نبوّة سليمان عليه السلام ان الله تعالى وهب سليمان لداود وورث سليمان داود وهما من ذرّية إبراهيم وأوحى الله تعالى إلى سليمان كما أوحى إلى نبيّه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وإلى نوح والنبيين من بعده وآتى الله داود زبورا وآتاهما الله تعالى علماً وفضّلهما على كثير من عباده المؤمنين.

ويستفاد من صراحة وراثة سليمان لدواد وذكرهما في سلك الأنبياء عليهم السلام والوحي إليهما ان سليمان كان نبيّاً مع أبيه وبعده وكتابه كتاب أبيه الزبور.

ثم زائداً على نبوّته عليه السلام قد آتاه الله ملكاً لم يُعط أحداً من العالمين فقد سخّر الله تعالى له الريح تجري بأمره غدوها شهر ورواحها شهر وجعل له من الشياطين والأجنّة من يغوصون له ويعملون بين يديه بأمره كلّ بنّاء وغوّاص أو عملاً دون ذلك من محاريب وتماثيل وجفان... وقدور راسيات، وعلّمه منطق الطير، بل كلّ ذي نطق.

فآتاه الله تعالى الحكم والنبوّة، وكان حكمه نافذاً في نطاق أوسع من كلّ ذي حكم، يطيعه الجنّ والإنس والطير، والرياح فكان يأمرهم ويحكم عليهم ويملكهم.

وقد أشارت الآيات إلى بعض موارد حكمه في ملكه مما حكى داود وسليمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم ففهمناها سليمان[1] ومما قالت النملة خطاباً لما كان تحت رئاستها من النمل : يا أيّها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون. فتبسّم ضاحكاً من قولها. وكان ذلك عندما حشر لسليمان جنوده من الجنّ والإنس والطير فهم يوزعون .

فان استماع مقالة النملة وتبسّمه من قولها لعلّه كان بعد محادثة بينهما وسؤال سليمان سيما في نسبة عدم الشعور إلى جنود سليمان بأنهم في واد النمل وعليهم المراقبة على أهل الوادي، وجواب النملة بأن القدرة والسلطة وسيما الجند المُجنّدة يعتريها الغرور والاغترار فلاترى الصغار والضعفاء فكيف النمل وما شاكلها من الحشرات، وعندئذٍ قال سليمان: ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديّ وان أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين .

كما ذكر تفقّد الطير إلى اسلام بلقيس وقولها: ربِّ انّي ظلمتُ نفسي وأسلمت مع سليمان لله ربّ العالمين .

وغير ذلك ممّا في قصص حياته ومعاشه .

ولم يذكر في القرآن الكريم شيء من دعوته عليه السلام لقوم وأُمّة واطاعتهم إيّاه أو عصيانهم له وتكذيبهم إيّاه، بل كان هو مَلِكٌ حاكمٌ حكيم مع انّه كان نبيّاً ذا علم وحكمة، وان له عند الله لزلفى وحسن مآب.

ثم بعد سليمان من السلسلة الشريفة من الأنبياء الذين وردت أسماؤهم في القرآن الكريم زكريا ابن عمران.. وفي شأنه ومقام نبوّته وقصص حياته الشريفة

---

١ ـ ومن المعلوم ان الحكم لم يكن إلا ضمان صاحب الغنم على حدّ الخسارة الواردة في الحرث بالنفش المرعي في العمل الا أن كيفية اداء ذلك كان في رأي داود تملك رقبة الغنم وعلى ما فهّمه الله تعالى سليمان الانتفاع من الغنم على حده مع بقاء الرقبة على ملك المالك وذلك كان هو الأقرب والقيمة كانت واحدة.

آيات:

١ ـ عند ذكر قصّة نذر امرأة عمران وولادة مريم:

﴿فتقبّلها ربّها بقبولٍ حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلّها زكريا كلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم انّى لكِ هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب* هنالك دعا زكريا ربّه قال ربِّ هبّ لي من لدنك ذرّية طيّبة انّك سميع الدعاء* فنادته الملائكة وهو قائمٌ يصلّي في المحراب انّ الله يُبشّرك بيحيىٰ مصدقاً بكلمةٍ من الله وسيّداً وحصوراً ونبيّاً من الصالحين﴾.

(آل عمران [٣] الآيات ٣٧ ـ ٣٩)

٢ ـ ﴿وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ والياس كلٌّ من الصالحين* وإسمٰعيل واليسع ويونس ولوط وكلاً فضّلنا على العالمين﴾. (الأنعام [٦] الآية ٨٥ و ٨٦)

٣ ـ ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم كهيعص* ذكر رحمت ربّك عبده زكريا* إذ نادى ربه نداءً خفيا* قال ربِّ إنّي وهن العظم منّي واشتعلَ الرأسُ شيبا ولم أكن بدعائك ربِّ شقيّاً وإنّي خفتُ الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليّا* يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربِّ رضيّا* يا زكريا إنّا نُبشّرك بغلامٍ اسمه يحيىٰ لم نجعل له من قبل سميّا﴾. (مريم [١٩] الآيات ١ ـ ٧)

٤ ـ ﴿وزكريا إذ نادى ربّه ربِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين* فاستجبنا له ووهبنا له يحيىٰ وأصلحنا له زوجه انّهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾. (الأنبياء [٢١] الآية ٨٩ و ٩٠)

وملخّص ما يمكن ان يستفاد من الآيات من جهة النبوّة وما يناسبها ان زكريا أيضاً في سياق إسحٰق ويعقوب من ولد إبراهيم وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسىٰ وهٰرون من ذرّيته ممّن ذكر قبله ويحيىٰ وعيسىٰ والياس وإسمٰعيل واليسع

ويونس ولوط ممّن ذكر بعده في آيات سورة الأنعام، زائداً على انّه من الصالحين نبيٌّ مفضّلٌ على العالمين مثل سائر ذرّية إبراهيم. ثم انّه بعدما اشتعل رأسه شيباً وصار شيخاً كبير السنّ وكانت امرأته عاقراً خاف على دين الله من مواليه بعده من غير ذرّية إبراهيم فدعا ربّه نداءً خفيّاً سيّما عندما رأىٰ مريم وعناية الله تعالى بها من الرزق كلّما دخل عليها المحراب وكان كفيلها، فقال ربِّ هبّ لي من لدنك وليّا يرثني ويرث من آل يعقوب يعني النبوّة والشريعة الإلهية، ربِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين ربِّ هب لي من لدنك ذرّية طيّبة.

فاستجاب له ربّه وأصلح بال زوجته من العقر ووهبه غلاماً اسمه يحيىٰ لم يجعل الله له من قبل سميا وقد ورثه الحكم والنبوّة[1] صبياً كما سنذكر آياته بعد إن شاء الله. فالمتيقن المستفاد من تلك الآيات ان زكريا عليه السلام كان من الأنبياء ورثه ابنه يحيى في النبوّة وكان ممّن يسارع في الخيرات ويدعو الله تعالى رغباً ورهباً وكان له خاشعاً.

ولم يذكر في الآيات شيء من دعوته وقومه وما كان يدعوهم إليه وما كانوا يعملون من إطاعة الله تعالى ومعصيته أو قبول دعوته ورده وغير ذلك من قصص حياته مع انّه قد طال عمره في سبيل الله حتى اشتعل رأسه شيباً، وتلك الأمور تؤيّد انّه وأمثاله عليهم السلام كانوا مرسلين إلى قوم وقبيلة أو ملّة ومدينة لم يكن لها نطاق واسع كما لا يخفىٰ.

ثم بعده وارثه إبنه يحيىٰ، وفي نبوّته وشأنه آيات:

١ ـ ﴿فنادته الملائكة وهو قائمٌ يصلّي في المحراب ان الله يبشّرك بيحيىٰ مصدّقاً بكلمةٍ من الله وسيّداً وحصوراً ونبيّاً من الصالحين﴾. (آل عمران [٣] الآية ٣٩)

---

١ ـ ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوّة وآتيناه الحكم صبيّاً﴾. (مريم [١٩] الآية ١٢)

٢ ـ ﴿وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ والياس كلٌّ من الصالحين﴾. (الأنعام[٦]الآية٨٥)

٣ ـ ﴿يا زكريا إنّا نبشّرك بغلامٍ اسمه يحيىٰ لم نجعل له من قبل سمّيا... يا يحيىٰ خذ الكتاب بقوّة وآتيناه الحكم صبيا* وحناناً من لدّنا وزكاة وكان تقيّاً* وبرّاً بوالديه ولم يكن جبّاراً عصّيا* وسلامٌ عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّا﴾. (مريم [١٩] الآيات ٧ ـ ١٥)

٤ ـ ﴿وزكريا إذ نادى ربّه ربِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين* فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه انّهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾. (الأنبياء [٢١] الآية ٨٩ و ٩٠)

تصرح الآيات ـ كما ترى ـ ان يحيىٰ عليه السلام قد أوتي لأبيه زكريا استجابة لدعائه في أن لا يبقىٰ فرداً فبُشّر بغلام اسمه يحيىٰ مصدّقاً بكلمةٍ من الله تعالى لعلّه هو عيسىٰ كلمة اسمه المسيح كما سيأتي وقد وصفه الله تعالى بقوله سيّداً وحصوراً ونبيّاً من الصالحين فهو عليه السلام نبيٌ من الأنبياء بصراحة القرآن وقد خاطبه الله تعالى بقوله يا يحيىٰ خذ الكتاب بقوّة، وآتاه الحكم صبيّا، فهو كان نبيّاً وحاكماً في صباه وكان بِرّاً بوالديه وكان من الخاشعين يدعو الله تعالى رغبةً في نعمه ورهبةً عن غضبه حيث انّه قد ولد بدعاء نبيٍّ كان يطلب من يرث النبوّة والهداية في ذرّية إبراهيم ويعقوب ويرشد عباد الله ويهديهم، فكان حاصل استجابة دعوة ذلك النبيّ المشتعل الرأس شيباً، فكان مصداقاً للطف الله وعنايته في الحكم والكتاب والنبوّة من بدء صباه حتىٰ نهاية حياته، فسلامٌ عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يُبعث حيّا .

ولم يذكر في الآيات وفي القرآن شيء من مطاوي دعوته وقبول قومه أو ردّهم ولا شيئاً من قصص حياته الرسالية ولا جهاده ضد الحُكّام مما ورد في الروايات .

ثم بعد يحيىٰ عليه السلام كلمة الله تعالى وروحه عيسىٰ عليه السلام وفي ولادته وحياته

ونبوّته ورسالته آيات كثيرة كما يلي:

١ ـ ﴿ولقد آتينا موسىٰ الكتاب وقفّينا من بعده بالرسل وآتينا عيسىٰ بن مريم البيّنات وأيدناه بروح القدس...﴾ (البقرة [٢] الآية ٨٧)

٢ ـ ﴿قولوا آمنّا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلىٰ إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب والاسباط وما أُوتي موسىٰ وعيسىٰ وما أُوتي النبيّون من ربّهم لا نفرّق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون﴾. (البقرة [٢] الآية ١٣٦)

٣ ـ ﴿تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسىٰ ابن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس....﴾.

(البقرة [٢] الآية ٢٥٣)

٤ ـ ﴿إذ قالت امرأت عمران ربِّ إنّي نذرتُ لك ما في بطني محرّراً فتقبّل منّي إنّك أنت السميع العليم ❁ فلمّا وضعتها قالت ربِّ إنّي وضعتها أُنثىٰ والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأُنثىٰ وانّي سمّيتها مريم وإنّي أُعيذها بكَ وذرّيتها من الشيطان الرجيم ❁ فتقبلها ربّها بقبول حسنٍ وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلّما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّى لكِ هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾. (آل عمران [٣] الآيات ٣٥ ـ ٣٧)

٥ ـ ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين ❁ يا مريم اقنتي لربّك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾.

(آل عمران [٣] الآية ٤٢ و٤٣)

٦ ـ ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يُبشرك بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسىٰ بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين ❁ ويكلّم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين ❁ قالت ربِّ أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله

يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنّما يقول له كن فيكون* ويعلّمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل* ورسولاً إلى بني إسرائيل انّي قد جئتكم بآيةٍ من ربّكم... إن مثل عيسىٰ عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾.

(آل عمران [٣] ٤٥ ـ ٥٩)

٧ ـ ﴿قل آمنا بالله وما أُنزل علينا وما انزل على إبراهيم وإسمٰعيل وإسـحٰق ويعقوب والأسباط وما أُوتي موسىٰ وعيسىٰ والنبيّون من ربّهم لا نفرّق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون﴾. (آل عمران [٣] الآية ٨٤)

٨ ـ ﴿... وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً* وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شكٍ منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً* بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً... يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق انّما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انّما الله إله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً* لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقرّبون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً﴾. (النساء [٤] الآيات ١٥٦ ـ ١٧٢)

٩ ـ ﴿لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الأرض جميعاً ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كلّ شيءٍ قدير﴾.

(المائدة [٥] الآية ١٧)

١٠ ـ ﴿لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني

إسرائيل اعبدوا الله ربّي وربّكم انّه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنّة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار* لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وان لم ينتهوا عن ما يقولون ليمسنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم... ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمّه صدّيقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبيّن لهم الآيات ثم انظر انّى يؤفكون﴾. (المائدة [٥] الآية ٧٢ ـ ٧٥)

﴿إذ قال الله يا عيسىٰ ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيّدتك بروح القدس تكلّم الناس في المهد وكهلاً وإذ علّمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبيّنات فقال الذين كفروا منهم إنّ هذا إلا سحرٌ مبين * وإذ أوحيت إلى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون* إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربّك أن ينزّل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين* قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين* قال عيسى ابن مريم اللّهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين* قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنّي أُعذبه عذاباً لا أُعذبه أحداً من العالمين * وإذ قال الله يا عيسىٰ ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمّي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انّك أنت علاّم الغيوب * ماقلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربّي وربّكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت علىٰ كلّ شيء شهيد* إن تعذبهم

فإنّهم عبادك وان تغفر لهم فإنّك أنت العزيز الحكيم* قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾. (المائدة [٥] الآيات ١١٠ ـ ١١٩)

١٢ ـ ﴿وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ والياس كلٌّ من الصالحين* واسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضّلنا على العالمين﴾. (الأنعام [٦] الآيتان ٨٥ و ٨٦)

١٣ ـ ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انّى يؤفكون* اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أُمروا إلا ليعبدوا إلٰهاً واحداً لا إله إلّا هو سبحانه عن ما يشركون* يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبىٰ الله إلا أن يتمّ نور ولو كره الكافرون﴾. (التوبة [٩] الآيات ٣٠ ـ ٣٢)

١٤ ـ ﴿وسلامٌ عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّا* واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيا* فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سويا* قالت انّي أعوذ بالرحمٰن منك ان كنت تقيا* قال انّما أنا رسول ربّك لأهب لكِ غلاماً زكيا* قالت أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغيا* قال كذلك قال ربّك هو علي هيّن ولنجعله آية للناس ورحمة منّا وكان أمراً مقضيا* فحملته فانتبذت به مكاناً قصيا* فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكنتُ نسياً منسيا* فناداها من تحتها ألّا تحزني قد جعل ربّك تحتك سريّا* وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليكِ رطبا جنيّا* فكلي واشربي وقرّي عينا فإمّا ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرتُ للرحمٰن صوماً فلن أُكلّم اليوم انسيّا* فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئتِ شيئاً فريّا* يا أُخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أُمّك بغيا* فأشارت إليه قالوا

كيف نكلّم من كان في المهد صبيًا* قال إنّي عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيًا* وجعلني مباركاً أين ما كنتُ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً* وبراً بوالدتي ولم يجعلني جبّاراً شقيًا* والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أُبعث حيا* ذلك عيسىٰ ابن مريم قول الحقّ الذي فيه يمترون﴾. (مريم [١٩] الآيات ١٥ ـ ٣٤)

١٥ ـ ﴿وجعلنا ابن مريم وأُمّه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾.

(المؤمنون [٢٣] الآية ٥٠)

١٦ ـ ﴿وإذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظا﴾. (الاحزاب [٣٣] الآية ٧)

١٧ ـ ﴿شرع لكم من الدين ما وصّىٰ به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ان أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه ....﴾ (الشورىٰ [٤٢] الآية ١٣)

١٨ ـ ﴿ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون* وقالوا ءآلهتنا خيرٌ أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون* إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ... إلى قوله تعالىٰ: ولمّا جاء عيسىٰ بالبيّنات قال قد جئتكم بالحكمة ولأُبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون* ان الله هو ربّي وربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾. (الزخرف [٤٣] الآيات ٥٧ ـ ٦٤)

١٩ ـ ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذرّيتهما النبوّة والكتاب فمنهم مهتدٍ وكثيرٌ منهم فاسقون* ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفّينا بعيسىٰ ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حقّ رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثيرٌ منهم فاسقون﴾. (الحديد [٥٧] الآية ٢٦ و ٢٧)

٢٠ ـ ﴿وإذ قال عيسىٰ ابن مريم يا بني إسرائيل انّي رسول الله إليكم مصدّقاً

لما بين يديَّ من التوراة ومُبشّراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبيّنات قالوا هذا سحرٌ مبين﴾. (الصف [٦١] الآية ٦)

٢١ ـ ﴿يا أيُّها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريّون نحن أنصار الله فآمنت طائفةٌ من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيّدنا الذين آمنوا على عدوّهم فأصبحوا ظاهرين﴾.

(الصف [٦١] الآية ١٤)

٢٢ ـ ﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدّقت بكلمات ربّها وكتبه وكانت من القانتين﴾. (التحريم [٦٦] الآية ١٢)

هذه عمدة الآيات التي وردت في القرآن الكريم حول روح الله تعالى عيسىٰ ابن مريم وامّه .

ومحصّل ما يمكن ان يستفاد منها والله العالم حول نبوّته ورسالته مع ان مَثَله عند الله كمثل آدم في خلقه من غير أب ان عيسىٰ عليه السلام وامّه آيتان فانّ امّه مريم بنت عمران كانت منذورة لأمّها امرأة عمران عندما كانت في بطنها لتكون محرّراً خادماً لمعبد الله تعالى ومسجده الأقصى فلما وضعتها قالت ربِّ أنت أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثىٰ وقد سميت مريم، ومع كونها أنثىٰ تقبّلها ربّها وصارت مستخدمة لمعبد الله تعالى وكفّلها زكريا، وقالت لها ملائكة الله يا مريم ان الله اصطفاكِ وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي واسجدي واركعي مع الراكعين. فاشتغلت بعبادة الله، وكلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّى لكِ هذا قالت هو من عند الله، حتى بلغت رشدها فقالت لها الملائكة يا مريم ان الله يبشّرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسىٰ بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين ويكلّم الناس في المهد وكهلاً. قالت ربِّ انّى يكون لي ولد ولم يمسسني

بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء، فإذا انتبذت من أهلها مكاناً شرقيا أُرسل إليها روح الله وتمثّل لها بشراً فلمّا رأته قالت أعوذ بالرحمن منك قال انّما أنا رسول ربّك لأهب لكِ غلاماً زكيّاً طاهراً قالت انّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر قال ذلك هين على ربّك أراد الله ان يجعله آية للناس، فإذا جاءها المخاض آوت إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مِتُ قبل هذا وكنتُ نسياً منسياً فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربّك تحتك سريا وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليكِ رطباً جنيا فكلي واشربي وقرّي عينا بولدك آية الله وروحه واما ترين بشراً وسألوك فقولي إنّي بنذرتُ للرحمٰن صوماً، وعندئذٍ أشارت إلى ولده قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبيا، فتكلّم روح الله وقال إنّي عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حيا وبراً بوالدتي ولم يجعلني جبّاراً شقيا .

فتَبيّن الآيات أولاً انّه آية من الله تعالى يتكلّم في المهد صبيا وتصرّح بنُبوّته ويكونه مباركاً طيّباً ولم يذكر إلا البر بوالدته أي لم يكن له والد وأكد ذلك بأن الله تعالى لم يجعله جبّاراً شقياً وان عليه السلامُ من أوّل يوم ميلاده إلى يوم الموت والبعث .

وجعل الله تعالى تلك الكلمة وروحه نبيّاً ورسولاً وآتاه ما أُوتي النبيّون من البيّنات وأيّده بروح القدس وأخذ منه الميثاق الغليظ كما أخذ من النبيّين وأوحى إليه أن يُقيم الدين وآتاه الإنجيل وجعل في قلوب الذين اتبعوه رأفةً ورحمة.

فقال عيسىٰ بن مريم لبني إسرائيل يا بني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم مصدّقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد وجاءهم بالبيّنات من خلقه من الطين كهيئة الطير ونفخه فيها فتكون طيراً بإذن الله ومن ابرائه الأكمه والأبرص بإذن الله وإحيائه الموتى بإذن الله فقال الذين كفروا من بني إسرائيل ان هذا

إلا سحرٌ مبين كما كانوا يقولون لسائر الأنبياء عليهم السلام وقبال المعجزات .

وقد آمن به جمع من الحواريين وقالوا آمنا بالله واشهد باننا مسلمون وكأنهم أرادوا أن يمتحنوه فقالوا هل يستطيع ربّك أن ينزل علينا مائدة من السماء فقال لهم اتقوا الله ولا تسألوا مثل هذه الأمور والله تعالى قادر على كلّ شيء قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين، فدعا عيسى بن مريم ربّه وقال: اللّهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآيةً منك، فقال الله تعالى اني منزلها عليكم تتميماً للحجّة على الحواريين وعلى بني إسرائيل ولكن فمن كفر بعد ذلك فإنّي أعذّبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وهو أشدّ العذاب. وعندما أنزلت عليهم المائدة ورأوا تلك الآيات اشتدّ ايمانهم به حتىٰ قالوا في حقّه زائداً على انّه رسول الله ونبيّه وروحه انّه ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله واشتد ذلك إلى ان اتخذوا الاحبار والرهبان وعيسى بن مريم أرباباً مع انّهم ما أمروا إلا ليعبدوا الله سبحانه، واشتهرت تلك التعابير بينهم إلى أن قال الله تعالىٰ تبييناً لزلّة النصارى والأحبار والرهبان وتوضيحاً لبطلان ما قالوا خطاباً لعيسىٰ ابن مريم: أأنت قلت للناس ان اتخذوني وأمّي إلهين من دون الله؟ فقال عيسىٰ سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، وذلك تصريح من نفس القدس روح الله عيسى بن مريم ان اتخاذي إلهاً وربّاً ليس بحق وهو بنفسه يقول ويصرّح بأن ذلك باطل ليس بحق، فكيف يقبل عن الرهبان والأحبار، ثم أكّد بانّي ما قلتُ لهم إلا ما أمرتني به. وهو : ان اعبدوا الله ربّي وربكم، فأمرت الناس بعبادة الله تعالى الذي هو ربّي وربّ الناس، وتلك مقالة عيسى ابن مريم عليه السلام فكيف يصحّ أن يُتخذ ربّاً على خلاف صراحة مقالته ثم طلب من الله تعالى أن يغفر لهم هذا الذنب وان يهديهم الصراط المستقيم وقال ان تعذبهم فانّهم عبادك وان تغفر لهم فإنّك أنت العزيز الحكيم ولعلّه

أراد ان العذاب منك لعبادك غير متوقّع عنك وان العذاب لاعداء الله لا لعباده .

وكيف كان فانه بعد ذلك جاءتهم البيّنات وقال لهم عيسىٰ قد جئتكم بالحكمة ولأُبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان اللـه هـو ربّـي وربّكـم فاعبدوه هذا صراط مستقيم و... فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة أُخرىٰ فأيّد الله تعالى الذين آمنوا على عدوّهم الذين كفروا فأصبحوا ظاهرين فاتحين.

ولكن في ختام الأمر همّ الأعداء على قتله، وكان قتل الأنبياء بين بني إسرائيل شائعاً ويسيراً حتىٰ أصبحوا بعد قتل عدّة منهم عـاشقين ذلك مسـرفين فـيه وكأن حادثة لم تحدث وكانت قلوبهم كالحجارة أو أشدّ قسوة.

فاجتمعوا على قتله على الصليب فرفعه الله تعالى إليه انّه عزيزٌ حكيم، وشبه لهم الأمر وما قتلوه وما صلبوه واختلفوا فيه ومالهم به من علم إلا اتّباع الظنّ وما قتلوه يقيناً...

هذه عصارة ما يستفاد من ناحية نبوّته عليه السلام مع ما في الآيات الواردة في شأنه من مباحث عالية عديدة ذكرت في التفاسير المعروفة فراجع .

وما لا ينبغي أن ننساه انّه لا غرو من رفع الله تعالى عيسى ابن مريم عندما أرادوا قتله صلباً فإن جثّته من ناحية امّه كانت تتغذىٰ مما وجدها زكريا عندها كلّما دخل عليها المحراب. فإن الرزق ذلك لم يكن مرةً أو مرّات، بل كلّما دخل عليها المحراب ولم يكن الرزق ذلك إلا من عند الله تعالى لا من الأطعمة العادية المتعارفة التي كانت تأكلها غيرها من النساء فإنّه لو كان كذلك ماكان وجه للسؤال فجسمها وجثتها كانت طيبةً ناشئة من تلك الأطعمة والأرزاق من عند الله وعندما أراد الله خلق عيسىٰ مثل لها علىٰ هيئة بشر من وهبها من روح الله عيسى ابن مريم ونشأ في رحمها شيئاً فشيئاً حتىٰ إذا جاءها المخاض سمعت ما سمعت من الأمر ﴿هزي إليك بجذع النـخل

تساقط عليك رطباً جنيا﴾.

فحقيقة روح الله عيسىٰ ابن مريم كان إلهيّاً فهو آيةٌ من الله وأُمه آية نزّله الله ورفعه كما صرّحت بذلك الآيات.

ثم بعد عيسىٰ بن مريم عليه‌السلام خاتم الأنبياء محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله من ذريّة إبراهيم من نسل اسمٰعيل عبر ثمانية وعشرين من الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهرة، وكأنّه أوّل الأنبياء وآخرهم، وبلسان الأدعية المأثورة: تمام الأنبياء.

وسائر الأنبياء الذين عرفتهم فيما ذكرنا كانوا من ذريّة إبراهيم من نسل اسحٰق ويعقوب؛ ولعل ذلك معنى الاخوّة الواردة في كلام نبيّنا: إن أخي موسىٰ وأخي عيسىٰ كانا كذا وكذا، دون الأخوة في النبوة.

وكيف كان، فالقرآن الكريم كلّه في شأن هذا النبي الأعظم والرسول الخاتم، وهو إعجازه الخالد بما ورد فيه من الانشاءات والقصص والأوامر والنواهي، ولاسيما ببيان معارفه وتبيين حقائق الخلق ونظام عالم الوجود والكون، وهو كتاب تدويني ينطبق على الكتاب التكويني؛ مكنون فيه، لا يمسّه إلّا المطهرون، مستور بحقيقته في عمق الكون لا يناله المشوب بالحدود والكون المحدود من الموجودات التي تكون ذوات مهيّات. ولابد من التطهر عن لوثها حتى يتمكن من القرب أو الوصول إلى ذلك المستور المكنون فيتحسس ويستمع ما في مكنون الوجود. ثم أنزله الله ـ تعالىٰ ـ من ذلك المستوى الرفيع إلى كلمات وألفاظ يمكن أن تُسمع ويُفهم منه بقدر الوسع[1].

وكيف كان، فلنشر الى شطر من الآيات الواردة في بعض شؤون النبي الخاتم صلى‌الله‌عليه‌وآله على طريقة ما عملنا في سائر الأنبياء عليهم‌السلام، مقسمين تلك الآيات ـ على

---

١ ـ وقد أشرنا إلى ذلك في مقدمة تفسيرنا لسورة التوحيد المباركة المطبوعة سنة ١٣٧٣هـ.ش.

كثرتها ـ إلى أقسام حسب ما يُفهم من ظواهرها:

١ ـ فمنها ما يشير إلى حياة النبي الأعظم ويُنبّه على ما كان عليه من مراحل الحياة وتطورات العيش من السالف الى أن شرح الله صدره وبعثه نبيّاً ورفع ذكره ووضع عنه وزره.

٢ ـ ومنها ما يأمره بأن يكلّم الناس ويحادثهم ويقول لهم أو للذين آمنوا أو لمن معه، فيخاطبه بقوله تعالى قل كذا وكذا، وهي كثيرة.

٣ ـ ومنها ما يأمره أن يجيب من يسأله ويستفتيه بلسان يسألونك عن كذا ويستفتونك عن كذا أو إذا سألك عبادي عن كذا فقل لهم جواباً كذا وكذا.

٤ ـ ومنها الأوامر والنواهي البدوية خطاباً إليه أو بعد خطابه بقوله: يا أيها الرسول، يا أيها النبي، يا أيّها المزّمل، يا أيها المدّثر و... .

٥ ـ ومنها ما يخاطب الذين آمنوا ويأمرهم أو ينهاهم عن أمورٍ راجعةٍ الى الرسول الأعظم والنبي الخاتم صلى الله عليه وآله وغيرها من الأقسام، ومناسبات شتىٰ.

وحيث أنّ تلاوة تلك الآيات بأنفسها مع أنها متفرقة في سور القرآن الكريم أهدى للإنسان إلى ما تهدفه من تبيين نبوّة هذا النبي الأعظم وشؤونها، ولكن على نطاق ما تحدثنا معك في سائر الأنبياء بلسان الآيات، نتحدث تلخيصاً في تلك الأقسام بشيء منها حفظاً علىٰ سيرتنا في هذا الأمر.

فمن القسم الأول تقول الآيات: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوىٰ﴾[1]، فإنه صلى الله عليه وآله فقد أباه وهو في بطن أمّه ـ أو كان ذا شهرين في قول أصح ـ فآواه الله تعالى بولاية جدّه (عبد المطلب) وقد كفله حقّ الكفالة في حياة أُمه إلى سنين، وبعد وفاتها وهو في السادسة من عمره الشريف، وقد أرشده الله تعالى إلى الحقّ في مثل تلك الأجواء

---

١ ـ الضحى [٩٣] الآية ٦.

الحاكمة على مدينته وبلدته وعالمه؛ المظلمة الظالمة، فصار ذا خُلقٍ عظيم ووصِفَ بالأمين واشتهر بالأوصاف العالية، وهو بين أقرانه وذوي رحمه، يُنظر إليه بوجهٍ خاص. وهذه الهداية من الضلالة الحاكمة على عامة الناس غير ضلالة الفرد من الايمان؛ ولعل ذلك معنى قوله تعالى: ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾[1].

كما انّه تعالى وجده عائلاً في عيشته فأغناه لاسيما بعد زواجه من خديجة عليها السلام، وكانت امرأةً مؤمنة ذات ثروة كثيرة جعلت تلك الأموال في اختياره قبل البعثة وبعدها. وشكراً لهذه النِعم، نهاه عن قهر اليتيم ونهر السائل وأمره بالتحدّث عن النعم وتذكرها لنفسه ولغيره.

ثم بعدما حان الحين وآن الوقت المبين لانبعاثه إلى شريعة الاسلام أمره الله تعالى أن يقرأ باسم ربه الذي خلق؛ خلق الإنسان من علق وخاطبه بقوله: ﴿يا أيها المدّثر* قم فأنذر* وربّك فكبّر* وثيابك فطهّر* والرجز فاهجر﴾[2] وأمره أن يُنذر عشيرته الأقربين، وبذلك ابتدأت مشاكله في طريق رسالته، فقص الله تعالى عليه القصص من الأنبياء والأُمم السالفة تثبيتاً لقلبه، وتبييناً لطبيعة الأمر وتهيئة لتحملها وتسهيلها على نفسه سيما بقراءة القرآن ومناجاة الربّ في منتصف الليل وحدوده، فخاطبه، وقال: ﴿يا أيها المزمل* قم الليل إلا قليلا* نصفه أو انقص منه قليلا* أو زد عليه ورتّل القرآن ترتيلا* انّا سنلقي عليك قولاً ثقيلا* ان ناشئة الليل هي أشدّ وطئاً وأقوم قيلا* ان لك في النهار سبحاً طويلاً* واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا...﴾[3].

فأمره الله تعالى أن يبيّن للناس أُصول معارفه وأُسس اعتقاداته وما بعث اليه

---

١ ـ الضحى [٩٣] الآية ٧.
٢ ـ المدّثر [٧٤] الآيات ١ ـ ٥.
٣ ـ المزمل [٧٣] الآيات ١ ـ ٨.

فيها ومن أهمّ تلك الأُصول وأعظمها وأول ما كان الأنبياء جميعاً يدعون الناس إليه وهو التوحيد بأدقّ معانيه وأسهل الألفاظ؛ فقال تعالىٰ:

١ ـ ﴿قل هو اللّهُ أحد* اللهُ الصَّمد* لم يَلِدْ وَلم يُولَدْ* ولم يكـن له كـفواً أحد﴾. (الاخلاص [١١٢] الآيات ١ ـ ٤)

فبيّن لهم أنه الأحد الفرد الصمد؛ فانّه أدقّ من واحد حتى يتصور أنه ثبت له الوحدة بل هو نفس الوحدة الحقّة الحقيقية، ولذلك هو الصمد، فإن الصُمود عين حقيقة الوحدة الحقّة دون الوحدة العددية المفهومية الرياضية، أو ما عرضه الوحدة الهندسية أو غير ذلك. وحيث انّه حقيقة الأحدية وذاته الصمود، فلم ولن يـعرض عليه التوالد والتجزئة كما لا يمكن أن تتولد تلك الحقيقة من شيء، فانه لو أمكن ذلك كان معرّضاً للتأثير والتأثر. وما يتأثر من شيء فالمؤثر فيه الأقوى والأحق حتى ينتهي إلى ما لا يتأثر في ذاته، فلم يلد ولم يولد. والحقيقة الحقّة الى نفسه الصمود والوحدة وحقيقة الوجود والعينية، الذي لم يعرض عليه التأثر والعلّة، فلم يكن له مثل وكفوٌ فهو أحد، والأحد ليس إلا أحد، وليس كمثله شيء، وقد فُسر في كتب التـفسير بتفصيل فراجع.

٢ ـ ﴿قل اللّهم مالك المُلكِ تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء...﴾ (آل عمران [٣] الآية ١ و ٢).

تؤكد الآية على التوحيد والأحدية وأنّ المُلك والقدرة والسلطة على الإطلاق مملوكة له ولا يحتاج ذلك الى الاستدلال، فإن الوحـدة الحـقّة الحـقيقية والعـينية المطلقة التي لا سبيل لشيء من الحد والنقص والضعف إليها فذاتها القدرة والملك وحقيقتها السلطنة والقدرة لا أن لها القدرة، فهو تعالىٰ مالك المُلك ومقتضى ذلك أنّ بيده العزّة والذلّة وبيده الخير كله.

٣ ـ ﴿قل لمن ما في السمٰوات والأرض قل لله...﴾ (الأنعام [٦] الآية ١٣).

تأكّد بالسؤال ما قال أوّلاً من انّه تعالى هو الواحد الأحد، فإن كلّ انسان إذا سئل عن ما في السمٰوات والأرض أو لمن السمٰوات والأرض لابد وأن يُجيب: لمن خلقهن، والله تعالى هو الخالق لكلّ شيء.

٤ ـ ﴿قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرّاً ولا نفعاً والله هو السميع العليم﴾ (المائدة [٥] الآية ٧٦).

فيؤكد البحث وينبعث فطرة الناس الى تحقيق ما يعبدون وأنه لا يحقّ ذلك إلّا لله فيسألون عمّا يعبدون من الأصنام وغير الله وانها لا تملك لكم ضرّاً ولا نفعاً. وما لا أثر له في حياتكم ووجودكم ومنافعكم ومضاركم فكيف تعبدونه؟ وكل انسان اذا سأل نفسه عن ذلك فسينتهي الى بطلان عبادة غير الله تعالىٰ .

﴿قل أرأيتكم إنْ أتاكم عذابُ الله أو أتتْكم الساعةُ أغير اللهِ تدعون إن كنتم صادقين﴾. (الأنعام [٦] الآية ٤٠)

﴿قل أرأيتم إنْ أخذ اللهُ سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم مَنْ إلٰهٌ غير اللّهِ يأتيكم به...﴾. (الأنعام [٦] الآية ٤٦)

﴿قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرّنا...﴾. (الأنعام [٦] الآية ٧١)

﴿قل أغير الله أبغي رباً وهو ربّ كلّ شيء...﴾. (الأنعام [٦] الآية ١٦٤)

وفي بحث التوحيد في هذا السياق وما يشابهه آيات كثيرة بلسان قل وقل وقل فراجعها.

وفي بحث النبوّة :

﴿قل انّما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليّ انّما إلٰهكم إله واحد...﴾.

(الكهف [١٨] الآية ١١٠)

﴿قل يا أيها الناس انّما أنا لكم نذيرٌ مبين﴾. (الحج [٢٢] الآية ٤٩)

﴿قل انما أنذركم بالوحي...﴾. (الأنبياء [٢١] الآية ٤٥)

﴿قل إنّما يوحىٰ إليّ انما إلٰهكم إلٰهٌ واحد فهل أنتم مسلمون﴾.

(الأنبياء [٢١] الآية ١٠٨)

﴿قل يا أيُّها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً...﴾. (الأعراف [٧] الآية ١٥٨)

﴿قل ما أسألكم عليه من أجر إلّا من شاء أن يتخذ إلى ربّه سبيلا﴾.

(الفرقان [٢٥] الآية ٥٧)

﴿قل ما سألتكم من أجرٍ فهو لكم إنْ أجري إلّا على الله...﴾. (سبا [٣٤] الآية ٤٨)

﴿قل إنْ ضللت فإنّما أضل على نفسي وإن اهتديتُ فبما يوحى إليّ ربي...﴾.

(سبا [٣٤] الآية ٥٠)

﴿قل إنّما أعظكم بواحدةٍ أن تقوموا لله مثنىٰ وفرادىٰ ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنّة إنْ هو إلّا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾. (سبا [٣٤] الآية ٤٦)

﴿قل إنّما العلم عند الله وإنّما أنا نذير مبين﴾. (الملك [٦٧] الآية ٢٦)

﴿قل إنّما أدعو ربي ولا أُشرك به أحدا﴾. (الجن [٧٢] الآية ٢٠)

وفي هذا السياق «قل وقل وقل» للناس إني بشرٌ رسولٌ إليكم من الله تعالى لأنذركم، وقد أوحي إليّ، ما أقول لكم من تلقاء نفسي ولا أسألكم على هذه الرسالة أجراً، إن أجري إلّا على الله، فتتفكّروا في ما تنسبون لي من الضلالة وأنّ بي جنّة فتعلمون ان ما بصاحبكم من جنّة. وكيف كان فاني أعبد ربي ولا أُشرك به أحداً، وقل يا أيها الكافرون الآيات .

وفي مسألة المعاد والقيامة:

﴿قُل للذين كفروا ستُغلبون وتُحشرون إلى جهنم وبئس المهاد﴾.

(آل عمران [٣] الآية ١٢)

﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾. (آل عمران [٣] الآية ١٥)

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾. (التوبة [٩] الآية ١٠٥)

﴿قل كونوا حجارة أو حديداً * أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أوّل مرّة...﴾. (الاسراء [١٧] الآية ٥٠ و ٥١)

﴿قل لكم ميعاد يومٍ لا تستأخرون عنه ساعةً ولا تستقدمون﴾.

(سبا [٣٤] الآية ٣٠)

﴿قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تُحشرون﴾. (الملك [٦٧] الآية ٢٤)

﴿قل إن أدري أقريبٌ ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا﴾. (الجن [٧٢] الآية ٢٥)

﴿قل اني أخاف إنْ عصيت ربي عذاب يومٍ عظيم﴾. (الأنعام [٦] الآية ١٥)

ومحصل المقال ـ والله العالم ـ ان الله قد ذرأكم في الأرض وخلقكم وجعل لكم الأرض مهاداً، اعملوا ما شئتم، سيرىٰ الله عملكم، وستردون إليه فينبئكم بما كنتم تعملون، ولكم ميعاد ذلك اليوم لا تستأخرون ولا تستقدمون، والذي فطركم أوّل مرّة هو القادر على ذلك، وليس عليه بعزيز وإن تكونوا حجارة أو حديداً، أو أشدّ منهما مما عندكم، ولا أدري انه في أي وقت تحديداً حتى أقول انّه قريب أو بعيد، ولكن أُنبئكم بأن الكافرين يُحشرون إلى جهنم وأنّ الذين اتقوا لهم عند ربهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار وتفصيل مقال الآيات في بحث المعاد إن شاء الله.

وبهذا السياق وردت آيات كثيرة في غير الأصول من المعارف والأحكام؛ نشير

إلى شطر منها:

﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله...﴾. (آل عمران [٣] الآية ٢٩)

﴿قل إنْ كنتم تحبون الله فاتّبعوني يحببكم الله...﴾. (آل عمران [٣] الآية ٣١)

﴿قل أطيعوا اللهَ والرسولَ فإنْ تولّوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾.

(آل عمران [٣] الآية ٣٢)

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم...﴾. (آل عمران [٣] الآية ٦٤)

﴿قل آمنا بالله وما أُنزل علينا وما أُنزل على إبراهيم واسماعيل...﴾.

(آل عمران [٣] الآية ٨٤)

﴿قل يا أهل الكتاب لِمَ تكفرون بآيات الله والله شهيدٌ على ما تعملون﴾.

(آل عمران [٣] الآية ٩٨)

﴿قل يا أهل الكتاب لِمَ تصُدّون عن سبيل الله...﴾. (آل عمران [٣] الآية ٩٩)

﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منّا إلّا أنْ آمنّا بالله...﴾. (المائدة [٥] الآية ٥٩)

﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربكم...﴾. (المائدة [٥] الآية ٦٨)

﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق...﴾. (المائدة [٥] الآية ٧٧)

﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب...﴾. (المائدة [٥] الآية ١٠٠)

﴿قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾.

(الأنعام [٦] الآية ١١)

﴿قل أي شيء أكبر شهادةً قل الله شهيد بيني وبينكم وأُوحي إليّ هذا القرآن لأُنذركم به ومن بلَغ...﴾. (الأنعام [٦] الآية ١٩)

﴿قل أرأيتم إنْ أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم مَنْ إلهٌ غير الله

يأتيكم به...﴾. (الأنعام [٦] الآية ٤٦)

﴿قل أرَءيتكم إنْ أتاكم عذابُ الله بغتة أو جهرة هل يُهلك إلّا القوم الظالمون﴾.

(الأنعام [٦] الآية ٤٧)

﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب...﴾. (الأنعام [٦] الآية ٥٠)

﴿قل إني نُهيتُ أنْ أعبدَ الذين تدعون من دون الله...﴾. (الأنعام [٦] الآية ٥٦)

﴿قل إني على بيّنةٍ من ربي...﴾. (الأنعام [٦] الآية ٥٧)

﴿قل لو أنّ عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين﴾. (الأنعام [٦] الآية ٥٨)

﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر...﴾. (الأنعام [٦] الآية ٦٣)

﴿قل الله ينجيكم منها ومن كلّ كرب ثم أنتم تشركون﴾. (الأنعام [٦] الآية ٦٤)

﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم...﴾. (الأنعام [٦] الآية ٦٥)

﴿قل لا أجد في ما أُوحي إليّ محرماً على طاعم يطعمه...﴾.

(الأنعام [٦] الآية ١٤٥)

﴿قل فللّه الحجّة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾. (الأنعام [٦] الآية ١٤٩)

﴿قل هلمّ شهداءكم الذين يشهدون أنّ الله حرّم هذا...﴾. (الأنعام [٦] الآية ١٥٠)

﴿قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربّكم عليكم...﴾. (الأنعام [٦] الآية ١٥١)

﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم...﴾. (الأنعام [٦] الآية ١٦١)

﴿قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للّه ربّ العالمين﴾.

(الأنعام [٦] الآية ١٦٢)

﴿... قل إنّ الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾.

(الأعراف [٧] الآية ٢٨)

﴿قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كلّ مسجد...﴾.

(الأعراف[٧] الآية ٢٩)

﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً إلّا ما شاء الله...﴾. (الأعراف[٧] الآية ١٨٨)

في هذا السياق آيات كثيرة تزيد عن تسع وسبعين آية زائداً على ما سمعت.

وأنت ترىٰ في مضامين الآيات مسائل كثيرة أمر الله تعالى نبيّه أن يقولها للناس ولأهل الكتاب؛ من علم الله تعالى بكلّ شيء وإن كان مما يخفون في صدورهم، ومن لزوم اتباعه وإطاعته، ومن دعوة أهل الكتاب إلى كلمة سواء من التوحيد، وما دعا إليه الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين أنهم ليسوا على شيءٍ ما لم يقيموا كتب الله تعالى من التوراة والإنجيل والقرآن الذي أُنزل إليه، ومن أن الله تعالى هو القادر المتعال الشاهد على الحق، ولا قدرة لغيره تعالى لدفع الكرب إذا نزل عليهم، والنبي ﷺ على بيّنة من ربّه، نُهي أن يعبد غير الحقّ الله تعالى وهُدي إلى صراط مستقيم، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً إلّا أن يشاء الله تعالىٰ. إلى غير ذلك من الأحكام ومما تجده في متون الآيات بالمراجعة اليها.

ومما ينبغي أن لا يخفىٰ عليك أن قول الله تعالى هو نفس المقال قل كذا أو كذا، لا ما بعد كلمة قل بأن يكون الخطاب إلى النبي ﷺ أن يقول بما بعد قل، من أن الله تعالى أحد مثلاً فان نفس كلمة (قل) أيضاً من مقالة الله تعالى يقوله النبي في جميع الآيات، كما هو ظاهر وفصّل ذلك في التفاسير.

ثم بعد سياق الأمر بكلمة (قل) تجد كثيراً مما أمر الله تعالى نبيّه أن يجيب عن أسئلة الناس ويُفتيهم استفتاءاتهم أو يُنبئهم استنباءاتهم؛ نشير إلى شطرٍ منها أيضاً:

﴿وإذا سألك عبادي عنّي فإني قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعانِ...﴾.

(البقرة [٢] الآية ١٨٦)

﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس...﴾. (البقرة [٢] ١٨٩)
﴿يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير...﴾. (البقرة [٢] الآية ٢١٥)
﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتال فيه كبير...﴾. (البقرة [٢] الآية ٢١٧)
﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير...﴾. (البقرة [٢] الآية ٢١٩)
﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذىً...﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٢٢)
﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن...﴾. (النساء [٤] الآية ١٢٧)
﴿يسألك أهل الكتاب أن تُنزِّل عليهم كتاباً من السماء...﴾. (النساء [٤] الآية ١٥٣)
﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة...﴾. (النساء [٤] الآية ١٧٦)
﴿يسألونك ماذا أُحِلَّ لهم قل أُحِلَّ لكم الطيبات...﴾. (المائدة [٥] الآية ٤)
﴿يسألونك عن الساعة أيّان مرسٰها قل إنّما علمها عند ربي...﴾.
(الأعراف [٧] الآية ١٨٧)
﴿يسألونك كأنّك حفيٌّ عنها قل إنّما علمها عند الله...﴾. (الأعراف [٧] الآية ١٨٧)
﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول...﴾. (الأنفال [٨] الآية ١)
﴿ويستنبئونك أحقٌّ هو قل اي وربّي إنّه لحق...﴾. (يونس [١٠] الآية ٥٣)
﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي...﴾. (الاسراء [١٧] الآية ٨٥)
﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً﴾. (الكهف [١٨] الآية ٨٣)
﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا﴾. (طه [٢٠] الآية ١٠٥)
﴿يسألك الناس عن الساعة قل انّما علمها عند الله...﴾. (الأحزاب [٣٣] الآية ٦٣)
﴿يسألون أيّان يوم الدين * يوم هم على النار يفتنون﴾. (الذاريات [٥١] الآية ١٢ و١٣)
﴿يسألونك عن الساعة أيّان مرسٰها﴾. (النازعات [٧٩] الآية ٤٢)

ومن المعلوم أنّ السؤال قد يكون لتبيّن الجواب والعلم بالحق الواقع، فلابد أن

يكون السائل معتقداً بصدق المسؤول عنه وعلمه وأمانته، كما في كثير من تلك الموارد، وقد يكون عن تعجب وإنكار فكأنّ السائل لايريد الجواب بل يعتقد بامتناع الشيء وعدم امكان تحققه فيسأل يعني انه لا يقع وليس بواقع كما في بعض تلك الأسئلة، والله تعالى يقول أوّلاً خطاباً لرسوله ونبيه صلى الله عليه وآله إذا سألك عبادي عنّي فإني قريب أجيب دعوة الداع، فقل لهم إنّه قريب مجيب ادعوه تضرّعاً وخفية واعلموا أنه لا يخفى عليه شيء، وما يعبأ بكم لولا دعاؤكم، فادعو الله تعالى في أي زمان ومكان أردتم نداءه ودعاءه، فهو قريب أقرب اليكم من حبل الوريد.

قال الحسين بن علي عليه السلام : «متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدلّ عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصلني إليك عميت عين لا تراك عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً...» (دعاؤه عليه السلام يوم عرفة).

ثم ارشد الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله حتى يجيب عن الأسئلة؛ مثلاً عن الأهلة قل هي مواقيت للناس، وعن الشهر الحرام: قل قتال فيه كبير، إلى قوله جواباً عن سؤالهم عن القيامة: قل علمها عند ربّي، فارجع إلى الآيات مرّة أُخرىٰ، وأعد النظر اليها تجدها ترشد النبي لإجابة الناس في أسئلتهم في الأحكام الشرعية وغيرها من الأنفال والأموال وعن الروح التي هي من أمر الربّ تعالىٰ.

ثم بعد سياق (قل) ابتداءً أو بعد سؤال الناس واستفتائهم يتحول سياق الخطاب الى النبي وأمره ببيان شيء بعد قوله: يا أيها النبي، يا أيها الرسول و...؛ نشير الى شطر منها:

﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم...﴾. (المائدة [٥] الآية ٤١)

﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل اليك من ربّك...﴾. (المائدة [٥] الآية ٦٧)

﴿يا أيّها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾. (الأنفال [٨] الآية ٦٤)

﴿يا أيّها النبي حرّض المؤمنين على القتال...﴾. (الأنفال [٨] الآية ٦٥)

﴿يا أيّها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرىٰ...﴾. (الانفال [٨] الآية ٧٠)

﴿يا أيّها النبيّ اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين...﴾. (الأحزاب[٣٣] الآية ١)

﴿يا أيّها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا...﴾.

(الأحزاب [٣٣] الآية ٢٨)

﴿يا أيّها النبي إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾. (الأحزاب[٣٣] الآية ٤٥)

﴿يا أيّها النبي إنّا أحللنا لك أزواجك اللآتي آتيت أُجورهن...﴾.

(الأحزاب [٣٣] الآية ٥٠)

﴿يا أيّها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين...﴾. (الأحزاب[٣٣] الآية ٥٩)

﴿يا أيّها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله...﴾.

(الممتحنة [٦٠] الآية ١٢)

﴿يا أيّها النبي إذا طلّقتم النساء فطلقوهن لعدّتهن...﴾. (الطلاق [٦٥] الآية ١)

﴿يا أيّها النبي لِمَ تُحرّم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضات أزواجك...﴾.

(التحريم [٦٦] الآية ١)

﴿يا أيّها النبي جاهد الكفّار والمنافقين واغلظ عليهم...﴾. (التحريم[٦٦] الآية ٩)

وأنت ترى في جميع تلك الخطابات أنّ الله تعالى يحمي نبيّه ويقويه ويأمره بإبلاغ ما أُمر به من غير خوف من الناس، والله تعالى يعصمه ويقول له حسبك الله تعالى في جميع المراحل والذين آمنوا معك واتبعوك، فجاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم، فانّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وكذلك بيّن الله تعالى أحكاماً في الجهاد وكيفية التعامل مع الأسرىٰ وأحكاماً راجعة إلى أزواجه صلى الله عليه وآله ونساء المؤمنين

وغير ذلك ممّا صرّحت به الآيات، وفصلناها في كتابنا (فقه القرآن)، وليس هنا محلّ الكلام عنها.

ثم بعد سياق (قل) ابتداء أو بعد يسألونك وسياق الخطاب بما عرفت تجد كثيراً من الآيات تأمر رسول الله ﷺ بشيء وتنهاه عن شيء؛ نشير إلى بعضٍ منها:

﴿قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام...﴾. (البقرة [٢] الآية ١٤٤)

﴿ولئن أتيت الذين أُوتوا الكتاب بكلّ آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنّك إذاً لمن الظالمين﴾. (البقرة [٢] الآية ١٤٥)

﴿يا أيّها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر...﴾. (المائدة [٥] الآية ٤١)

﴿وانزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عمّا جاءك من الحق وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك...﴾. (المائدة[٥] الآيتان ٤٨ و ٤٩)

﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء...﴾. (الأنعام [٦] الآية ٥٢)

﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة...﴾. (الأنعام [٦] الآية ٥٤)

﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره وإمّا يُنسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرىٰ مع القوم الظالمين﴾.

(الأنعام [٦] الآية ٦٨)

﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرّتهم الحياة الدّنيا وذكّر به...﴾.

(الأنعام [٦] الآية ٧٠)

﴿اتّبع ما أُوحي إليك من ربك لا إله إلّا هو واعرض عن المشركين﴾.

(الأنعام [٦] الآية ١٠٦)

﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾. (الأعراف [٧] الآية ١٧٥)

﴿خُذِ العفو وأْمر بالعُرف وأعرض عن الجاهلين﴾. (الأعراف [٧] الآية ١٩٩)

﴿وإمّا ينزغنك من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله إنّه سميع عليم﴾.

(الأعراف [٧] الآية ٢٠٠)

﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدوّ والأصال ولا تكن من الغافلين﴾. (الأعراف [٧] الآية ٢٠٥)

﴿وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكّل على الله انّه هو السميع العليم﴾.

(الأنفال [٨] الآية ٦١)

﴿يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال...﴾. (الأنفال [٨] الآية ٦٥)

﴿وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجِرْه حتى يسمع كلام الله ثم أبْلِغه مأْمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾. (التوبة [٩] الآية ٦)

﴿عفا الله عنك لِمَ أذِنت لهم حتى يتبيّن لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾.

(التوبة [٩] الآية ٤٣)

﴿ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنّهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾. (التوبة [٩] الآية ٨٤)

﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنّما يريد الله أن يعذّبهم بها في الدنيا وتزهق

أنفسهم وهم كافرون﴾. (التوبة [٩] الآية ٨٥)

﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾. (التوبة [٩] الآية ١٠٣)

﴿لا تقم فيه أبداً لمسجد أُسّس على التقوىٰ من أوّل يوم أحقّ أن تقوم فيه...﴾. (التوبة [٩] الآية ١٠٨)

﴿ولا يحزنك قولهم إنّ العزّة لله جميعاً هو السميع العليم﴾.(يونس[١٠]الآية٦٥)

﴿واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم...﴾. (يونس [١٠] الآية ٧١)

﴿واتبع ما يوحى إليك واصبر حتىٰ يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾.

(يونس [١٠] الآية ١٠٩)

﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائقٌ به صدرك...﴾. (هود [١١] الآية ١٢)

﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إنّ العاقبة للمتقين﴾. (هود [١١] الآية ٤٩)

﴿فلا تك في مرية ممّا يعبد هؤلاء ما يعبدون إلّا كما يعبد آباؤهم...﴾.

(هود [١١] الآية ١٠٩)

﴿فاستقم كما أُمرت ومن تاب معك ولا تطغَوا إنّه بما تعلمون بصير﴾.

(هود [١١] الآية ١١٢)

﴿وأنذِر الناسَ يوم يأتيهم العذاب...﴾. (ابراهيم [١٤] الآية ٤٤)

﴿ولا تمدنّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين﴾. (الحجر [١٥] الآية ٨٨)

﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾. (الحجر [١٥] الآية ٩٤)

﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين* واعبد ربك حتىٰ يأتيك اليقين﴾.
(الحجر [١٥] الآيتان ٩٨ و ٩٩)

﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾. (النحل [١٦] الآية ٩٨)

﴿ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إنّ ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾. (النحل[١٦] الآية ١٢٥)

﴿واصبر وما صبرك إلّا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾.
(النحل [١٦] الآية ١٢٧)

﴿وآت ذَا القربى حقّه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا﴾.
(الاسراء [١٧] الآية ٢٦)

﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلىٰ عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾. (الاسراء [١٧] الآية ٢٩)

﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلىٰ غسق الليل وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهودا* ومن الليل فتهجّد نافلةً لك...﴾. (الاسراء [١٧] الآيات ٧٨ ـ ٨١)

﴿واضربْ لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا﴾. (الكهف [١٨] الآية ٣٢)

﴿واضرب لهم مثل الحياة الدّنيا كماءٍ أنزلناه من السماء...﴾. (الكهف[١٨] الآية ٤٥)

﴿فاصبر علىٰ ما يقولون وسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها...﴾. (طه [٢٠] الآية ١٣٠)

﴿ولا تمدنّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدّنيا...﴾.
(طه [٢٠] الآية ١٣١)

﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها...﴾. (طه [٢٠] الآية ١٣٢)

﴿وأنذر عشيرتك الأقربين* واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين* ...
وتوكل على العزيز الرحيم﴾. (الشعراء [٢٦] الآيات ٢١٤ ـ ٢١٧)

﴿وما كنت ترجوا...﴾. (القصص [٢٨] الآية ٨٦)

﴿ولا يصدنّك...﴾. (القصص [٢٨] الآية ٨٧)

﴿ولا تدع مع الله...﴾. (القصص [٢٨] الآية ٨٨)

﴿اتل ما اوحى اليك من الكتاب...﴾. (العنكبوت [٢٩] الآية ٤٥)

﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً...﴾. (الروم [٣٠] الآية ٣٠)

﴿فآت ذا القربى حقّه...﴾. (الروم [٣٠] الآية ٣٨)

﴿فأقم وجهك للدين القيّم...﴾. (الروم [٣٠] الآية ٤٣)

﴿فانظر إلى آثار رحمة الله...﴾. (الروم [٣٠] الآية ٥٠)

﴿فاصبر ان وعد الله حق...﴾. (الروم [٣٠] الآية ٦٠)

﴿واتبع ما يوحى إليك من ربّك...﴾. (الأحزاب [٣٣] الآية ٢)

﴿وتوكل على الله...﴾. (الأحزاب [٣٣] الآية ٣)

﴿واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية...﴾. (يس [٣٦] الآية ١٣)

﴿فلا يحزنك قولهم...﴾. (يس [٣٦] الآية ٧٦)

﴿فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون...﴾. (الصافات [٣٧] الآية ١٤٩)

﴿اصبر علىٰ ما يقولون...﴾. (ص [٣٨] الآية ١٧)

﴿فاستمسك بالذي أُوحي إليك...﴾. (الزخرف [٤٣] الآية ٤٣)

﴿فاصبر كما صبر أولو العزم...﴾. (الأحقاف [٤٦] الآية ٣٥)

﴿فاصبر على ما يقولون...﴾. (ق [٥٠] الآية ٣٩)

﴿وذكّر فإن الذكرىٰ تنفع المؤمنين﴾. (الذاريات [٥١] الآية ٥٥)

﴿واصبر لحكم ربك فانّك بأعيننا...* ومن الليل فسبحه...﴾.

(الطور[٥٢]الآيتان ٤٨ و٤٩)

﴿يا أيُّها النبيّ إذا جاءك المؤمنات... فبايعهن واستغفر لهن الله...﴾.

(الممتحنة [٦٠]الآية ١٢)

﴿يا أيُّها النبيّ لِمَ تحرم ما أحلَّ الله لك...﴾. (التحريم [٦٦]الآية ١)

﴿يا أيُّها النبيّ جاهد الكفّار...﴾. (التحريم [٦٦]الآية ٩)

﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت...﴾. (القلم [٦٨]الآية ٤٨)

﴿يا أيُّها المزّمل* قم الليل إلّا قليلا﴾. (المزمل[٧٣]الآيات ١ـ٢)

﴿واصبر علىٰ ما يقولون واهجرهم...﴾. (المزمل [٧٣]الآية ١٠)

﴿يا أيُّها المدّثر* قم فانذر...﴾. (المدثر [٧٤]الآيات ١ ـ ٧)

﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾. (القيامة [٧٥]الآية ١٦)

﴿فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم...﴾. (الانسان [٧٦]الآيات ٢٤ ـ ٢٦)

﴿سبح اسم ربك الأعلىٰ﴾. (الأعلىٰ [٨٧]الآية ١)

﴿فذكّر إن نفعت الذكرىٰ﴾. (الأعلىٰ [٨٧]الآية ٩)

﴿فامّا اليتيم فلا تقهر﴾. (الضحىٰ [٩٣]الآية ٩)

﴿واما السائل فلا تنهر﴾. (الضحىٰ [٩٣]الآية ١٠)

﴿واما بنعمة ربك فحدّث﴾. (الضحىٰ [٩٣]الآية ١١)

﴿فإذا فرغت فانصب﴾. (الشرح [٩٤]الآية ٧)

﴿والى ربك فارغب﴾. (الشرح [٩٤]الآية ٨)

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾. (العلق [٩٦]الآية ١)

﴿إذا جاء نصر الله... فسبّح بحمد ربك واستغفره...﴾. (النصر[١١٠]الآيات ١ ـ٣)

وانّك تجد في تلك الأوامر والنواهي إلىٰ هذا النبي الأعظم مسائل كثيرة لكلّ منها مباحث وتفاسير مثل الأمر بتولي الوجه شطر المسجد الحرام وتغيير القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة، والحكم بما أنزل الله بين أهل الكتاب وإن كان علىٰ خلاف ميلهم ورضاهم والتحرز عن فتنهم وأهوائهم في تلك الظروف، وعدم طرد المؤمنين وقبولهم بسلام ورأفة، والإعراض عن الذين يخوضون في الآيات ويلوون ألسنتهم بها وترك الذين غرّتهم الحياة الدّنيا واتخذوا دينهم لعباً، والعفو عن الخاطئين والأمر بالمعروف والإعراض عن الجاهل والاستعاذة بالله من الشيطان، وذكر الله تضرّعاً وخيفة، وقبول السلم عند جناح العدو له وإجارة المشرك عند استجارته، وترك الصلاة علىٰ جنائز الكفّار، وترك الاعجاب بأموالهم وأولادهم وأخذ الصدقة من أموال المؤمنين والصلاة عليهم والدعاء لهم، وترك القيام في مسجد ضرار، وعدم الحزن مما يقولون واتباع ما يوحي إليه، والصبر والتحمل حتىٰ يحكم الله بالحق، والاستقامة فيما أمر به، وإنذار الناس، وترك الاعتناء إلى متاعهم في الدنيا وخفض الجناح للمؤمنين، والدعوة إلى سبيل الربّ بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن وايتاء حقّ ذي القربىٰ والمساكين وابن السبيل، والقصد في الاعطاء دون بسط اليد كلّ البسط ودون إغلالها وإقامة الصلاة والتهجد بالليل والقيام فيها إلّا قليلا، وإنذار العشيرة الأقربين وأمر الأهل بالصلاة والتوكل على الله تعالىٰ.

وفي أكثر من أحد عشر موضعاً أمره الله تعالى بالصبر لحكم الربّ وتحمّل ما يقولون كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن وعد الله حق. والآية تشير إلىٰ انه صلى الله عليه وآله من أولي العزم، والله تعالىٰ يثبت فؤاد نبيّه في ذلك الكفاح العظيم مع الكفّار بعد ذكر حياة الأنبياء والاقتداء بأولي العزم بأنّ الله معك وأنّك بأعيننا ونحن معك، إن وعد الله حق.

وغير ذلك من الأمر بإقامة الوجه للدين الحنيف والدين القيّم والتمسك بالذي أُوحي إليه وتسبيح الربّ الأعلىٰ وتسبيحه مع حمده عندما جاء نصر الله والفتح والتحدّث بنعمة الربّ بعد الفتح والنصر، ومسائل أُخر.

وأنت اذا أعدت النظر ورجعت إلى نفس تلك الآيات التي أشرنا إليها وهي شطرٌ مما يوجد في القرآن الكريم راجعة إلىٰ هذا النبي الأعظم ونبوّته وشؤونه لاطمأننت بأنّ عليك وعلى أبنائك تأليف سيرة النبي صلى الله عليه وآله من القرآن الكريم والآيات المصرّحة بها، زائداً علىٰ ما في سير المتعارف المتكي علىٰ أحاديثه الشريفة، والروايات الواردة في سيرته صلى الله عليه وآله جعلنا الله من أفضل المؤمنين به ان شاء الله.

ثم بعدما ذكرنا من أنواع السياق تجد آيات أُخرىٰ تخاطب المؤمنين أو توجّههم وهي أيضاً راجعة إلى شأن النبي الخاتم صلى الله عليه وآله؛ نشير إلى شطر منها:

﴿يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم...﴾.

(النساء [٤] الآية ٥٩)

وعلىٰ هذا السياق من الأمر بإطاعة الرسول في ثماني آيات:

﴿يا أيُّها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول...﴾. (الأنفال [٨] الآية ٢٤)

﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول...﴾. (الأنفال [٨] الآية ٢٧)

﴿... لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً...﴾.

(النور [٢٤] الآية ٦٣)

﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلّا أن يؤذن لكم...﴾.

(الأحزاب [٣٣] الآية ٥٣)

﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله...﴾. (الحجرات [٤٩] الآية ١)

﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي...﴾.

(الحجرات [٤٩] الآية ٢)

﴿يا أيُّها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بـالإثم والعـدوان ومـعصيت الرسول...﴾. (المجادلة [٥٨]الآية ٩)

﴿يا أيُّها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يديه نجواكم صدقة...﴾.

(المجادلة [٥٨]الآية ١٢)

﴿يا أيُّها الذين آمنوا هل أدلّكم علىٰ تجارة... تؤمنون بالله ورسوله...﴾.

(الصف [٦١]الآيتان ١٠ و ١١)

فانّك ترىٰ في الآيات أن الله تعالى يأمر المؤمنين بإطاعته واستجابة دعـوته والايمان به وترك خيانته، ورعاية حريمه في دخول بيته، والمحادثة معه وخفض الصوت عنده وترك النجوى عنده ومعه إلّا بعد تقديم الصدقة وترك ندائه والصبر حتىٰ يخرج من بيته .

وبعد ذلك كلّه من سياق خاص تجد كثيراً من الآيات في شأنه ﷺ ونبوّته نشير إلىٰ شطر منها:

﴿وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل...﴾. (آل عمران [٣]الآية ١٤٤)

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم...﴾. (آل عمران [٣]الآية ١٥٩)

﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً...﴾. (آل عمران [٣]الآية ١٦٤)

﴿ما أصابك من حسنة فمن الله... وأرسلناك للناس رسولاً﴾. (النساء[٤]الآية٧٩)

﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة...﴾. (النساء[٤]الآية ١٠٢)

﴿انّا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس...﴾. (النساء[٤]الآية ١٠٥)

﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمّت طائفة...﴾. (النساء[٤]الآية ١١٣)

﴿انّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين...﴾. (النساء[٤]الآية ١٦٣)

﴿إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا...﴾. (المائدة[٥]الآية ٥٥)

﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول...﴾. (المائدة[٥]الآية ٩٢)

﴿ما على الرسول إلّا البلاغ...﴾. (المائدة[٥]الآية ٩٩)

﴿ولقد كُذِّبت رسلٌ من قبلك...﴾. (الأنعام[٦]الآية ٣٤)

﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام...﴾. (الأنعام[٦]الآية ٥٤)

﴿كتابٌ أُنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج...﴾. (الأعراف [٧]الآية ٢)

﴿يجادلونك في الحقّ بعدما تبيّن لهم...﴾. (الأنفال [٨]الآية ٦)

﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا...﴾. (الأنفال [٨]الآية ٣٠)

﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول...﴾. (الأنفال[٨]الآية ٤١)

﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا...﴾. (الأنفال [٨]الآية ٤٦)

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ...﴾. (التوبة [٩]الآية ٣٣)

﴿إلّا تنصروه فقد نصره الله...﴾. (التوبة [٩]الآية ٤٠)

﴿إن تصبك حسنةٌ تسؤهم...﴾. (التوبة [٩]الآية ٥٠)

﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن...﴾. (يونس [١٠]الآية ٦١)

﴿فلعلك تارك بعض ما يوحىٰ إليك...﴾. (هود [١١]الآية ١٢)

﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك...﴾. (هود [١١]الآية ٤٩)

﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به...﴾. (هود [١١]الآية ١٢٠)

﴿إن تحرص علىٰ هداهم﴾. (النحل [١٦]الآية ٣٧)

﴿ما أرسلنا من قبلك...﴾. (النحل [١٦]الآية ٤٣)

﴿ويوم نبعث في كلّ أمّة...﴾. (النحل [١٦]الآية ٨٩)

﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع...﴾. (النحل [١٦] الآية ١٢٣)

﴿وإذ قلنا لك انّ ربك...﴾. (الاسراء [١٧] الآية ٦٠)

﴿وإن كادوا ليفتنونك...﴾. (الاسراء [١٧] الآية ٧٣)

﴿بالحق أنزلناه وبالحق نزل...﴾. (الاسراء [١٧] الآية ١٠٥)

﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده...﴾. (الكهف [١٨] الآية ١)

﴿فلعلك باخع نفسك...﴾. (الكهف [١٨] الآية ٦)

﴿نحن نقصّ عليك نبأهم...﴾. (الكهف [١٨] الآية ١٣)

﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقىٰ...﴾. (طه [٢٠] الآيات ١ ـ ٤)

﴿وما أرسلنا قبلك...﴾. (الأنبياء [٢١] الآية ٧)

﴿وما أرسلنا من قبلك...﴾. (الأنبياء [٢١] الآية ٢٥)

﴿وما جعلنا لبشر من قبلك ...﴾. (الأنبياء [٢١] الآية ٣٤)

﴿وان يكذبوك فقد ...﴾. (الحج [٢٢] الآية ٤٢)

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول...﴾. (الحج [٢٢] الآية ٥٢)

﴿تبارك الذي نزل الفرقان...﴾. (الفرقان [٢٥] الآية ١)

﴿وقالوا مال هذا الرسول...﴾. (الفرقان [٢٥] الآية ٧ و ٩)

﴿وما أرسلنا من قبلك من المرسلين...﴾. (الفرقان [٢٥] الآية ٢٠)

﴿وقال الذين كفروا...﴾. (الفرقان [٢٥] الآية ٣٢ و ٣٣)

﴿واذا رأوك...﴾. (الفرقان [٢٥] الآية ٤١)

﴿وما أرسلناك إلّا...﴾. (الفرقان [٢٥] الآية ٥٦)

﴿لعلك باخع نفسك...﴾. (الشعراء [٢٦] الآية ٣)

﴿وانك لتلقى القرآن...﴾. (النمل [٢٧] الآية ٦)

﴿انك لا تسمع الموتىٰ...﴾. (النمل [٢٧] الآية ٨٠ و ٨١)
﴿انّما أُمرت أن أعبد ربّ هذه البلدة...﴾. (النمل [٢٧] الآية ٩١)
﴿وما كنت بجانب الغربي...﴾. (القصص [٢٨] الآية ٤٤)
﴿انك لا تهدي مَنْ أحببت...﴾. (القصص [٢٨] الآية ٥٦)
﴿ان الذي فرض عليك القرآن...﴾. (القصص [٢٨] الآية ٨٥)
﴿وما كنت ترجو...﴾. (القصص [٢٨] الآية ٨٦)
﴿وكذلك أنزلنا اليك الكتاب...﴾. (العنكبوت [٢٩] الآية ٤٧ و ٤٨)
﴿ولقد أرسلنا من قبلك...﴾. (الروم [٣٠] الآية ٤٧)
﴿فانّك لا تسمع الموتى...﴾. (الروم [٣٠] الآية ٥٢)
﴿النبي أولىٰ بالمؤمنين...﴾. (الأحزاب [٣٣] الآية ٦)
﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة...﴾. (الأحزاب [٣٣] الآية ٣٦)
﴿واذ تقول للذي أنعم الله عليه...﴾. (الأحزاب [٣٣] الآية ٣٧ و ٣٨)
﴿ما كان محمّد أبا أحدٍ من رجالكم...﴾. (الأحزاب [٣٣] الآية ٤٠)
﴿يا أيها النبي إنّا أرسلناك...﴾. (الأحزاب [٣٣] الآية ٤٥)
﴿يا أيها النبي انّا أحللنا...﴾. (الأحزاب [٣٣] الآية ٥٠)
﴿إن الله وملائكته يصلّون على النبي...﴾. (الأحزاب [٣٣] الآية ٥٦)
﴿وما أرسلناك إلّا كافة للناس﴾. (سبأ [٣٤] الآية ٢٨)
﴿إن يكذبوك فقد كذبت...﴾. (فاطر [٣٥] الآية ٤)
﴿إنّا أرسلناك بالحقّ...﴾. (فاطر [٣٥] الآية ٢٤)
﴿يس والقرآن...﴾. (يس [٣٦] الآيات ١ ـ ١١)
﴿انّما تنذر من اتبع الذكر...﴾. (يس [٣٦] الآية ١١)

﴿فلا يحزنك قولهم...﴾. (يس [٣٦] الآية ٧٦)

﴿إنّا أنزلنا اليك الكتاب...﴾. (الزمر [٣٩] الآية ٢)

﴿واما ينزغنك من الشيطان نزغ...﴾. (فصلت [٤١] الآية ٣٦)

﴿ما يقال لك إلّا...﴾. (فصلت [٤١] الآية ٤٣)

﴿كذلك يوحى اليك...﴾. (الشورى [٤٢] الآية ٣)

﴿وكذلك أوحينا إليك...﴾. (الشورى [٤٢] الآية ٧)

﴿وكذلك أوحينا اليك روحاً...﴾. (الشورى [٤٢] الآية ٥٢)

﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك...﴾. (الزخرف [٤٣] الآية ٢٣)

﴿إنّا فتحنا لك فتحاً مبينا...﴾. (الفتح [٤٨] الآيات ١ ـ ٨)

﴿قد سمع الله قول التي...﴾. (المجادلة [٥٨] الآية ١)

﴿ألم تر إلى الذين نهوا...﴾. (المجادلة [٥٨] الآية ٨)

﴿وإذ قال عيسىٰ بن مريم...﴾. (الصف [٦١] الآية ٦ و ٩)

﴿هو الذي بعث في الاميين...﴾. (الجمعة [٦٢] الآية ٢)

﴿اذا جاءك المنافقون...﴾. (المنافقون [٦٣] الآيات ١ ـ ٨)

﴿ان يكاد الذين كفروا...﴾. (القلم [٦٨] الآية ٥١)

﴿ألم نشرح لك صدرك﴾. (الشرح [٩٤] الآية ١)

﴿ألم تر كيف فعل ربك...﴾. (الفيل [١٠٥] الآية ١)

﴿إنّا أعطيناك الكوثر﴾. (الكوثر [١٠٨] الآية ٢)

﴿إذا جاء نصر الله...﴾. (النصر [١١٠] الآية ١)

وبعد ذلك تجد في القرآن الكريم آيات كثيرة ترجع إلى ناحية من شؤون رسول الله الأعظم ونبوّته؛ تعرف ذلك بالمراجعة إلى أنفسها وتلاوة ما تلونا عليك، ولكن

علينا أن نُشير إلى أمر يستفاد من كثير من تلك الآيات:

ففي كثير مما عرفت تصرّح بأن رسول الله صلى الله عليه وآله ليس إلّا رسول وليس عليه إلّا البلاغ، مثل ما سمعت: ما كان محمّد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين. أو ما سمعت كراراً: إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيرا، وأرسلناك رسولاً، وما أشبه ذلك، فانّها بكثرتها تتصدى لبيان رسالة الخاتم وأنّه صلى الله عليه وآله رسول وخاتم الرسل وهو بشر، إلّا انّه يوحى اليه أنه لا إله إلّا هو.

ولكن هناك نوع آخر من الآيات كما سمعت يأمر باطاعته زائداً على ما يبين من أحكام الله تعالى بوحيه ولزوم اطاعة أوامر الله تعالى بل إطاعة أوامر الرسول ونواهيه بما هو ولي أمر المسلمين ومولىً لهم: وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة، وأنّه صلى الله عليه وآله أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأنه لابد من اطاعته في سياق إطاعة الله تعالى؛ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، أو أطيعوا الله ورسوله في ثمانية مواضع. وفي الآيات إشارة إلى انّه بعد الفراغ عن رسالته صلى الله عليه وآله ما تتصدى لولايته وانّه ولي الله ورسوله وليس عليه حسب رسالته إلّا البلاغ، ولكن عليه حسب ولايته الأمر والنهي في جميع شؤون الأمة الاسلامية بالحرب أو الصلح؛ بالحكم والقضاء والعزل وتنصيب المناصب اللازمة، والحكم بين الناس بما أنزل الله تعالى وما أراد، فإن الرسالة بلا ولاية لا تبلغ بالأُمة إلى الغرض النهائي، كما ان الولاية بلا رسالة لا تصلح الناس بما يرضي الله تعالى، كما فصّل في محلّه.

هذا كلّه في بحث النبوّة من الأُصول حسب ما يمكن ان يستفاد من القرآن الكريم في الجملة. وعلينا أن نكرّر المقال بأن على المثقفين والعلماء والمحققين دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وآله أوّلاً من متن القرآن الكريم وبيان حياته ومراحل دعوته وابتلاءاته مع الأُمة ومع الأعداء ومع الاحباء من داخل بيوتاته وحياته الشخصية،

إلى ميادين الحرب ومعارك الكفاح، فإنّ سيرته القرآنية أظهر وأبين وأمتن وأقطع من غيرها، ثم بعد ذلك مراجعة سنّته الشريفة وبيان شؤونها وعرضها على الآيات.

فإن القرآن الكريم والنبي الأعظم الخاتم صلى الله عليه وآله عمادان للمسلمين، ثم السّنة النبوية بينهم والعترة الطاهرة المفسرة للقرآن، وأهل البيت أدرى بما في البيت.

وفّقنا الله وإياكم لما يحب. ثم بعد النبوّة مسألة المعاد في القرآن.



الأصل الثالث :

المعاد



بسم الله الرحمٰن الرحيم

الباب الثالث :

المعاد

ثالث أصول الدين هو المعاد، النقطة النهائية في نظام خلقة هذا العالم وتكوين السماوات والأرض وما بينهما ومن فيهما من الجنّ والإنس؛ النقطة التي لا تنفك عن المبدأ الذي كانوا منه: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وهذا هو الذي كان يعجب منه الإنسان من أول الأمر كلّما قيل له: انّك ستعود في يوم بما عملته لنفسك وتحققت نفسك به فتقوم في يوم القيامة على تلك الصورة فكان يستغربه بل يعتقد باستحالته وامتناعه، وكان يقول فيما حكى عنهم القرآن الكريم:

١ ـ ﴿وقالوا إن هي إلّا حياتنا الدّنيا وما نحن بمبعوثين﴾. (الأنعام[٦] الآية ٢٩)

٢ ـ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾. (النحل[١٦] الآية ٣٨)

٣ ـ ﴿وقالوا أئذا كنّا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾. (الاسراء[١٧] الآية ٤٩)

٤ ـ ﴿... أئذا ما مِتُّ لسَوفَ أُخرج حيّاً﴾. (مريم[١٩] الآية ٦٦)

٥ ـ ﴿وقال الملأ من قومه الّذين كفروا... أيعدكم أنّكم إذا متّم وكنتم تراباً وعِظاماً إنّكم مخرجون* هيهات هيهات لما توعدون* إن هي إلّا حياتنا الدّنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾. (المؤمنون [٢٣] الآيات ٣٣ ـ ٣٧)

٦ ـ ﴿قالوا أئذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾. (المؤمنون[٢٣] الآية ٨٢)

٧ ـ ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم﴾.

(يس [٣٦] الآية ٧٨)

٨ ـ ﴿أئذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أئِنا لمبعوثون﴾. (الصافات[٣٧] الآية ١٦)

٩ ـ ﴿وقالوا ما هي إلّا حياتنا الدّنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلّا الدهر...﴾.

(الجاثية[٤٥] الآية ٢٤)

١٠ ـ ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب* أئذا متنا وكنّا تراباً ذلك رجعٌ بعيد﴾. (ق [٥٠] الآية ٢ و ٣)

١١ ـ ﴿وكانوا يقولون أئذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾.

(الواقعة[٥٦] الآية ٤٧)

١٢ ـ ﴿زعم الذين كفروا أن لن يُبعثوا...﴾. (التغابن[٦٤] الآية ٧)

١٣ ـ ﴿وأنهم ظنّوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً...﴾. (الجن [٧٢] الآية ٧)

وغير ذلك من الآيات التي تدلّ على تعجّب الناس عندما كانوا يستمعون إلى مسألة الرجوع والمعاد عن لسان الأنبياء العظامعليهم السلام بل واستنكارهم لذلك حيث كانوا يعتقدون امتناع ذلك.

ومحصل ما كان عندهم أنّ الإنسان كما نراه بأعيننا يموت ويفسد جسمه سواء دفن أو لا ولا يبقى منه إلّا العظام والتراب بل تصير عظامه رميماً، وينتشر رميمه وترابه فيصير رفاتاً. وكيف يمكن رجوع العظام الرميم وتراب الرفات والبعث من القبر، وان ذلك شيء عجيب، ورجع بعيد، بل أقسموا جهد أيمانهم أن لا يبعث الله من يموت، وأن الحياة الدّنيا ليست إلّا ما نراه من ولادتنا من الآباء والأمّهات، وموتتنا الأولى وهلاكنا في الدهر والزمان وما نحن بمبعوثين.

وسيأتي الكلام عن جواب ذلك كلّه بما أُشير في قوله تعالى ﴿ونسي خلقه﴾،

و﴿إن هم إلّا يظنّون﴾. وليس الغرض هنا إلّا الإشارة إلى أن موضوع المعاد كان ممّا يُبلّغه الأنبياء العظام عليهم السلام ويستبعده ويتعجبه الانسان حتى انّ بعض من آمن بالله كان يصعب عليه التصديق به.

بل كانت طبيعة المسألة إلى حدٍ يسأل الله تعالى خليله إبراهيم عليه السلام في قوله: كيف تُحيي الموتى؟ قال: أوَلم تؤمن؟ قال: بلىٰ، ولكن ليطمئن قلبي. كما تعرف القصة من القرآن الكريم بتمامها.

وأنت تعلم ان القرآن الكريم قد اهتم بتبيين المبدأ والمعاد بأكثر وأدق وأوفر البيان ما لم يهتم بشيء من الأُصول والفروع والأحكام، وقد عرفتَ شطراً من الآيات الراجعة إلى المبدأ الخالق المتعال وما يرتبط به من الصفات والأفعال.

ونشرع في المعاد على نحو الاختصار بذكر آيات الباب علىٰ منهج ما طوينا في الأصلين السابقين؛ التوحيد والنبوّة، وما كان يرتبط بهما.

وهنا فصول:

الفصل الأوّل:

موت الإنسان

وهو في ختام حياة الإنسان في هذه الدّنيا أوّل المنازل قبل الآخرة حسب الظاهر، وان كان الحقّ انّها فيها.

وفيه آيات نشير إلى شطر منها:

١ ـ ﴿ما كان لنفس أن تموت إلّا بإذن الله كتاباً مؤجّلاً﴾. (آل عمران [٣] الآية ١٤٥)

٢ ـ ﴿والذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرأوا عن

أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾. (آل عمران[٣]الآية ١٦٨)

٣ ـ ﴿كلّ نفس ذائقة الموت...﴾. (آل عمران[٣]الآية ١٨٥)

٤ ـ ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة﴾.

(النساء[٤] الآية ٧٨)

٥ ـ ﴿كلّ نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير...﴾. (الأنبياء[٢١]الآية ٣٥)

٦ ـ ﴿ثم إنّكم بعد ذلك لميّتون﴾. (المؤمنون[٢٣]الآية ١٥)

٧ ـ ﴿كلُّ نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون﴾. (العنكبوت[٢٩]الآية ٥٧)

٨ ـ ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكّل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾.

(السجدة[٣٢]الآية ١١)

٩ ـ ﴿إنّك ميتٌ وإنّهم ميّتون﴾. (الزمر [٣٩]الآية ٣٠)

١٠ ـ ﴿الله يتوفّى الأنفسَ حين موتِها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضىٰ عليها الموت ويرسل الأُخرىٰ إلىٰ أجلٍ مسمّىٰ إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾. (الزمر [٣٩]الآية ٤٢)

١١ ـ ﴿قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة...﴾.

(الجاثية [٤٥]الآية ٢٦)

١٢ ـ ﴿نحن قدّرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين﴾. (الواقعة[٥٦]الآية ٦٠)

١٣ ـ ﴿قل إنّ الموت الذي تفرّون منه فإنّه ملاقيكم ثم تردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾. (الجمعة[٦٢]الآية ٨)

١٤ ـ ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾. (الملك[٦٧]الآية ٢)

وغيرها من الآيات الباحثة حول الموت من جهات عديدة زائدةً على تبيين أن

نفس الموت من قرارات النظام وتكوين الخلقة، والله تعالى هو الذي خلق الموت وجعله رديف الحياة وقدّره بين الناس في نظام المقدرات ورتّبه منزلةً بعد خلق الإنسان من سلالة من طين ثم جعله نطفة في قرار مكين، ثم خلق النطفة علقة وخلق العلقة مضغة وخلق المضغة عظاماً وكساها لحماً ثم أنشأها خلقاً آخر بإعطائها روح من أمره، ثم حكم عليهم أنكم بعد ذلك لميتون، ثم انكم يوم القيامة تبعثون. فالموت هو أول المراحل والمنازل قبل البعثة في القيامة، وآخر منازل الحياة في هذا العالم.

وكلّ نفس ذائقة الموت من غير استثناء حتى النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وقد خوطب بقوله تعالىٰ: إنّك ميّتٌ وانّهم ميتون، ولا تتمكن نفسٌ من درئه ومنعه فإنّه يدرك الانسان أينما كان حتىٰ في البروج المشيّدة والمشدّدة، وهو يلاقي كلّ أحد وإن فرّ منه.

والله تعالى هو الذي يتوفى الأنفس حين موتها، وما كان لنفس أن تموت من عندها إلّا بإذن ربّها، فإذا حان وقتها توفيت من غير تقديم وتأخير وذلك مكتوب مؤجل تموت النفس في حينه ولو كانت نائمةً، فيمسك التي قضى عليها الموت في منامها ويرسل الأُخرىٰ إلى أجلٍ مسمّى.

ولا تنافي بين قوله تعالىٰ: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿يتوفاكم ملك الموت الذي وكّل بكم﴾ فإن توفي النفس واستيفاء تمامها بواسطة الملك هو أيضاً توفٍّ من الله تعالىٰ. ويمكن أن يرجع ذلك الى تفاوت النفوس العالية، فالله تعالى هو الذي يتوفاها بنفسه من غير واسطة لعلوها مثل نفوس الأنبياء والأولياء، وسائر النفوس يتوفاها ملك الموت الذي وُكّل بها.

وليس الموت من الأُمور الخفية التي تحتاج إلى تبيين وتوضيح، فإنّه بمنظر ومرأىً من الإنسان، مثل الحياة، ولا يصبح ولا يمسي إلّا ويرىٰ بعينه ولادة انسان

ووفاة آخر، وان الدار دار ممرّ لا دار مقرّ، وأيّ إنسان لا يرىٰ في حياته الشخصية المحدودة من مضيّ آبائه وأُمّهاته ومجيء أولاده وأحفاده، وأيّ إنسان لا يحسّ ان ذلك لا يكون باختياره، وان اختلاف الليل والنهار يُقرب كلّ بعيد ويبلي كلّ جديد.

ولكن حيث أنّ الانسان حريص على الحياة ويحبّ المال والجمال ويأنس مع الدّنيا، ينسىٰ ما في طبيعتها، ويغفل عن ذلك. فإذا ما غفل ونسي، يقبضه الشيطان ويُظلّه الهوى فيتردىٰ في الهُويّ ويُضيع وجوده وحياته فتُذكره الآيات وينبهه الأنبياء، ويُذكّرونه بالمذاكرات حتىٰ لا يضلّ عن السبيل، وإلّا فأصل الموت مما لا كلام فيه ولا خفاء، والمهم معرفة حقيقة الموت وأنه مرحلة ومنزلة من مراحل الحياة الناشئة عن المبدأ إلى المنتهى فلا خوف منه بما هو، والخوف لابد وان يكون من الأعمال والصور الحاصلة منها للنفس فإن كانت حسنة فلها وإن كانت سيئة فعليها.

وكيف كان لا بقاء لأحد في هذا العالم بل ولا للعالم.

الفصل الثاني:

موت العالم

إنّه كما لا دوام ولا خلود في طبيعة حياة الإنسان، كذلك لا دوام ولا خلود في طبيعة حياة العالم المادي، بل لا يمكن الدوام فيه. فإن المركّب المحتاج إلى الأجزاء المتوقف جزئيتها على الحركة والحركة تابعة للمحرّك، فقير محتاج مربوط به، وفي النهاية بالغني الناظم الخالق البارئ المصوِّر، والمتحرك متغيّر دائماً، والمتغيّر غير ثابت، فلا دوام ولا ثبوت إلّا لعدم الدوام والثبات. كلّ شيء هالك إلّا وجهه، وشيئيةُ

الشيء بصورته ووجهه تعالىٰ هو فيضه الدائم. وللبحث محل آخر.

وكيف كان، ففي موت نظام الطبيعة وختام هذا العالم آيات نشير إلى شطرٍ منها:

١ ـ ﴿يوم تبدَّلُ الأرضُ غير الأرض والسّمٰوات وبرزوا لله الواحد القهّار﴾.

(ابراهيم [١٤] الآية ٤٨)

٢ ـ ﴿يوم نسيِّر الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نُغادر منهم أحداً﴾. (الكهف [١٨] الآية ٤٧)

٣ ـ ﴿يوم نطوي السماء كطيّ السجل للكتب كما بدأنا أوّل خلق نعيده...﴾.

(الأنبياء [٢١] الآية ١٠٤)

٤ ـ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إنّ زلزلة السّاعة شيء عظيم﴾. (الحج [٢٢] الآية ١)

٥ ـ ﴿يوم تمور السماء موراً * وتسير الجبال سيراً...﴾.

(الطور [٥٢] الآيتان ٩ و ١٠)

٦ ـ ﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردةً كالدِّهان﴾. (الرحمٰن [٥٥] الآية ٣٧)

٧ ـ ﴿إذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة * اذا رجت الأرض رجّا * وبُسّت الجبالُ بسّا * فكانت هباءً منبثا﴾. (الواقعة [٥٦] الآيات ١ ـ ٦)

٨ ـ ﴿فإذا نفخ في الصور نخفةٌ واحدة * وحملت الأرض والجبال فدكتا دكةً واحدة * فيومئذٍ وقعت الواقعة * وانشقت السماء فهي يومئذٍ واهية﴾.

(الحاقه [٦٩] الآيات ١٣ ـ ١٦)

٩ ـ ﴿يوم تكون السماء كالمهل * وتكون الجبال كالعهن﴾.

(المعارج [٧٠] الآيتان ٨ و ٩)

١٠ ـ ﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً﴾.

(المزمل [٧٣] الآية ١٤)

١١ ـ ﴿فاذا برق البصر * وخسف القمر * وجمع الشمس والقمر﴾.

(القيمة [٧٥] الآيتان ٧ ـ ٩)

١٢ ـ ﴿وفتحت السماء فكانت أبواباً * وسيّرت الجبال فكانت سرابا﴾.

(النبأ [٧٨] الآيتان ١٩ و ٢٠)

١٣ ـ ﴿يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة﴾. (النازعات [٧٩] الآيات ٦ و ٧)

١٤ ـ ﴿اذا الشمس كورت * واذاالنجوم انكدرت * واذاالجبال سيّرت... واذاالبحار سجّرت * واذاالنفوس زوجت... وإذا السماء كشطت﴾.

(التكوير [٨١] الآيات ١ ـ ١١)

١٥ ـ ﴿إذا السماء انفطرت * واذا الكواكب انتثرت * واذا البحار فجّرت* واذا القبور بعثرت﴾. (الانفطار [٨٢] الآيات ١ ـ ٤)

١٦ ـ ﴿القارعة* ما القارعة * وما أدراك ما القارعة * يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾. (القارعة [١٠١] الآيات ١ ـ ٥)

و غيرها من الآيات في هذا النطاق.

ومحصلُ ظواهر الآيات ـكما ترى ـ يخبر عن حادثة تقع في نهاية نظام هذا العالم، و تنطوي عندها السمٰوات والارض، وتُبدَّل الأرض غير الأرض وكذلك السماوات. وصورة الحادثة أن القدرة القاهرة الخالقة تحمل الأرض والسمٰوات وتدكّ أحدهما على الآخر دكةً واحدة شديدة تحصل من ذلك القرع القارعة، وما أدراك ما القارعة، وتنشق السماء وتمور موراً، فكانت وردة كالدهان، وتكون كالمهل المادة المذابة، فتصير الشمس مكدرة لا نور لها، والنجوم منكدرة منتثرة متفرقة، والأرض مبدلة إلى غيرها، فتسير الجبال سيراً متقطعة منبسّةً هباءً مبثوثةً وترجف الارض والجبال وتصير كثيباً مهيلاً رملاً سائرا، فلا شمس ولا قمر، رجع الشمس

والقمر بموادهما، ولا أرض بشكلها الحالي، وإن البحار مفجورة ومسجورة والجبال كالعهن المنفوش. وفي معلوماتنا الحالية انه إذا اراد الله تعالى ذلك الوقت، يأمر نظام قانون الجاذبية أن لا يعمل، ويُلغىٰ هذا القانون فقط، فيقع كل ما وصفته الآيات من انشقاق السمٰوات وانفطارها، وطيها، كطي السجل للكتب، وانفجار البحار، وسير الجبال، ووقوع الواقعة التي ليس لوقعتها كاذبة، تخفض السموات، وترفع الارض، وتجمعها، فتكون خافضةً رافعة. وعندئذٍ كما قلنا لا أرض ولا سماء، لا شمس ولا قمر، لا بحر ولا جبال، وفي كلام واحد ينتهي زمن حياة هذا النظام ويموت ويهلك، وعندئذ ينشأ نظام آخر بانشاء آخر؛ يشير اليه القرآن الكريم، كما سيأتي.

ولنعم الكلام ما عن الامام علي بن ابي طالب عليه السلام العالم بطرق السماوات بأدقّ من طرق الأرض، وقد قال في هذه الحادثة الهائلة.

«عدمتْ عند ذلك الآجال والأوقات وزالت السنون والساعات، فلا شيء إلا الله الواحد القهار الذي إليه مصير جميع الأُمور» نهج البلاغة.

وحينئذ يوم القيٰمة وذلك اليوم والوقت والزمان يوم القيٰمة ويوم وقعت الواقعة.

الفصل الثالث:

رجوع الانسان وعوده إليه تعالى

وانه تعالى هو المرجع النهائي له، كما انه تعالى مبدأ كل أمر، وعنده خزائنه، ومنتهى كلّ شيء، وإليه منتهاه، وفي الفصل آيات نشير الى شطر منها:

١ ـ ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه

تُرجعون﴾. (البقره [٢] الآية ٢٨)

٢ ـ ﴿... والله يقبض ويبسط واليه تُرجعون﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٤٥)

٣ ـ ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٨١)

٤ ـ ﴿هو يحيي ويميت واليه تُرجعون﴾. (يونس [١٠] الآية ٥٦)

٥ ـ ﴿... هو ربكم واليه تُرجعون﴾. (هود [١١] الآية ٣٤)

٦ ـ ﴿كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة والينا تُرجعون﴾.

(الأنبياء [٢١] الآية ٣٥)

٧ ـ ﴿أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾.

(المؤمنون [٢٣] الآية ١١٥)

٨ ـ ﴿وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم واليه تُرجعون﴾. (القصص [٢٨] الآية ٧٠)

٩ ـ ﴿... كل شيء هالك إلّا وجهه له الحكم واليه تُرجعون﴾.

(القصص [٢٨] الآية ٨٨)

١٠ ـ ﴿كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون﴾. العنكبوت [٢٩] الآية ٥٧)

١١ ـ ﴿الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون﴾. الروم [٣٠] الآية ١١)

١٢ ـ ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون﴾.

(يس [٣٦] الآية ٨٣)

١٣ ـ ﴿قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السّموات والارض ثم اليه ترجعون﴾.

(الزمر [٣٩] الآية ٤٤)

١٤ ـ ﴿... إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾.

(المائدة [٥] الآية ٤٨)

١٥ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضلّ اذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون﴾. (المائدة [٥] الآية ١٠٥)

١٦ ـ ﴿وهو الذى يتوفّاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليُقضى أجلٌ مُسمىً ثم إليه مرجعكم ثم يُنبئكم بما كنتم تعملون﴾.

(الانعام [٦] الآية ٦٠)

١٧ ـ ﴿... ولا تزر وازرة وزرأخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾. (الانعام [٦] الآية ١٦٤)

١٨ ـ ﴿إليه مرجعكم جميعاً وعْد الله حقاً إنه يبدأ الخلق ثم يعيده...﴾.

(يونس [١٠] الآية ٤)

١٩ ـ ﴿... يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون﴾. (يونس [١٠] الآية ٢٣)

٢٠ ـ ﴿إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير﴾. (هود [١١] الآية ٤)

٢١ ـ ﴿ووصّينا الانسان بوالديه حسنا... إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾. (العنكبوت [٢٩] الآية ٨)

٢٢ ـ ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب اليّ ثم اليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾. (لقمان [٣١] الآية ١٥)

٢٣ ـ ﴿... ولا تزر وازرة وزر أُخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنّه عليمٌ بذات الصدور﴾. (الزمر [٣٩] الآية ٧)

٢٤ ـ ﴿... ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾.

(الانعام [٦] الآية ١٠٨)

٢٥ ـ ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون﴾.

(البقره [٢] الآية ١٥٦)

٢٦ ـ ﴿... كلّ إلينا راجعون﴾. (الانبياء [٢١] الآية ٩٣)

٢٧ ـ ﴿... واتقوا الله واعلموا انكم إليه تحشرون﴾. (البقره [٢] الآية ٢٠٣)

٢٨ ـ ﴿ولئن مُتُّم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾. (آل عمران [٣] الآية ١٥٨)

٢٩ ـ ﴿... واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾. (المائدة [٥] الآية ٩٦)

٣٠ ـ ﴿وأن اقيموا الصلاة واتقُوه وهو الذى إليه تحشرون﴾. (الانعام [٦] الآية ٧٢)

٣١ ـ ﴿... واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وانه إليه تحشرون﴾.

(الانفال [٨] الآية ٢٤)

٣٢ ـ ﴿وهو الذي ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون﴾. (المؤمنون [٢٣] الآية ٧٩)

٣٣ ـ ﴿قل هو الذي ذرأكم في الارض وإليه تحشرون﴾. (الملك [٦٧] الآية ٢٤)

وغير ذلك من الآيات الدالة على رجوع الانسان وعوده الى الله تعالى وحشره جمعاً إليه تعالى فإن الآيات ـ كما ترى ـ ينادي بأعلى صوت: ان الله تعالى هو الذى يُحيى ويميت، ويميت ويحيي وهو حيّ لا يموت، ثم الناس عندما يحييهم الله تعالى يوم القيامة بعد الموت إليه لا إلى غيره يُرجعون، بأيدي الملائكة الموكلين، أو ايّ عامل آخر، ولا طريق للارجاع إلا اليه، أو راجعون بأنفسهم، وهم مضطرون لذلك، لا ملجأ ولا مرجع إلّا إليه، وكلّ نفس كذلك ذائقة الموت، ثم الى الله تعالى مرجعها، بل كل شيء هالك، والإنسان راجع الى الله تعالى، وربهم مرجعهم، وهو الذي بيده الخلق، ثم يعيده، ثم إليه ترجعون، وعندئذ يُنبئهم بما كانوا يعملون،

فيطلعون على أعمالهم، ولا تزر وازرةٌ وزر أُخرىٰ، وكلّ نفس بما كسبت رهينة.

وكذلك الحشر وحضور الجمع ليس إلّا إليه ولديه، والله تعالى هو الذي إليه تحشرون، فالذي بدأ الخلق ثم أعاده هو الذي ذرأكم في الأرض ثم إليه تحشرون، وان الله الذي يحول بين المرء وقلبه هو الذي إليه تحشرون.

ولا كلام في مقال الآيات الشريفة وظهورها في رجوع الانسان وحشره كما لا كلام في ظهور الآيات، بل صراحتها في كون الرجوع والحشر بعد فساد هذا الكون وزوال ذلك النظام، ووقوع الواقعة الهائلة التي عرفتها من طي السماوات والأرض وجمع الشمس والقمر وكدورة النجوم وظلمتها كلها، فلابد أن يكون هناك نظام آخر، إذا كان الانسان العائد الراجع هو هذا الانسان، وكيف يكون ذلك النظام وفيه الخلود، وكيف يكون هذا الانسان العائد الراجع هو الانسان المطيع أو العاصي في نظام المادة العائش على بسيط الأرض التي كانت في منظومة الشمس والقمر، وقد مات وصار جسمه تراباً ورفاتاً.

ومن هنا يُطرح السؤال المعروف: كيف يجازى العاصي في زمن محدود، بالنار الخالدة أو المطيع القليل بالنعم الكثيرة والجنات التي تجري من تحتها الأنهار وهم فيها خالدون؟

وكذلك السؤال المطروح بتقريرات مُختلفة من حشر الأكل والمأكول وجعله في النعمة أو العذاب مع ان أحدهما لا يستحق ذلك أو عدم استيعاب جميع مواد الارض لتجسيم جميع بني آدم من أول خلقهم إلىٰ آخرهم حسب وزن أجسامهم المتوسطة ومعدل عددهم في كلّ قرن، وأشباه ذلك؟

والقرآن الكريم أجاب عن ذلك كلّه ببيان لطيف يسمعه من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ونشير إلى الجواب بذكر شطر من تلك الآيات الدالة على أن طبيعة العالم الآخر وذاتها المتشكلة غير هذا العالم مع صدق الهوهوية في المعاد (الانسان) الراجع أو المرجوع بتعبير التبديل والإنشاء الآخر.

والقرآن الكريم يجيب أولاً عن استبعاد المعاد بإن ذلك أمر سهل يسير مثل خلق العالم والنشأة الأولى، واستشهد على ذلك بنظام الخلقة وتطورات الطبيعة بإرادة الله تعالى.

وثانياً يدفع الشبهة عن الخلود والدوام وإمكان ذلك بما ستعرف، وفي المقام آيات كثيرة، نشير إلىٰ شطر منها. قال تعالى :

١ ـ ﴿أو لم يروا أنّ الله الذي خلق السمٰوات والأرض قادرٌ على ان يخلق مثلهم وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا﴾. (الاسراء [١٧] الآية ٩٩)

٢ ـ ﴿ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أُخرج حيّا * أوَلا يذكر الانسان إنّا خلقناه من قبل ولم يك شيئا * فوربك لنحشرهم...﴾. (مريم [١٩] الآيات ٦٦ ـ ٦٨)

٣ ـ ﴿... كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا إنّا كنا فاعلين﴾.

(الانبياء [٢١] الآية ١٠٤)

٤ ـ ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبيّن لكم ونقرّ في الأرحام ما نشاء إلىٰ أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشُدَّكم ومنكم من يُتوفىٰ ومنكم من يُرَدُّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدةً فإذا انزلنا عليها الماء اهتزّت وربَتْ وأنبتت من كلّ زوجٍ بهيج * ذلك بأن الله هو الحق وأنه يُحيي الموتى وأنـّه على كل شيء قدير * وأنّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾. (الحج [٢٢] الآيات ٥ ـ ٧)

٥ ـ ﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون * وهو الذي ذرأكم في الأرض واليه تحشرون * وهو الذي يُحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون﴾. (المؤمنون [٢٣] الآيات ٧٨ ـ ٨٠)

٦ ـ ﴿أوَلم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير * قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾. (العنكبوت [٢٩] الآية ١٩ و ٢٠)

٧ ـ ﴿يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميّت من الحيّ ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون * ومن آياته ... * ومن آياته ... * ومن آياته... * ومن آياته ان تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الارض إذا انتم تخرجون﴾.

(الروم [٣٠] الآيات ١٩ ـ ٢٥)

٨ ـ ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه...﴾. (الروم [٣٠] الآية ٢٧)

٩ ـ ﴿فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتىٰ وهو على كل شيء قدير﴾. (الروم [٣٠] الآية ٥٠)

١٠ ـ ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾. (فاطر [٣٥] الآية ٩)

١١ ـ ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون * أو ليس الذي خلق السمٰوات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلىٰ وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾. (يس [٣٦] الآيات ٧٧ ـ ٨٢)

١٢ ـ ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت

وربتْ إن الذي أحياها لمحيي الموتى انه علىٰ كل شيء قدير﴾.(فصلت[٤١]الآية ٣٩)

١٣ ـ ﴿وأنّ الى ربك المنتهى * وأنه هو أضحك وابكى * وانّه هو أمات وأحيا * وأنه خلق الزوجين الذكر والأُنثى * من نطفة اذا تمنى * وان عليه النشأة الأخرى * وأنه هو أغنى وأقنى﴾. (النجم [٥٣]الآيات ٤٢ ـ ٤٨)

١٤ ـ ﴿نحن خلقناكم فلولا تصدقون * أفرأيتم ما تمنون * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون * نحن قدّرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين * على أن نبدّل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون * ولقد علمتم النشأة الأولىٰ فلو لا تذكرون﴾.

(الواقعه [٥٦]الآيات ٥٧ ـ ٦٢)

١٥ ـ ﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدّلنا أمثالهم تبديلا﴾.

(الدهر [٧٦]الآية ٢٩)

١٦ ـ ﴿فلينظر الإنسان ممّ خُلق * خُلق من ماءٍ دافق * يخرج من بين الصلب والترائب * إنّه على رجعه لقادر * يوم تبلى السرائر﴾. (الطارق [٨٦]الآيات ٥ ـ ٩)

١٧ ـ ﴿أيحسب الانسان أن يُترك سُدىٰ * ألم يك نطفة من منّي يُمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والانثى * أليس ذلك بقادرٍ على ان يحيي الموتىٰ﴾. (القيامة [٧٥]الآيات ٣٦ ـ ٤٠)

والآيات ـ كما ترى ـ تصرح بل تنادي بأنّ إعادة الانسان والعالم في نشأة جديدة أخرىٰ بعد وقوع الواقعة والسماوات والأرض كطي السجل للكتب، وتبدّل الارض غير الارض والسموات، وهلاك النظام الطبيعي المادّي في نظام غير هذا، ليس عليه تعالى بعسير بل هو سهلٌ يسير.

فإن الله الذي خلق السمٰوات والأرض ورفعها بغير مرئية، والله الذي خلق الإنسان من تراب، ثم مما تمنون من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب، ثم

من نطفة ثم من علقة ومضغة بعدما يستتر في الأرحام الى أجل، ثم يصوركم فيها كيف يشاء، وانشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة، ثم يخرجكم طفلاً، فمنكم من يبلغ أشدة ومنكم من يُردّ إلى أرذل العمر، والله يتوفّى الأنفس حين موتها هذا بالنسبة الى الانسان، واما ما في أطرافه أفلا ترى ان الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً ويسيقها إلى بلد ميت فيحيي الارض بعد موتها، والله الذي برسل السحاب و ينزل الماء الى الارض فتهتز وتنبت من كل زوج بهيج، والله الذي قدر هذا النظام للانسان وللعالم وهداه، هو القادر على إعادتهما بعد الزوال وهو القادر على انشائهما وتبديلهما بعد الهلاك، بل هو أهون من النشأة الأولىٰ فإن تبديل الشيء وانشاءه نشأة أُخرى غير ايجاده من العدم، وان كان الوجود في نظام ذاك العالم بيد الله تعالى وامره، اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون ولا فرق بين النشأة الأُولى والآخرة، ولكن في درك الانسان انّ تبديل الشيء أهون من إيجاده ولكن هو القادر المتعال.

أو ليس الذي يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميّت من الحي بقادر على ان يحيي الموتى ويُبَدّلكم ويُنشئكم في نشأة أُخرىٰ؟

أو ليس الذي يبدأ الخلق بقادر على أن يعيده مرة أُخرى أوليس الذي أنشأكم أول مرة بقادر على ان يخلق مثلكم؟ أو ليس الذي خلق السمٰوات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم؟ أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى؟ بلى وهو الخلاق العليم. انه على رجعه لقادر بل هو أهون عليه وهو سهل يسير، وهو على كل شيء قدير، وله الخلق والأمر، فهو قادر على ان ينشئ النشأة الآخرة، ولقد علمتم النشأة الأولىٰ.

وانت تعلم ان الاتكاء على كلمة الانشاء والتبديل في كثير من الآيات لعله إشارة الى أن مهية النظام الخالد الأبدي غير مهيّة النظام الفاسد المادي، والعالم الطبيعى

في طبعه الزوال والفساد، وكل شيء هالك إلّا وجهه، ونظام الآخرة في طبعه الدوام والخلود، وتقضي طبيعة الآخرة انعدام المرض والهرم والضعف، والتبدل على خلاف ما في طبع هذا العالم المعروف بالكون والفساد.

فإذا كانت الخلقة على نظام خاص، وكانت الآخرة في نهاية الأولىٰ، وكانت النشأة الأخرة في طبعها الدوام والخلود على خلاف ما فى طبع النشأة الاولى، فالعاصي طيلة حياته في زمنٍ قليل بطبعه ينتهي إلىٰ النشأة الخالدة، والمطيع في عمره القصير كذلك يقع فى الجنة الخالدة، وهذا هو مقتضى نفس الخلقة وطبيعة نظام الآخرة، وما كان الله ليظلمهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

فمع الاغماض عن بحث تجسّم الأعمال تحصل النفوس بها وإنّ العاصي تتشكل نفسه وتتجسم حقيقته وتتصور صورته بمقدار عصيانه، والمطيع كذلك تندرج نفسه إلى صورة إطاعته وتتشكل على حدها: كلٌّ يعمل على شاكلته.

فإذا كان في نفس العاصي سهم باق من فطرته وطبيعته النورية إلالهية فيعذب على حد عصيانه ولا خلود له بل يخرج من النار إلى حد الجنة التى كانت باقية من نفسه، وكذلك المطيع اذا كان في نفسه نقطة سوداء من العصيان حين توفيه فيدخل النار على حدها ثم يدخل الجنة على حد طاعته. والرحمة الواسعة الشاملة الربوبية هي التي يرجوها ويتأملها كل إنسان عند موته. اللهم لا تحرمنا منها.

اذا عرفت ما أشرنا اليه، فلا يبقى مجال لمقالة عدم سعة الارض وعدم سعة موادها لحشر جميع بني آدم، فإن التبدل والإنشاء الآخر في نظام غير هذا، يجيب عن تلك التخيلات.

ثم بعدما وقعت الواقعة وزالت السماوات والأرض وأُنشئت النشأة الآخرة، وبعثر ما في القبور، وحشر الانسان يكون المحشر حينئذٍ ويُجمع فيه الأولون

والآخرون وتعرض عليهم كتبهم الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه، ويقال له: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا، فيحاسبون حساباً يسيراً، وعندئذٍ تبيض وجوه وتسود وجوه، وجوه يومئذٍ ناعمة، لسعيها راضية، ووجوه يومئذ خاشعة، عاملةٌ ناصبة، وهناك صراط على المحشر إلى الجنة والنار، عليه يعبرون، فريق في الجنة وفريق في النار، هم فيها خالدون.

فلنشر الى آيات الحشر، ثم الكتاب، ثم الميزان والحساب، فالصراط، وفي النهاية: الجنة والنار:

الفصل الرابع:

الحشر

وفيه آيات :

١ ـ ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا* وعرضوا على ربك صفا﴾.

(الكهف [١٨] الآيتان ٤٧ و ٤٨)

٢ ـ ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾.

(يس [٣٦] الآية ٥١)

٣ ـ ﴿... يخرجون من الأجداث كأنهم جرادٌ منتشر﴾. (القمر [٥٤] الآية ٧)

٤ ـ ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا﴾. (النبأ [٧٨] الآية ١٩)

٥ ـ ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتا...﴾. (الزلزال [٩٩] الآية ٦)

٦ ـ ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾. (القارعة [١٠١] الآية ٤)

وغيرها من الآيات الدالة على حشر الناس وحضورهم جميعاً في ذلك اليوم.

وقد عبّر بالحشر لبيان أمور أُخر لعلّة نشير الى بعضها، وبالحشر جميعاً، او المتقين أو

المجرمين.

قال تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعا...﴾.

(الانعام [٦] الآية ٢٢) و (يونس [١٠] الآية ٢٨) و ـ

وقال تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعاً...﴾.(الانعام [٦] الآية ١٢٨) و (الفرقان [٢٥] الآية ١٧) و ـ

وقال تعالى: ﴿... فسيحشرهم إليه جميعاً﴾. (النساء [٤] الآية ١٧٢)

وقال تعالى: ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلّا ساعة من النهار...﴾.

(يونس [١٠] الآية ٤٥)

وقال تعالى: ﴿وان ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم﴾. (الحجر [١٥] الآية ٢٥)

وغير ذلك من الآيات.

ومن المعلوم ان الحشر إحضار الجمع من الإنسان في محل أو إخراجهم عن مقر إلى المحشر بازعاج، على خلاف ميلهم، أشار اليه صاحب المفردات.[١] وقد قال تعالى: ﴿انكم لمجموعون إلىٰ ميقات يوم معلوم﴾. (الواقعة [٥٦] الآية ٥٠)

والآيات كما ترى تدلّ على أنّ في يوم القيٰمة وبعد وقوع الواقعة يُحشر الناس وجميع بني آدم في ذلك اليوم بحيث لا يغادر منهم أحداً، وأنهم يُحشرون ويَخرجون من الأجداث أفواجاً وأشتاتاً كالفراش والجراد المبثوت المنتشر، ويجمعون ويعرضون على ربهم، وهم يتصورون أنهم لم يلبثوا إلا ساعة من النهار وهم حيارى سكارى يقولون مالنا ولهذا الحشر.[٢]

وعندئذٍ تعرض عليهم كتبهم، ويقال لهم: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا.

---

١ ـ وفيه انه يطلق على غيره، قال تعالى: ﴿واذا الوحوش حشرت﴾. (التكوير [٨١] الآية ٥)

٢ ـ ﴿اذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها * وقال الانسان مالها...﴾. (الزلزلة [٩٩] الآيات ١ ـ ٨)

الفصل الخامس:

الكتب والصحف

وفيه آيات :

١ ـ ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء سَنَكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾. (آل عمران [٣] الآية ١٨١)

٢ ـ ﴿... والله يكتب ما يبيّتون...﴾. (النساء [٤] الآية ٨١)

٣ ـ ﴿... قل الله أسرع مكراً إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾. (يونس [١٠] الآية ٢١)

٤ ـ ﴿وكل إنسانٍ ألزمناه طائره في عنقه ونُخرج له يوم القيٰمة كتاباً يلقيٰه منشورا * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾. (الاسراء [١٧] الآية ١٣ و ١٤)

٥ ـ ﴿ووُضِع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممّا فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحدا﴾. (الكهف [١٨] الآية ٤٩)

٦ ـ ﴿كلاً سنكتب ما يقول ونمدّ له من العذاب مدّاً﴾. (مريم [١٩] الآية ٧٩)

٧ ـ ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون﴾. (الانبياء [٢١] الآية ٩٤)

٨ ـ ﴿انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم...﴾. (يس [٣٦] الآية ١٢)

٩ ـ ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ووُضع الكتاب وجيء بالنبيّن والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون * ووفيّت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون﴾. (الزمر [٣٩] الآية ٦٩ و ٧٠)

١٠ ـ ﴿... ستكتب شهادتهم ويسألون﴾. (الزخرف [٤٣] الآية ١٩)

١١ ـ ﴿ام يحسبون انّا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسُلنا لديهم يكتبون﴾.
(الزخرف [٤٣] الآية ٨٠)

١٢ ـ ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنّا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾.
(الجاثية [٤٥] الآية ٢٩)

١٣ ـ ﴿ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيبٌ عتيد﴾. (ق [٥٠] الآية ١٨)

١٤ ـ ﴿فإذا نفخ في الصور نفخةٌ واحده... فامّا مَنْ أُوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه... وأما من أُوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أُوت كتابيه * ولم ادر ما حسابيه﴾. (الحاقة [٦٩] الآيات ١٣ ـ ٢٦)

١٥ ـ ﴿اذا الشمس كورت... واذا الصحف نشرت﴾. (التكوير [٨١] الآيات ١ ـ ١٠)

١٦ ـ ﴿وان عليكم لحافظين * كراماً كاتبين﴾. (الانفطار [٨٢] الآية ١٠ و ١١)

١٧ ـ ﴿كلاّ إن كتاب الفجّار لفي سجيّن... كلا إن كتاب الأبرار لفي عليّين * وما ادريٰك ما عليّون * كتابٌ مرقوم * يشهده المقربون﴾. (المطففين [٨٣] الآيات ٧ ـ ٢١)

١٨ ـ ﴿فأمّا من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يُحاسب حسابا يسيرا * وينقلب إلى أهله مسرورا * وأما من أُوتي كتابه وراء ظهره * فسوف يدعو ثبورا * ويصلى سعيرا﴾. (الانشقاق [٨٤] الآيات ٧ ـ ١٢)

١٩ ـ ﴿ان كل نفسٍ لمّا عليها حافظ﴾. (الطارق [٨٦] الآية ٤)

وغير ذلك من الآيات الدالة على ذلك المضامين بتعابير أُخر.

ومحصل تلك الآيات بصراحتها ـ والله العالم ـ إنّ الانسان لا يعمل عملاً ولا يلفظ قولاً إلا ويُستنسخ ويُكتب ويُحفظ ولا يمر عليه ليل ولا نهار ولا ساعة بل ولا لحظة إلا ولديه رقيبٌ يراقبه، وعتيدٌ يحفظ عليه كل شيءٍ سواء كان ذلك في مباحث

المعارف والعقائد وحول الكفر والايمان أو غيرها، فـان الله تـعالى يسـمع سرّهم ونجواهم، ورسله تعالى حاضرة لديهم، يكتبون ما يقولون كقولهم مثلاً: ان الله فقير ونحن أغنياء، ستكتب شهادتهم في جعلهم الملائكة اناثاً، وقولهم: لو شاء الرحمن ما عبدناهم، وغير ذلك مما يخرصون.

وكذلك في الأقوال الرشيدة الطيبة والأعمال الصحيحة الصالحة، فإنه لا كفران لسعيهم، وإنا له كاتبون.

وفي التدابير ومكرهم كذلك، فإن الله تعالى أسرع مكراً ورسل الله يكتبون ما يمكرون، والله يكتب ما يُبيِّتون.

ثم إن الكتابة هذه قد نسبت إلى رسل الله تعالى؛ مثل قوله تعالى:

﴿... ان رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾. (يونس [١٠] الآية ٢١)

﴿بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾. (الزخرف [٤٣] الآية ٨٠)

وقد نسب الى الله تعالى مثل قوله:

﴿...سنكتب ما قالوا...﴾. (آل عمران [٣] الآية ١٨١)

﴿سنكتب ما يقول...﴾. (مريم [١٩] الآية ٧٩)

﴿... انا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾. (الجاثية [٤٥] الآية ٢٩)

﴿وانّا له كاتبون﴾. (الانبياء [٢١] الآية ٩٤)

وقد ذكر مجهولاً من غير ذكر الفاعل (الكاتب).

والذي يبدو في الخطور إن نسبة الفعل في الخيرات والأعمال الصالحة إلى الله تعالى هو أنسب، كما في قوله تعالى ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنّا له كاتبون﴾ وفى غيرها إلى رسل الله أفضل، كما في قوله تعالى ﴿ان رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾ وان كان الرسل أيضاً يكتبون بإذن الله تعالى.

ونسب اليه تعالى أيضاً في غير الصالحات إشعاراً إلى شدّة الحضور والعذاب مثل قوله ﴿سنكتب ما يقول ونمدّ له من العذاب مدّاً﴾. (مريم [١٩] الآية ٧٩)

وتلك الرسل والكتاب والحفّاظ ملائكةٌ مقربون لا يعصون الله فيما يؤمرون، وكرام بررة لا يتركون شيئاً مما تعلمون أو مما تفعلون.

والكتاب ذلك يلازم كل إنسان ويلازم طائره في عنقه لا ينفك عنه إلىٰ يوم القيٰمة فيلقاه منشوراً عند نشر الصحف ويقال له: اقرأ كتابك كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيباً.

وعندئذ يوضح الكتاب وينطق بالحق ويحاسب على ما فيه ويُسئل عنه، وجيء بالنبيين والشهداء ليشهدوا عندما تُوَفىٰ كلّ نفسٍ ما عملت ويقضىٰ بينهم بالحق ولا يُظلمون.

فالمجرمون تراهم مشفقين مما في هذا الكتاب ويقولون ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها[١] من وراء ظهرهم فيما عملوا في الدنيا فيدعون ثبوراً ويصلون سعيراً، فان كتابهم في سجين؛ كتاب مرقوم.

أما الأبرار فيحاسبون حساباً يسيراً وينقلبون إلى أهلهم مسرورين، فإن كتابهم في عليين؛ كتاب مرقوم، باليُمن واليمين، آتاهم الله بأيمانهم، فإنهم من أصحاب اليمين.

ويؤتىٰ هذا الكتاب بأيمان أصحاب اليمين، وبشمائل أصحاب الشمال، فمن أوتي كتابه بيمينه فيبتهج ويفرح بما يرى في كتابه، فيدعو أحبّاءه وأقرانه أو الناس ويقول هلموا وتعالوا وأقرأوا كتابي، فإن الله تعالى أعطاني كثيراً بالقليل وأكرمني بعناياته قِبال عباداته، وكنت أعتقد بذلك من قبل، فهو في عيشة راضية، في جنة

---

١ ـ ولعل اصطلاح الصغيرة والكبيرة في الذنوب أُخذ من هذه الآية الشريفة.

عالية، قطوفها دانية ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين * في سدرٍ مخضود* وطلح منضود * وظلٍ ممدود * وماءٍ مسكوب * وفاكهة كثيرة * لا مقطوعة ولا ممنوعة * وفرش مرفوعة﴾. (الواقعه [٥٦] الآيات ٢٦ ـ ٣٤)

وأمّا من أُوتي كتابه بشماله من أصحاب الشمال فعندما يرى في كتابه ما عملت يداه من سوءٍ محضراً، وإن الكتاب لم يغادر شيئاً من الصغائر والكبائر، فيتحسر ويأسف على نفسه ويقول: يا ليتني لم أُوتَ كتابيه، ولم أدر ما حسابيه. مع انه لم ينفعه العلم وعدمه بل الايتاء وعدمه. ﴿وأصحاب الشمال * ما أصحاب الشمال* في سموم وحميم * وظلٍ من يحموم * لا بارد ولا كريم﴾.(الواقعة [٥٦] الآيات ٤١ ـ ٤٤)

فيصدر الامر:

﴿خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلّوه* ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه...﴾. (الحاقة [٦٩] الآيات ٣٠ ـ ٣٧)

أعاذنا الله منه، وجعلنا وإياكم من أصحاب اليمين الذين كتابهم بأيمانهم، ولهم عيشة راضية، إن شاء الله، بل رزقنا الله وإياكم رضوانه.

ايضاح في معنى الكتاب بهذه الخصوصيات من ملازمته لكل انسان ونشره في القيامة، ووضعه والاستشهاد عليه بالنبيين والشهداء، والمحاسبة عليه غير يسير على المجرمين، ويسير على الابرار، مرقوم في سجين، أو عليين، ولا يظلم ربك أحداً، ويؤتىٰ بيمين أصحاب اليمين وبشمال أصحاب الشمال بل من وراء ظهورهم. ومع ذلك تنتشر هذه الكتُب والصحف ولا يطلع أحدٌ على ما فى كتاب الآخر. ومنهم من يقول هاؤم اقرأوا كتابيه، وآخر يقول ياليتني لم أُوتَ كتابيه، و غير ذلك من علائم الكتاب وعلل تحققه وكتابته.

فنقول ـ والله العالم ـ الكتابة ليست إلّا تسطير المسائل بواسطة الكلمات

والنقوش والعلائم ورسمها على صفحة من قرطاس أو ورق من شجر أو لوح من حجر وأمثال ذلك.

والمسطور على السطوح والمنقوش على الصحائف مكتوبٌ يُقرأ، ومرسوم يفهم منه ما أراد منه الكاتب في الجملة حسب وسع الكلمات، وفهم القارئ.

والكتاب هو هذا المكتوب المسطور، أو مع ما كتب عليه وسُطّر، لا سيّما إذا كان النقش في نفس المنقوش عليه كالنقش في الحجر، وعندما يجمع المسطورات فيجعل بين الدفتين يطلق عليه كتاب. ومن ذلك كتاب الله العزيز الحكيم: ﴿كتاب أنزلناه مبارك﴾ بعدما نُزّل على قلب رسول الله ﷺ وتفوّه به، وخرج من بين شفتيه المباركتين، ورسمه الكُتّاب، أو حفظه الحفّاظ بالنقش على قلوبهم.

هذا، ثم إنك تعلم ان ما تحقق في هذا العالم وتلبس بالوجود لاسيّما ما يصدر من الإنسان ويعمله من خير أو شرٍ كثيرٍ أو قليل يصير متحققاً مسطوراً موجوداً في صفحة التكوين والايجاد وهي حروف وكلمات وسطور، ومع روابطها العينية مباحث وفصول من كتاب الوجود والتكوين، قال تعالى: ﴿وكلمة منه اسمه المسيح﴾ ما نفدت كلماته، وما وُجد، لم ينعدم بوجوده، فإن الوجود لايُعدم.

ولذلك ما يصدر من الانسان من خير وشر بل وما يخطر بباله ويتصوره ويتفكر فيه فقد وجد وتحقق في نفسه وبإرادته، وتحصّل في مرحلته وعالمه بعدما لم يكن موجوداً. وعرفت أن الوجود لا سبيل إليه من عدم، فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً، فقد أراده وعمله وأوجده وكتبه في سيطرة قدرة حياته وصفحة وجوده ونفسه، فيراه بعينه موجوداً، ومن يعمل مثقال ذرةٍ شرّاً، أيضاً أراده وعمله وأوجده، أي أفاض عليه الوجود من نفسه وكتب على صفحة حيانه، والوجود لا ينعدم فيراه أيضاً بعينه.

وعليه، فالإنسان بنفسه هو الكاتب؛ يكتب أعماله على وجوده وحياته بحيث

لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، فإنه بالوجود يُكتب في نفس وجود الانسان بإيجاد الإنسان وإفاضة الوجود عليه.

وهذا الكتاب يُسطر شيئاً فشيئاً طيلة حياته طيلة عشرات من السنين من عمره ـ مثلاً ـ، وتنتظم الأعمال بعضها مع بعض بروابطها الخاصة، ضم الحروف والكلمات والسطور والصفحات، ويؤلف كتاباً في خمسين أو ستين سنة أو أقل أو أكثر على قدر يناسب المكتوب عليها.

وذلك الكتاب حسب المكتوب وبطبعه يكون في المرتفع الأعلى بالأعمال الصالحة وفي عليين، أو في المنخفض الأدنىٰ بالأعمال الطالحة وفي سجين، ﴿واذا النفوس حشرت﴾ نشرت تلك الصحف، فإن لكلّ نفس صحيفة مكتوبٌ عليها ما عملته النفس. ومن ذلك يتضح معنى قوله تعالى: **﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونُخرج له يوم القيٰمة كتاباً يلقاه منشوراً﴾** (الاسراء [١٧] الآية ١٣)

فانه لا يمكن تفكيك المكتوب عن المكتوب عليه، ويكون كالنقش في الحجر. وملازمة طائره في عنقه. هو هذا، وكذلك يتضح معنى قوله تعالىٰ: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾، ﴿والإنسان علىٰ نفسه بصيرة ولو القىٰ معاذيرة﴾، فإنها مرهونة مربوطة بها، لا يمكن تفكيكها عنها، وكذلك معنى قوله تعالى ﴿علمت نفس ما قدّمت وأخّرت﴾ عند ارتفاع الحجب والموانع ويوم تبلى السرائر وتنشر هذه الكتب؛ وغير ذلك من الآيات.

وكذلك هذا معنىٰ «ان كتاب الأبرار مرقوم» في عليين. فإن المرسوم المرقوم الأعمال الصالحة على النفوس الزكيّة، لا يوجد ولا يتحقق إلّا في العلو الأعلىٰ حسب صلاح العمل ودرجات الخير، كما أنّ الأعمال الطالحة من الفسق والفجور لا يتحقق إلّا في الدنو الأدنىٰ حسب فساد العمل وشدّة الذنب وضعفه من درجات السجن،

فإن كتاب الفجار لفي سجين من صغائر الذنوب إلى الشرك والكفر الذي لا يستر عليه ولا يغفر ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك﴾ فيلقى هذا الكتاب، أي الكاتب والمكتوب والكتاب، وليس إلا نفس واحدة عملت من سيئاته حتىٰ صارت تشكله بها، في السجن أو النار، بل يلقى في تناسب الفساد ونار البُعد عن الحق بالكفر ولا نجاة، وفي مراحل لا يمكن النجاة، وذلك هو الخلود ﴿كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها﴾ إلّا بإذن الله تعالى اللطيف الخبير الذي يمحو ما يشاء ويُثبت، وليس الملك يومئذٍ إلّا لله الواحد القهار.

اما عن الحافظين؛ كراماً كاتبين، والملكين الحاضرين: الرقيب والعتيد، الذين يكتبون في نفس هذه الصحيفة (نفس الانسان وحقيقته) فهم رسل الله الذين هم يكتبون الكتاب ﴿... ورسلنا لديهم يكتبون﴾.(الزخرف [٤٣] الآية ٨٠) وقد عرفت ان الكتابة هذه قد تنسب إليهم كما نسبت إلى الله تعالى ﴿والله يكتب ما يبيّتون﴾(النساء [٤] الآية ٨١).

وعندما يريد الانسان أن يعمل خيراً أو شرّاً، يسانده الرقيب والعتيد ويعاونه الكرام الكاتبون، حتى ينتهي التصوّر والتصديق إلى العزم والجزم والإرادة، فيعمل بإرادته وتوفيق من الله تعالى وتأييد من الملائكة رسل الله تعالى في مجموع نظام الخلقة وخلق العلل والمعاليل وتضارب القضاء والقدر ﴿يمحو الله ما يشاء يثبت وعنده أمّ الكتاب﴾ فله ان يمحو السيّئات الصادرة من الإنسان بوجود الاستغفار الصادر بعده، بل بنفس التوبة والرجوع في إرادته ونفسه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، بمعنى ان ما وجد في كتاب التكوين والنقش ورُسِم في نفس الانسان يمحوه الوجود الثاني من التوبة والرجوع والاستغفار.

فإن تأثير الوجود في الوجود وتأثره به بارادة مبدئ الوجود وإفاضة الفياض

المطلق والخالق المتعال من البديهيّات.

وأما مسألة تجسّم الأعمال وتبدّل تلك النفوس المسطور عليها الأعمال بشكل الصحف المنتشرة بقدرة الله تعالىٰ في النشأة الآخرة في يوم القيٰمة وإعطاء كلّ إنسان كتابه وصحيفته بيمينه أو شماله أو من وراء ظهره، فسياتي الكلام فيه في ختام البحث إن شاء الله تعالى.

الفصل السادس:

الحساب

ثم بعد معرفة الكتاب ومعناه في الجملة، لابد من النظر الى الحساب وآياته فإن المضبوط المكتوب يحاسب ويجمع ويكسّر ويواخذ على حاصله، ومحصّله، فلابد من ملاحظة آيات الباب، نشير الى شطر منها:

قال تعالى:

١ ـ ﴿أولئك لهم نصيبٌ مما كسبوا والله سريع الحساب﴾. (البقره [٢] الآية ٢٠٢)

٢ ـ ﴿لله ما في السمٰوات وما في الأرض وإنْ تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبْكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء والله على كل شيءٍ قدير﴾.

(البقرة [٢] الآية ٢٨٤)

٣ ـ ﴿... اولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب﴾.

(آل عمران [٣] الآية ١٩٩)

٤ ـ ﴿... واتقوا الله ان الله سريع الحساب﴾. (المائدة [٥] الآية ٤)

٥ ـ ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداه والعشيّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾. (الانعام [٦] الآية ٥٢)

٦ ـ ﴿ثم رُدّوا إلى الله مولٰهم الحقّ ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾.

(الانعام [٦] الآية ٦٢)

٧ ـ ﴿... اولئك لهم سوء الحساب ومأويٰهم جهنم وبئس المهاد﴾.

(الرعد [١٣] الآية ١٨)

٨ ـ ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾. (الرعد [١٣] الآية ٢١)

٩ ـ ﴿ربّنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.﴾.

(ابراهيم [١٤] الآية ٤١)

١٠ ـ ﴿ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب.﴾.

(ابراهيم [١٤] الآية ٥١)

١١ ـ ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾. (الاسراء [١٧] الآية ١٤)

١٢ ـ ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾. (الانبياء [٢١] الآية ١)

١٣ ـ ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيٰمة فلا تُظلم نفسٌ شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾. (الانبياء [٢١] الآية ٤٧)

١٤ ـ ﴿ومن يدعُ مع الله الهاً آخر لا برهان له به فإنّما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾. (المؤمنون [٢٣] الآية ١١٧)

١٥ ـ ﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ... فوفّيٰه حسابه والله سريع الحساب﴾. (النور [٢٤] الآيتان ٣٨ و ٣٩)

١٦ ـ ﴿إن حسابُهم إلا على ربّي لو تشعرون﴾. (الشعراء [٢٦] الآية ١١٣)

١٧ ـ ﴿... انّما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾. (الزمر [٣٩] الآية ١٠)

١٨ ـ ﴿... وكفى بالله حسيباً﴾. (الاحزاب [٣٣] الآية ٣٩)

١٩ ـ ﴿وقالوا ربّنا عجِّل لنّا قِطَّنا قبل يوم الحساب﴾. (ص [٣٨] الآية ١٦)

٢٠ ـ ﴿... ان الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذابٌ شديد بما نسوا يوم الحساب﴾. (ص [٣٨] الآية ٢٦)

٢١ ـ ﴿هذا ما توعدون ليوم الحساب﴾. (ص [٣٨] الآية ٥٣)

٢٢ ـ ﴿اليوم تجزى كل نفسٍ بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب﴾. (غافر [٤٠] الآية ١٧)

٢٣ ـ ﴿وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾. (غافر [٤٠] الآية ٢٧)

٢٤ ـ ﴿... فاولئك يدخلون الجنّة يُرزقون فيها بغير حساب﴾. (غافر [٤٠] الآية ٤٠)

٢٥ ـ ﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾. (الحاقة [٦٩] الآية ٢٠)

٢٦ ـ ﴿... ولم ادر ما حسابيه﴾. (الحاقة [٦٩] الآية ٢٦)

٢٧ ـ ﴿انهم كانو لا يرجون حساباً﴾. (النبا [٧٨] الآية ٢٧)

٢٨ ـ ﴿جزاءً من ربك عطاءً حساباً﴾. (النبا [٧٨] الآية ٣٦)

٢٩ ـ ﴿إنّ إلينا إيابهم * ثم إنّ علينا حسابهم﴾. (الغاشية [٨٨] الآية ٢٥ و ٢٦)

وغيرها من الآيات.

وحيث ان هناك ميزاناً توزن به الأعمال ويحاسب على حسب أوزانها، فنشير الى شطر من آيات الميزان أيضاً حتى نراها معاً، ليتضح الحساب والميزان؛ قال

تعالى:

١ ـ ﴿والوزن يومئذٍ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون * ومن خفَّت موازينه فأولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾.

(الاعراف [٧] الآية ٨ و ٩)

٢ ـ ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً * أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيٰمة وزناً﴾. (الكهف [١٨] الآيات ١٠٣ ـ ١٠٥)

٣ ـ ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون * فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفَّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾. (المؤمنون [٢٣] الآيات ١٠١ ـ ١٠٣)

٤ ـ ﴿فأما من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازينه * فأُمُّه هاوية﴾. (القارعة [١٠١] الآيات ٦ ـ ٩)

وغيرها من الآيات.

والآيات بأجمعها ـ كما ترى ـ تنادي بصراحتها ـ والله العالم ـ أنَّ هناك حساباً يقام وميزاناً يوضع، فيقوم الحساب على ظهره في يوم سمّي بيوم الحساب ويوم القيٰمة، لا في شريعة الاسلام ولسان القرآن الكريم فحسب، بل أطلق عليه موسى كليم الله (على نبينا وآله وعليه السلام) على ما حكاه القرآن الكريم عندما استعاذ بالله من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

والمحاسِب في ذلك اليوم أوّلاً الله تعالىٰ مالك يوم الدين وسريع الحساب[1]

---

١ ـ كما عرفت من الآيات السّابقة.

بل أسرع الحاسبين، فإن إياب الناس ورجوعهم اليه تعالى وحسابهم عليه؛ فقال تعالى: ﴿إن إلينا ايابهم * ثم ان علينا حسابهم﴾. (الغاشية [٨٨] الآية ٢٥ و ٢٦) فلا افتقار الى عدة ومدة، بل يظهر المحصّل ونتيجة الحساب بعد الوزن والحبط والاعطاء من فضله بإرادته، واذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، وكفى به من الحاسبين، وهو تعالى أسرع الحاسبين، من غير فرق بين ما أخفاه صاحب العمل أو أبداه، ﴿وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٨٤)

ومع ذلك يوضع الميزان وتوزن به الأعمال حتى لا تُظلم نفسٌ شيئاً، ولا ظلم اليوم حتى مثقال حبّة من خردل، وتُجزىٰ كلّ نفس ما كسبت، والوزن يومئذٍ الحق، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفّت موازينه، أولئك هم الخاسرون، لا يقام لهم وزن في الميزان لخفة الأعمال[1] فهم في جهنم خالدون، وأمهم ومرجعهم هاوية.

ولذلك قد يتصف الحساب بالسوء؛ يخافون منه الذين يخشون ربهم، وهو حساب الذين لم يستجيبوا لربهم وضلّ أعمالهم وحبط ما كانوا يعملون حتى من خير؛ لكفرهم بالله العظيم ﴿اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾. (الرعد [١٢] الآية ١٨) وأولئك الذين خفت موازينهم.

واما حساب الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، والصابرين في سبيله، الذين ثقلت موازينهم، فسهلٌ يسير وحسنٌ غير عسير على حدّ يصح أن يُطلق عليه بغير حساب بل ولا حساب و: ﴿... إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾. (الزمر [٢٩] الآية ١٠)

---

١ ـ وانت تعرف من الآية انها قالت لا يقام وزنٌ لا ميزان، فان الميزان موضوع مقام بل لا وزن لتلك الأعمال في الميزان.

﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب... فوفّيه حسابه والله سريع الحساب﴾. (النور [٢٤] الآية ٣٨ و ٣٩)

فاولئك هم المفلحون الذين يدخلون الجنّة ويُرزقون فيها بغير حساب، وأولئك الذين كانوا من قبل يعتقدون بهذا اليوم؛ يوم الحساب، يقول: **﴿اني ظننت أنّي ملاقٍ حسابيه﴾**. كما أنّ من له سوء الحساب يقول: **﴿ياليتني لم أُوتَ كتابيه * ولم أدر ما حسابيه﴾**. (الحاقة [٦٩] الآية ٢٥ و ٢٦)

ثم المحاسب في ذلك اليوم الانسان بنفسه، والميزان بين يديه من أعماله، وأوامر الله تعالى ونواهيه، والعرض عليها، وممن يرى من عباد الله الصالحين من النبيين والصديقين والشهداء فيزن أعماله مع أعمالهم، ويكفي ذلك له في الحساب، ويطّلع على المحصّل وخلاصة الحساب ونتيجة الحبط والكسر والانكسار، إلا ان يغفر الله تعالى من الذنوب ويرزقه من فضله. قال تعالى: **﴿اقرأ كتابك كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾**. (الاسراء [١٧] الآية ١٤) من غير افتقارٍ إلى حاسب أو حسيب آخر، والانسان على نفسه بصيرة، ولو ألقىٰ معاذيره، سيما عندما ترتفع الحجب وتزول الموانع وتبلى السرائر، فيأخذ الانسان سبيله إلى الجنة أو إلى النار **﴿وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً...﴾**. (الزمر [٣٩] الآية ٧٣) **﴿وسيق الذين كفروا...﴾**. (الزمر [٣٩] الآية ٧١) **﴿ووفيت كل نفس ما عملت...﴾**. (الزمر [٣٩] الآية ٧٠)

الفصل السابع:

لا سبيل إلّا إلى الجنّة أو النار

وعندما تبيّن الأمر بعد الحساب بالميزان، وارتفاع الحُجب، وعلمت كلّ نفس ما قدمت لغد، فلا سبيل إلا إلى الجنة بدرجاتها أو النار بدركاتها. والآيات في ذلك كثيرة؛ نشير إلى شطر منها قبل آيات الجنة ودرجاتها، والنار وطبقاتها؛ قال تعالى:

١ ـ ﴿بلى من كسب سيئةً وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾.

(البقرة [٢] الآية ٨١ و ٨٢)

٢ ـ ﴿لا يغرّنك تقلّب الذين كفروا في البلاد * متاعٌ قليل ثم مأويٰهم جهنم وبئس المهاد﴾.

﴿لكنِ الذين اتقوا ربهم لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلاً من عند الله وما عند الله خيرٌ للأبرار﴾. (آل عمران [٣] الآية ١٩٦ ـ ١٩٨)

٣ ـ ﴿تلك حدود الله ومن يطع اللهَ ورسولَه يدخلْه جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾

﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعدَّ حدوده يدخلْه ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾. (النساء [٤] الآية ١٣ و ١٤)

٤ ـ ﴿ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصيلهم ناراً كلمّا نضجت جلودهم

بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً﴾
﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً﴾.

(النساء [٤] الآية ٥٦ و ٥٧)

٥ ـ ﴿اولئك مأويٰهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا﴾
﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلاً﴾. (النساء [٤] الآية ١٢١ و ١٢٢)

٦ ـ ﴿فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاءُ المحسنين﴾
﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾.

(المائدة [٥] الآية ٨٥ و ٨٦)

٧ ـ ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادةٌ ولا يرهق وجوههم قترٌ ولا ذلّة أولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون﴾
﴿والذين كسبوا السيّئات جزاء سيّئةٍ بمثلها وترهقهم ذلّة مالهم من الله من عاصم كانّما أُغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾. (يونس [١٠] الآية ٢٦ و ٢٧)

٨ ـ ﴿الذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون * اولئك ... اولئك الذين خسروا أنفسهم... لا جرم أنّهم في الآخرة هم الأخسرون* ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾. (هود [١١] الآيات ١٩ ـ ٢٣)

٩ ـ ﴿يوم يأتِ لا تكلّم نفسٌ إلّا بإذنه فمنهم شقيٌ وسعيد * فاما الذين شقوا

ففي النار لهم زفير وشهيق * خالدين فيها* واما الذين سعدوا ففي الجنّة خالدين فيها...﴾. (هود [١١] الآيات ١٠٥ ـ ١٠٨)

١٠ ـ ﴿يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً* ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾. (مريم [١٩] الآية ٨٥ و ٨٦)

١١ ـ ﴿يوم تقوم الساعة يومئذٍ يتفرقون * فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضةٍ يحبرون* وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضَرون﴾. (الروم [٣٠] الآيات ١٤ ـ ١٦)

١٢ ـ ﴿فأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فان الجحيم هي المأوىٰ* وأما من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنّة هي المأوىٰ﴾.

(النازعات [٧٩] الآيات ٣٦ ـ ٤٠)

١٣ ـ ﴿ان الابرار لفي نعيم * وان الفجّار لفي جحيم﴾.

(الانفطار [٨٢] الآية ١٣ و ١٤)

١٤ ـ ﴿ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة * اولئك أصحاب الميمنة* والذين كفرو بآياتنا هم أصحاب المشئمة * عليهم نارٌ مؤصدة﴾. (البلد [٩٠] الآيات ١٧ ـ ٢٠)

١٥ ـ ﴿ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها ،ولئك هم شرّ البريّة* ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم جناتُ عدنٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربّه﴾. (البيّنة [٩٨] الآيات ٦ ـ ٨)

وبهذا السياق آياتٌ كثيرة جدّاً، أشرنا إليها من شتى السور، وهي تدلّ بصراحتها على أن نهاية العالم وختام حياة ولد آدم إما الجنة بدرجاتها، وأما النار بدركاتها ولا

سبيل إلا الى ذلك.

ومحصّل ما يقتبس منها أن يوم القيامة يوم تقوم الساعة يوم يأت لا تكلم نفس إلا باذن الله ويوم[1] الناس فيه يفترقان الى قسمين شقي وسعيد، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات واتقوا ربهم وأطاعوا الله ورسوله وأحسنوا الحسنى وأخبتوا الى ربهم، ومن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، ومن كان من الذين تواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة، اولئك هم أصحاب الميمنة، وخير البرية، وسعداء الأبرار، وأولئك هم أصحاب الجنة هم فيها خالدون، وإنهم لفي نعيم، والجنة هي المأوىٰ لهم، وهم في روضة يحبرون، وذلك الفوز العظيم.

وأما الذين كفروا بربهم وكذّبوا بآياته وعصوا الله والرسول، وتعدوا حدوده، وكسبوا السيئات وصدّوا عن سبيل الله، وطغوا وآثروا الحياة الدنيا، أولئك هم

---

١ ـ ويوم ويوم ...

١ ـ ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ولا يُقبل منها شفاعة ولا يُؤخذ منها عدلٌ ولا هم ينصرون﴾. (البقرة [٢] الآية ٤٨)

٢ ـ ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ولا يُقبل منها عدلٌ ولا تنفعها شفاعةٌ ولا هم يُنصرون﴾. (البقرة [٢] الآية ١٢٣)

٣ ـ ﴿... من قبل أن يأتي يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خلّة ولا شفاعة...﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٥٤)

٤ ـ ﴿واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله ثم تُوَفّى كلّ نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٨١)

٥ ـ ﴿يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً...﴾. (آل عمران [٣] الآية ٣٠)

٦ ـ ﴿يوم تبيض وجوهٌ وتسود وجوه...﴾. (آل عمران [٣] الآية ١٠٦)

٧ ـ ﴿ويوم نبعث من كلّ أمّةٍ شهيدا...﴾. (النحل [١٦] الآية ٨٤)

٨ ـ ﴿ويوم نبعث في كلّ أمّةٍ شهيداً عليهم من أنفسهم...﴾. (النحل [١٦] الآية ٨٩)

٩ ـ ﴿يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذٍ للمجرمين ويقولون حجراً محجورا﴾. (الفرقان [٢٥] الآية ٢٢)

١٠ ـ ﴿يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون● إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم﴾. (الشعراء [٢٦] الآيتان ٨٨ و ٨٩)

١١ ـ ﴿ويوم تقوم السّاعة يُبلس المجرمون﴾. (الروم [٣٠] الآية ١٢)

١٢ ـ ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذٍ يتفرقون﴾. (الروم [٣٠] الآية ١٤)

١٣ ـ ﴿ويوم تقوم السّاعة يُقسم المجرمون...﴾. (الروم [٣٠] الآية ٥٥)

أصحاب المشئمة وشرّ البرية، والأخسرون أعمالاً، فهم الأشقياء أصحاب الجحيم، يُصلون ناراً خالدين فيها لهم فيها زفير وشهيق، كلما نضجت جلودهم يبدل الله لهم جلوداً غيرها يبدلهم جلوداً[1] ومأواهم جهنم وبئس المهاد ولا يجدون عنها محيصاً.

وأصرح الآيات في المقام ما في سورة الزّمر، بعد الآيات الدالّة على نفخ الصور، وصعق من في السمٰوات والأرض، وحشر الناس وقيامهم بعد النفخ الأخير؛ إلى قوله تعالى: ﴿وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فُتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين * قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾

﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زُمرا حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين * وقالوا الحمد لله الذي صدَقنا وعْدَه وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾.

(الزمر [٣٩] الآيات ٧١ ـ ٧٤)

فإن ظاهر الآيات ـ والله اعلم ـ أنّ الناس بعد الجمع والحشر والحساب وظهور الحقايق وتبين الأُمور ينقسمون الى الذين كفروا... والذين آمنوا واتقوا ربهم ولكل منهما سائق يسوقهم إلى مأواهم ومنتهاهم الجحيم أو الجنة، واذا جاءوا واقتربوا اليها تفتح لهم الأبواب وتتحدث معهم الخزنة والبوّابون بتهنئة أهل الجنة والسلام عليهم والإشارة إلى ان طهارتكم من الذنوب والأرجاس وطيبكم من كلّ خبث وخبيث

---

١ ـ فقد قال تعالى: ﴿بدلناهم جلوداً﴾ وذلك غير بدلنا لهم. وشرة عذاب تبديلهم جلوداً أكثر من تبديل جلودهم، فان الأولى بمعنى نضج اللحوم بعد الجلود، وإحراقها إحراق الجلد ونضجه، فتأمل.

أورثتكم الجنة فادخلوها خالدين لما انكم طبتم، وتأنيب أهل النار والسؤال عنهم تحقيراً وتنبيهاً؛ ألم يأتكم رسلٌ منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا؟ فيعترفون بالذنب العظيم الموجب للنار، ويقولون: بلى لكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين.

فذلكةٌ للبحث:

ثم نحن إذا راجعنا الآيات وكرّرنا النظر فيها نرى ونستفيد منها بوضوح ـ زائداً على دلالتها على أنّ لا سبيل إلّا الى الجنة والنار ـ انّها تدلّ على أن الجنّة والنار مخلوقان موجودان من قبل، لكلّ منهما أبواب وخزنة، يُساق أهلُ كلٍّ منهما إليها، واذا جاءوها فتحت أبوابها وتتكلم معهم الخزنة، ويقولون لأهل الجنّة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، ويسألون عن اهل النار؛ ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرنكم لقاء يومكم هذا، فيجيبون: بلى، وإن كلاً من الجنة والنار مأوى وملجأ لاهلها، وهم فيها خالدون وغير ذلك من أوصاف كثيره للجنة والنار سنذكرها في محلها.

فلا واقع لما توهم بعضٌ من أنّ الجنة والنار هما تجسّم أعمال أهلهما وتحصلها في ذلك العالم عند رفع الحجب والموانع، وان الدرجات والدركات تابعة لتلك الأعمال، وغير ذلك من التأويلات، وان كان الربط بينهما والأعمال من مصرحات الكتاب الكريم في شتّى الآيات بأن ذلك جزاء بما كانوا يعملون، وان كلّ درجة في الجنّة تناسب أعمال أهلها إلّا من زاده الله من فضله، وكذلك دركات النار إلّا من غفر له من رحمته؛ فلا تغفل.

واما انهما مخلوقان موجودان بالفعل أثناء نشأة الآخرة بأوصافهما من الجنة

التي عرضها السمٰوات والأرض، والنار التي كلّما يصلى إليها ويُسأل عنها هل امتلأتِ وتقول هل من مزيد، أو هما موجودان في بطن هذا العالم الطبيعي المادي الفاني (النشأة الأُولى)، كوجود الاستعداد والقوة، ويتحققان فعلياً في تلك الظروف والشرائط في النشأة الآخرة، فهو بحث طويل الذيل نحيله إلىٰ محلّه.

وأما التقسيم إلى ثلاثة في سورة الواقعة عند وقوعها من (أصحاب الميمنة) و(أصحاب المشئمة) و(السابقون المقربون) وتبيّن أوصافهم وما يأتيهم من ربهم جزاءً بما كانو يعملون، أو نُزلهم يوم الدين، وما يقال لهم عند توفيهم. إن كان من المقربين فروحٌ وريحان وجنةُ نعيم، وإما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين، وان كان من المكذّبين الضالّين منزلٌ من حميم.

فالظاهر انه لا ينافي التقسيم الأول، فإن المقربين أيضاً لهم الجنة لصراحة تلك الآيات، مع ماكان لهم من القرب، وما يناسبهم، فكان الآيات تشير إلىٰ بعض درجات أصحاب الجنّة وسياتي الكلام فيها، فهم وأصحاب اليمين من أصحاب الجنّة، والمكذبون الضالّون الكفار أصحابُ النار كما لا يخفى.

واما الرجال الذين على الأعراف: مرتفعات الحجاب بين الجنة والنار المبحوث عنهم في السورة، الذين يَعرِفون كلاً من أهل الجنة والجحيم بسيماهم وحقائقهم وعلائمهم الحقيقية، ويتحدّثون مع أهل الجنة، يُسلمون عليهم وهم يطمعون أن يكونوا معهم، وينادون أهل النار ويُذكّرونهم.

فالظاهر من الآيات أنّهم على درجةٍ ومقام فوق أصحاب الجنّة والجحيم لمعرفتهم إيّاهم بحقائقهم والمحادثة معهم، إلّا أنّ الكلام في كونهم على الأعراف دائماً وأنها مكان ثالث غير الجنّة والنار، أو أنهم من أهل الجنّة وأنّ ذلك من مراحل القيامة، وأنهم بعدما دخل كلٌّ من أهل الجنّة والنار مدخله واستقر مقامه، وضرب

بينهما حجاب، يحجب أهل الجنّة عن أصحاب النار، وأصحاب النار عن أهل الجنّة، فالرجال علىٰ مرتفعات هذا الحجاب يشاهدونهم ويتحدثون معهم في المقام[1]، وأما الخلود فلا يكون إلّا في أحدهما؛ الجنّة أو النار.

فإن طبيعة الانسان وحقيقته بعدما كان على فطرته التوحيدية تتغير وتتحصل اما نوريّة مطلقة، أو نارية كذلك، والنفس التي صارت نورية لا يمكن تبديلها إلى ناريّة، والتي صارت نارية بتمام وجودها لا تتبدّل نورية، إلّا ان تحويها الرحمة والغفران، فإن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، والأمر يومئذٍ لله الواحد القهّار.

اللّهم لا تحرمنا من رحمتك وغفرانك، وافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله.

الفصل الثامن:

الجنّة ودرجاتها

قد وردت الجنّة في القرآن الكريم علىٰ صيغة المفرد والجمع، مجرّدة ومضافة، متصفة وغير متصفة. والآيات الكريمة في المقام تعطي حقائق كثيرة؛ نشير إلى شطر منها وبعض المستفاد عنها:

أما الواردة مفردة فهي كثيرة؛ إليك شطرٌ منها:

١ ـ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون﴾. (البقرة [٢] الآية ٨٢)

---

١ ـ والاستاذ العلّامة الطباطبائي وإن بسّط الكلام في الميزان حول اولئك الرجال ولكن لم يتعرّض لهذه الجهة.

٢ ـ ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربّكم وجنّةٍ عرضها السماوات والأرض أُعدّت للمتقين﴾. (آل عمران [٣] الآية ١٣٣)

٣ ـ ﴿... فمن زحزح عن النار وأُدخل الجنّة فقد فاز وما الحياة الدّنيا إلّا متاع الغرور﴾. (آل عمران [٣] الآية ١٨٥)

٤ ـ ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكرٍ أو أُنثىٰ وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة ولا يُظلمون نقيرا﴾. (النساء [٤] الآية ١٢٤)

٥ ـ ﴿... إنّه من يُشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾. (المائدة [٥] الآية ٧٢)

٦ ـ ﴿ان الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة...﴾.

(التوبة [٩] الآية ١١١)

٧ ـ ﴿للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادةٌ ولا يرهق وجوههم قترٌ ولا ذلّة أولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون﴾. (يونس [١٠] الآية ٢٦)

٨ ـ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون﴾. (هود [١١] الآية ٢٣)

٩ ـ ﴿واما الذين سُعِدوا ففي الجنّة خالدين فيها مادامت السماوات والأرض إلّا ما شاء ربك عطاءً غير مجذوذ﴾. (هود [١١] الآية ١٠٨)

١٠ ـ ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنّة زمراً...﴾. (الزمر [٣٩] الآية ٧٣)

١١ ـ ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنّة أصحاب الجنّة هم الفائزون﴾. (الحشر [٥٩] الآية ٢٠)

وغيرها من الآيات، وهي ـ كما ترى ـ زائداً على ما استفدنا منها في الفصل السابع من دلالتها على ان لا سبيل إلّا إلى الجنّة أو النار، وعرفت أصحاب كلّ منها ـ

تدلّ على أن الجنة عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين وأن أصحابها هم الفائزون.

والتعبير هذا أفصح وأدق ما يمكن أن يشار به إلى سعة الجنة حسب إمكان تصور الانسان، فان السموات حسب الآيات سبع، والأولىٰ منها الأدنىٰ هي المزيّنة بالكواكب؛ قال تعالى: ﴿انّا زيّنا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب﴾.(الصافات [٣٧] الآية ٦)[1] وقال تعالى: ﴿فلا أُقسم بمواقع النجوم﴾.

(الواقعة [٥٦] الآية ٧٥)

وانت تعلم ان المسافة بين بعض الكواكب والأرض التي يسكنها الإنسان مئات السنين الضوئية، وفي بعضها ملايين السنين الضوئية. وامرّ في هذه النجوم ومواقعها التي لا يُقسِم بها الله تعالى لعظمتها وبُعدها والحِكَمِ التي فيها كلها في السماء الدنيا الأدنىٰ، أضف اليها باقي السمٰواتِ وانظر كيف تتصور سعتها وحجمها، والحال عرض الجنة كعرض السمٰوات والأرض، أُعدت للمتقين.

والجنة على ما فسّرها (المفردات): كلّ بستان ذي شجر ستر بأشجاره الأرض، فان أصل معناه ستر الشيء عن الحاسّة، ومن ذلك الجنان لكونها مستورة.

والله تعالى الخالق لكلّ شيء المالك لمن في السمٰوات والأرض اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة يُقاتلون في سبيل الله....

ثم إن هذه الجنّة وصفت بأوصاف الخلد والنعيم والمأوىٰ والعالية بحيث تكون بنفسها النعيم والخلد و... لا أن فيها النعيم أو الخلود والعلوّ. قال تعالى:

١ ـ ﴿قل أذلك خيرٌ أم جنّة الخلد التي وُعد المتقون﴾. (الفرقان [٢٥] الآية ١٥)

---

١ ـ وقال تعالى ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح...﴾ فصلت [٤١] ١٢.
وقال تعالى ﴿ولقد زيّنّا السماء الدنيا بمصابيح...﴾ الملك [٦٧] ٥.

٢ ـ ﴿واجعلني من ورثة جنّة النعيم﴾. (الشعراء [٢٦] الآية ٨٥)

٣ ـ ﴿أيطمع كلّ امرئ منهم أن يدخل جنّة نعيم﴾. (المعارج [٧٠] الآية ٣٨)

٤ ـ ﴿عندها جنّة المأوىٰ﴾. (النجم [٥٣] الآية ١٥)

٥ ـ ﴿فهو في عيشة راضية * في جنّة عالية﴾. (الحاقة [٦٩] الآية ٢١ و ٢٢)

٦ ـ ﴿وجوه يومئذ ناعمة * لسعيها راضية * في جنّة عالية﴾.

(الغاشية [١٨] الآيات ٨ ـ ١٠)

ثم انك تعلم أن الجنة ذُكرت في القرآن الكريم في آيات كثيرة بصيغة الجمع متصفة بأوصاف تجري من تحتها النهار وفي الحالة مضافة الى النعيم أو العدن او الفردوس أو المأوىٰ؛ نشير إلى شطر منها وبعض ما يُقتبس منها. وأما التوصيف بالمعروشات وغير المعروشات فهو راجع الى جنّات الدنيا التي أنشأها الله تعالى مع النخل والزرع مختلفاً أكله[1] ولم نجد ذلك في جنات الآخرة، ولعلك تجد إشارة لطيفة في ذلك، فان المعروشات من الجنّات لها مظلاّت من الأشجار يُستظلّ بها عن حرارة الشمس، ولا شمس ولا قمر في الجنّة التي وُعد المتقون أي لا حرارة حتى يُستظل عنها.

قال تعالى:

١ ـ ﴿وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٥)

٢ ـ ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾. (آل عمران [٣] الآية ١٥)

٣ ـ ﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها

---

١ ـ راجع الانعام، الآية ١٤١.

الأنهار...﴾. (آل عمران [٣] الآية ١٣٦)

٤ ـ ﴿... لأُكَفِّرنَّ عنهم سيّئاتهم ولأُدخِلنَّهم جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾. (آل عمران [٣] الآية ١٩٥)

٥ ـ ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾.

(آل عمران [٣] الآية ١٩٨)

٦ ـ ﴿تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾. (النساء [٤] الآية ١٣)

٧ ـ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾. (النساء [٤] الآية ٥٧)

٨ ـ ﴿... لأكفرن عنكم سيّئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾. (المائدة [٥] الآية ١٢)

٩ ـ ﴿فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾.

(المائدة [٥] الآية ٨٥)

١٠ ـ ﴿قال الله هذا يومٌ ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾. (المائدة [٥] الآية ١١٩)

١١ ـ ﴿أعدّ الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾. (التوبة [٩] الآية ٨٩)

١٢ ـ ﴿والسابقون الأولون ... وأعدّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾.

(التوبة [٩] الآية ١٠٠)

وبهذا السياق تجد كثيراً من الآيات في القرآن الكريم؛ اقتصرنا على عدد منها، ونشير الى مسألة الأوصاف؛ قال تعالى:

١ ـ ﴿جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار...﴾. (النحل [١٦] الآية ٣١)

٢ ـ ﴿اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار...﴾. (الكهف [١٨] الآية ٣١)
٣ ـ ﴿جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب...﴾. (مريم [١٩] الآية ٦١)
٤ ـ ﴿جنات عدن تجري من تحتها الأنهار...﴾. (طه [٢٠] الآية ٧٦)
٥ ـ ﴿جنات عدن يدخلونها يحلّون فيها من أساور...﴾. (فاطر [٣٥] الآية ٣٣)
٦ ـ ﴿جنات عدنٍ مفتحة لهم الابواب﴾. (ص [٣٨] الآية ٥٠)
٧ ـ ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم...﴾. (غافر [٤٠] الآية ٨)
٨ ـ ﴿جزائهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار...﴾.
(البيّنة [٩٨] الآية ٨)

وغيرها من الآيات؛ وقال تعالى:

١ ـ ﴿ولو أنّ أهل الكتاب آمنوا واتقوا ... ولأدخلناهم جنات النعيم﴾.
(المائدة [٥] الآية ٦٥)

٢ ـ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... في جنات النعيم﴾.
(يونس [١٠] الآية ٩)

٣ ـ ﴿... فالذين آمنوا وعملوا الصالحات ... في جنات النعيم﴾.
(الحج [٢٢] الآية ٥٧)

٤ ـ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم﴾.
(لقمان [٣١] الآية ٨)

٥ ـ ﴿فواكه وهم مُكرمون * في جنات النعيم﴾. (الصافات [٣٧] الآية ٤٢ و ٤٣)
٦ ـ ﴿ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾. (القلم [٦٨] الآية ٣٤)

وغيرها من الآيات.

وأُضيفت الى الفردوس في آية واحدة؛ قال تعالى:

﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نُزلا﴾.
(الكهف [١٨] الآية ١٠٧)

والى المأوى في أخرى؛ قال تعالى:
﴿اما الذين آمنوا وعموا الصالحات فلهم جنات المأوىٰ نزلاً بما كانوا يعملون﴾. (السجدة [٣٢] الآية ١٩)

وإلى الله تعالى في ثالثة، وكلها من الله تعالى، قال تعالى:
﴿فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي﴾. (الفجر [٨٩] الآية ٢٩ و ٣٠)
وفي نهاية الجنات، قال تعالىٰ: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾. (التوبة [٩] الآية ٧٢)

قبس من الآيات:

كما ترىٰ تدلّ الآيات بصراحتها ان هناك جنةً بل جنات يصح ان يُطلق على كلٍّ منها جنة، وهي كما عرفت البستان المستور أرضه بالأشجار، لا ترىٰ قطعه خالية من الخضر، وإن كان فيها الغرف وفي غرفها الأرائك والسرائر، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وحور وقصور تجري من تحتها الأنهار.

ومن المعلوم أن جريان الأنهار من تحتها من مزاياها ونعمها، يتنعم بها أهلها، ويتلذذون بها وبرؤيتها. وإذا كانت القصور على أرضها والأرائك فيها، وكانت الأنهار جارية تحتها غير مرئية حفظاً لحياة الأشجار وبقائها، لم يكن ذلك مزيّة ونعمة، والآيات عدّت ذلك نعمةً ومزيّةً، فكأنها تشير بكثرتها إلىٰ حقيقة أُخرىٰ من أن موادّ هذه الجنات وأرضها وقصورها وسرائرها ونعمها وأشجارها وأنهارها لا تكون من جنس تلك المواد التي تمنع بعضها عن الآخر وتحجب بذاتها بين الأشياء. فالأنهار الجاريات مع أنها تحت الجنة زينةٌ لها ومزيّةٌ ونعمةٌ، كما أنّها عدن أي ثابتٌ ومستقر

ودائم وخالد، كما أنّ أهلها خالدون فيها، وهي نعيم بذاتها، لا أن فيها نعيماً، فإن قوله تعالى ﴿جنات النعيم﴾ غير قوله تعالى ﴿فيها نعيم مقيم﴾ فإن توصيفها بأنها نعيم غير توصيف نعيمها بأنّه مقيم كما أنّها المأوىٰ يأوي ويلجأ إليها أهلها، وإنّها عالية غير دانية، فالمؤمنون المتّقون العاملون الصالحات يُدخلهم ربّهم جنات عدن وخلد ونعيم، هي لهم مأوىٰ، نُزُلاً من عنده، وجزاءً بما كانوا يعملون. والجنات التي وُعِد المتقون تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً.

وكل ذلك وإن كان يرجع إلى أمر واحد، ولكن يشير الى درجات الجنات وأنها وإن كانت بذاتها دائمة ونعيماً وفردوساً وعاليةً، فإن فردوس الجنة أعلاها، ولكن لكل مؤمن ومتّقٍ وعاملٍ عملاً صالحاً درجةً وسهماً وشطراً منها حسب عمله وتقواه وايمانه الراسخ في نفسه، حفظاً لربط العمل بالجزاء، وطبقاً للعدل في الاعطاء.

وقد يقال ان التدرّج حسب الإشارات راجعة إلى الجنة وأهلها معاً، أي كما أن للجنة درجاتٍ، لأهلها كذلك، وتلك الأوصاف مع أنها تشير إلىٰ درجات الجنات، تقصد درجات أهلها أيضاً؛ قال تعالى:

﴿أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس...﴾. (المؤمنون [٢٣] الآية ١٠ و ١١)

وقال تعالى:

﴿افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ... هم درجات...﴾.

(آل عمران [٣] الآية ١٦٢ و ١٦٣)

ولم يقل لهم درجات. وفوق ذلك كلّه، وأعلى المراحل وأطيب درجات الجنات جنة الله ورضوانه التي بُشر بها المؤمنون وأمر بدخولها النفوس المطمئنة بعد الورود في سلك العباد. قال تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي الى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي﴾. (الفجر [٨٩] الآيات ٢٧ ـ ٣٠)

وقال ﴿ورضوان من الله اكبر﴾. (التوبة [٩] الآية ٧٢)

الفصل التاسع :

النار ودركاتها

هناك آيات كثيرة جداً، لا تخفىٰ على القارئ، صريحة في أن النار مأوىٰ الكفار، وانه ﴿لهم من جهنم مهاد...﴾. (الاعراف [٧] الآية ٤١) وأنّه ﴿مثوى للكـافرين...﴾. و ﴿مثوى للمتكبرين﴾. (الزمر [٣٩] الآيات ٣٢ و ٦٠) ﴿وان جهنّم لمحيطة بـالكافرين﴾ (العنكبوت [٢٩] الآية ٥٤) و ﴿...ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾. (النساء [٤] الآيـة ١٤٠) و ﴿... لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً * إلّا طـريق جهنم...﴾. (النساء [٤] الآية ١٦٨ و ١٦٩) و ﴿ان الفجار لفي جحيم﴾ (الانفطار [٨٢] الآية ١٤) ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك أصحاب الجحيم﴾. (المائدة [٥] الآيـة ١٠) وان شجرة الزقوم ﴿... تخرج فى أصل الجحيم * طـلعها كأنّـه رؤوس الشـياطين﴾. (الصافات [٣٧] الآيتان ٦٤ و ٦٥) وان الذي أدبر واستكبر سيُصلىٰ سقر، ﴿وما ادراك مـا سقر* لا تبقي ولا تذر * لواحة للبشر * عليها تسعه عشر﴾.(المدثر [٧٤] الآيات ٢٧ـ٣٠)

والنار هذه قد وصفت بأوصاف خاصّه :

١ ـ ذات الوقود: ﴿النار ذات الوقود﴾. (البروج [٨٥] الآية ٥)

٢ ـ الكبرى: ﴿الذي يصلى النار الكبرى﴾. (الاعلى [٨٧] الآية ١٢)

٣ ـ حامية: ﴿تصلى ناراً حامية﴾. (الغاشية [٨٨] الآية ٤)

٤ ـ حامية: ﴿نارٌ حامية﴾. (القارعة [١٠١] الآية ١١)

٥ ـ المؤصدة: ﴿عليهم نارٌ مؤصدة﴾. (البلد [٩٠] الآية ٢٠)

٦ ـ الموقدة: ﴿نار الله الموقدة * التي تطلع على الأفئده * انّها عليهم مؤصدة في عمدٍ ممدّدة﴾. (الهمزة [١٠٤] الآيات ٦ ـ ٩)

٧ ـ ذات لهب: ﴿سيصلى ناراً ذات لهب﴾. (المسد [١١١] الآية ٣)

ولكل هذه الأوصاف الستة اشارةٌ خاصة إلى درجة من شدّة الحرارة والاحراق. فإن النار إذا كانت ذات وقود لاسيّما إذا كان ﴿وقودها الناس والحجارة...﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٤) لا تخمد بسرعة بل تدوم وتوقد بعرض الوقود عليها وإلقاء الكافرين فيها، وطبيعتُها انه كما قيل لها ﴿... هل امتلأتِ وتقول هل من مزيد﴾. (ق [٥٠] الآية ٣٠) فيتسع بالوقود لهيبها ونطاق إحراقها، فتصير (ذات لهب) و (كبرىٰ) وتكون مركزها وأصلها حامية هاوية، يسقط فيها الذين خفّت موازينهم ويُصلى اليها الأشقى ثم لا يموت فيها ولا يحيا، وهكذا....

والنار هذه، والجحيم وجهنم لها أبواب تفتح، وخزنة، ﴿وسيق الذين الذين كفروا الى جهنم زمراً حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها...﴾.

(الزمر [٣٩] الآية ٧١)

وأبوابها سبعة لكلّ باب من الغاوين التابعين للشيطان جزء مقسوم!: ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين * لها سبعةُ أبواب لكل باب منهم جزءٌ مقسوم﴾. (الحجر [١٥] الآية ٤٣ و ٤٤). فالكفار وأهل النار لايدخلونها من أي باب، ولا يُصلون ولا يساقون اليها جزافاً، بل لكلّ باب سهمٌ وقسمٌ معيَّنٌ ومقسومٌ من قَبل. فإنَّ عملَ كل مُجرم وفاسق وكافر استحق به النار غير الآخر كماً وكيفاً، والنار جزاء ومجازاة وتناسب الجُرم والجزاء وتعادلهما أساس العدل وأسّه، فهم بحسب أعمالهم وذنوبهم التي اقترفوها يدخلون النار، ويُعذّبون فيها، وتلك المراحل والأبواب دركات النار من الدرك الأسفل الذي للمنافقين: ﴿ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾. (النساء

[٤]الآية ١٤٥) الى الأعلى، وبينهما دركات، فانّه لا معنى للأسفل إلّا بعد ان كان هناك سفلٌ وسُفلى إلى الأسفل.

وخزنتها تسعة عشر؛ قال تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾. (المدثر [٧٤]الآية ٣٠)

ومن المعلوم ان الخازنَ غير البوّاب، فإن الأبواب سبعة والخزنة تسعة عشر، والقائل لأهل النار منهم كلهم أو بعضهم على حدٍّ يصح اطلاق الجمع عليهم. (الخزنة).

والمستفاد من كلمة الخازن والخزنة أنه هو المحافظ لأصل المخزون ومعدِنه، المأمور المراقب للحراسة وكيفية الإستفادة وكميتها في الموارد التي وُكّل فيها من مثل تقطيع الثياب من النار لأهلها، وتلفيح وجوههم وإحراقها بهبوب ريحٍ حارة عليها[١] وتظليل أهلها بالنار من فوقهم ومن تحتهم، وتغشية وجوههم، وصبّ الحميم من فوق رؤوسهم حتى يصهر[٢] ويطبخ أو يُذاب ما في بطونهم وجلودهم، وغير ذلك من أنواع التعذيب الممكن بما هو المخزون في النار لهم، حسب استحقاقهم، كما أشار اليه قوله تعالى: ﴿وآخر من شكله ازواج﴾. (ص [٣٨] الآية ٥٨) بعد ذكر بعض أنواع العذاب. قال تعالى:

١ - ﴿... فالذين كفروا قُطِّعت لهم ثيابٌ من نار يُصبُّ من فوق رؤوسهم الحميم * يُصهر به ما في بطونهم والجلود * ولهم مقامع[٣] من حديد﴾.

(الحج [٢٢]الآيات ١٩ ـ ٢١)

٢ - ﴿تلفح وجوهَهم النارُ وهم فيها كالحون[٤]﴾. (المؤمنون [٢٣]الآية ١٠٤)

---

١ ـ اللفح : هبة ريح حارة، والنفخ هبة ريح باردة، ونار لافح أي محرقة، لفح وجهه أي: أصاب وجهه وأحرقه.
٢ ـ صَهَر الشيء أذابه، وقيل طبَخه بالحرارة.
٣ ـ جمعُ مقمعة ما يُضرب به الانسان على رأسه أو أعلى رأسه ليُذلّ؛ من خشب أو حديد، وصرحت الآية بأن المقامع هناك من حديد.
٤ ـ كلح وجهه عبس فهو كالح كلح في وجهه أي فزّعه، كالح فلاناً شادّه وغالبه.

٣ ـ ﴿هذا وإنّ للطاغين لشَرّ مآب * جهنم[1] يصلونها فبئس المهاد * هـذا فليذوقوه حميمٌ وغساق * وآخر من شكله ازواج﴾. (ص [٣٨] الآيات ٥٥ ـ ٥٨)

٤ ـ ﴿لهم من فوقهم ظُللٌ من النار ومن تحتهم ظُلل...﴾. (الزمر [٣٩] الآية ١٦)

ثم أن هناك محاجّات بين أهل النار من مستكبريهم والمستضعفين، ومحادثاتٍ لهم مع الخزنة. قال تعالى:

١ ـ ﴿هذا فوجٌ مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار * قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار * قالوا ربّنا من قدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار * وقالوا مالنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار ... انّ ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾. (ص [٣٨] الآيات ٥٩ ـ ٦٤)

٢ ـ ﴿واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعاً هل أنتم مُغنون عنّا نصيباً من النار * قال الذين استكبروا إنّا كلٌّ فيها إنّ الله قد حَكَم بين العباد * وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفّف عنّا يوماً من العذاب * قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبيّنات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاءُ الكافرين إلّا في ضلال﴾. (غافر [٤٠] الآيات ٤٧ ـ ٥٠)

وغيرهما من الآيات، وأنت ترى في الآيتين أن التابعين للمستكبرين كانوا يطلبون منهم حتىٰ نصيباً من العذاب أو يوماً يخفف عنهم لا أصله وتمامه. والجواب: انّا كلٌّ فيها ان الله قد حكم بين العباد و لا مرحبا بهم جميعاً اي لا فسحةً ورحباً وسعة لهم أصلاً.

ومن المعلوم أن النار اسمٌ لطبيعة خاصه خُلق منها إبليس الشيطان عدوّ

---

١ ـ جهنم: لغةٌ عبرانية وهي لا تنصرف؛ دار العقاب الابدي. المنجد.

الانسان[١] والجن[٢] مثل التراب الطبيعة التى خلق منها الانسان. وقد عرفت ان مقتضى النشأة الآخرة تبدّل طبايع الأشياء على الوجه الأتمّ والأكمل والأبقى، والخلود مقتضى تلك النشأة، فالنار فيها بطبيعتها الأخروية أحرّ وأشدّ إحراقاً وظلمةً وتأجحاً ولهيباً، والطبيعة في كل نشأة تصدق بتحقق مصداقٍ.

وأما أجيجها وشدّةُ تأجج الجحيم أو وقودها وكثرة توقدها لاسيما إذا كان وقودها الناس والحجارة الموجب لشدّة الحرارة فتلهُّبها وتلظّيها وتسعّرها باشتعالها، وسَقَرُها بشدّة حرّها وإيذائها ولهيبها ولهبها، فهي أوصاف لها غير أصلها، أو حالات لها ومراتبها مثل شدّة غسقها وظلمتها وسوادها، وضعفُ كلّ ذلك المحقق لدرجات وجودها وتحقق دركاتها، والطبيعة في كلها النار المحرقة موجودة، فيتصور لها الأصل والطلع والسفل والأسفل مطبقات، وجهنم دار العقاب الأبدي، ويصح التظليل من فوق ومن تحت.

وحيث ان استعمال كل كلمة واصطفاء كلّ لغة لاسيّما في القرآن الكريم، أفصح ما يمكن في الخطاب من الله العزيز الحكيم، لم يكن ولا يكون جزافاً، بل كان لإفادة جهة خاصّة أُشير اليها بأصل اللغة، وتكون كل مرتبة ومرحلة عذاباً لأهلها حسب استحقاقهم بعملهم ودرجة كفرهم ونفاقهم وشقائهم، كما يفهم ذلك من موارد استعمال كلّ من النار والجحيم والسعير[٣] والسقر. وغيرها في آيات كثيرة؛ تبييناً لعذاب قسم من أهل العذاب، فراجع الآيات.

فقد يصحّ القول ان الأبواب السبعة تكون للدّركات السبعة تؤيده الآية ﴿لكل

---

١ ـ ﴿قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾. (ص [٣٨] الآية ٧٦)

٢ ـ ﴿والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم﴾. (الحجر [١٥] الآية ٢٧)

٣ ـ سَعّر النار أشعلها وتسعرت النار اتقدت، والسعير: لهب النار. (المنجد) والآيةُ صريحة في ذلك. قال تعالى ﴿مأواهم جهنم كلّما خبَتْ زدناهم سعيرا﴾. (الاسراء [١٧] الآية ٩٧)

باب منهم جزءٌ مقسوم﴾ فإن من كان هو وقود النار أو في أصل الجحيم غير من كان في النار أو في لهيبها، والقسمة لا تكون الاّ بحسب الأعمال الموجبة للاستحقاق.

ولنختم هذا الفصل بكلام من عدل القرآن وثقله علي عليه السلام:

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن جهنم لها سبعة أبواب طباق بعضها فوق بعض، ووضع إحدىٰ يديه على الأُخرى فقال: هكذا، وإن الله وضع الجنان على الأرض، ووضع النيران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنم وفوقها لظىٰ وفوقها الحُطمة، وفوقها سقر وفوقها الجحيم، وفوقها السعير، وفوقها الهاوية، وفي رواية الكليني أسفلها الهاوية وأعلاها جهنم.

عن المجمع في قوله تعالى ﴿لها سبعة أبواب﴾.

الفصل العاشر:

الشفاعة والغفران

ولنختم الكلام في الأصل الثالث آخر الأُصول (المعاد) بالاشارة الاجمالية إلى مسألة الشفاعة والرحمة والغفران.

الشفاعة ـ كما عن المفردات ـ الانضمَام الى آخر ناصراً له وسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمةً ومرتبة إلى من هو أدنى، ومنه الشفاعة في القيامة.

والآيات الواردة في الباب تدلّ بظاهرها على نفي الشفاعة في القيامة واليوم الآخر أو نفي الشفاعة النافعة؛ قال تعالى:

١ ـ ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ولا يُقبل منها شفاعة ولا يُؤخذ

منها عدلٌ ولا هم ينصرون﴾. (البقرة [٢] الآية ٤٨)

٢ ـ ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ولا يُقبل منها عدلٌ ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾. (البقرة [٢] الآية ١٢٣)

٣ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقنٰكم من قبل ان يأتي يومٌ لا بيع فيه ولا خُلّةٌ ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٥٤)

٤ ـ ﴿وأنذرهم يوم الأزفة إذِ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع﴾. (غافر [٤٠] الآية ١٨)

٥ ـ ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾. (المدثر [٧٤] الآية ٤٨)

فان صراحة الآيات كما ترى تنفي الشفاعة والوساطة ممن له حرمة عند الله ومرتبة لكل نفس من غير فرق فإن تنكيرها يفيد العموم أو لا تنفع الوساطة والشفاعة ولا تُقبل وان توسّط من له مرتبة وحرمة بينه وبين الله في غفران الذنوب والصفح عن السيّئات، فليس للانسان الا ما سعىٰ، ولا يرى الاعمله ولا بيع ولا خُلّة.

هذا، ولكن هناك آيات كثيرة تدل على وجودها ومنفعتها في الجمله وبإذن الله تعالى. قال تعالى:

١ ـ ﴿... من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه...﴾. (البقرة [٢] الآية ٢٥٥)

٢ ـ ﴿وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه وليٌّ ولا شفيع لعلهم يتقون﴾. (الانعام [٦] الآية ٥١)

٣ ـ ﴿... ما من شفيع إلّا من بعد إذنه ...﴾. (يونس [١٠] الآية ٣)

٤ ـ ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾. (الانبياء [٢١] الآية ٢٨)

٥ ـ ﴿... ما لكم من دونه من وليّ ولا شفيع أفلا تتذكرون﴾. (السجدة [٣٢] الآية ٤)

٦ ـ ﴿وكم من ملكٍ في السمٰوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلّا من بعد أن يأذن الله

لمن يشاء ويرضى﴾. (النجم [٥٣] الآية ٢٦)

والآيات ـ كما ترى ـ تعطي وجود الشفاعة والوساطة بإذن الله تعالى، ولمن ارتضى، وتصرح بأن الله تعالى وليٌّ وشفيع هو بنفسه تعالى، أو بإذنه؛ يُشفِّع غيره من عباده الصالحين المقربين إليه الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه من الأنبياء والأئمة عليهم السلام وأصحابهم وأنصارهم.

فلا إشكال في وجود الشفاعة ومنفعتها للمشفوع له لا مطلقاً بل في موارد خاصه بإذن الله تعالى ولمن ارتضى، وامّا ان الشافع من هو؟ والمشفوع له من هو؟ وما فيه الشفاعة؟ أيّ ذنب وسيئة وما هو؟ وهل هو كل ذنب وسيّئة أو الصغائر فقط، فهي أبحاث طويلة الذيل تعرّض لها الأستاذ الفقيد المفسر العظيم صاحب الميزان في ميزانه، فراجع.

واما الرحمة والغفران في المعاد، وهل يوجد في يوم القيٰمة الغفران زائداً على الشفاعة والعفو لمن لم يتب في الدنيا ولم يستغفر عن ذنبه أو لا.

الغَفْر ـ كما عن المفردات ـ إلباس ما يصونه عن الدنس، والغفران والمغفرة من الله تعالى هو أن يصون العبد من ان يَمَسّهُ العذاب. فالله تعالىٰ غافر عن الذنب. قال تعالى: ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إلٰه إلّا هو إليه المصير﴾. (المؤمن (غافر) [٤٠] الآية ٣)

أي المانع عن ترتب أثر الذنب ونكاله على العبد من العذاب لا انه سائر عليه حتى لا يُرى وان كان الذنب بطبعه بل بأثره باقياً تحت الستار.

والمنع ذلك إما بمحو الذنوب عن صفحة الوجود والكتاب الطائر في عنقه وجعله كأن لم يكن كما في من تاب؛ فان: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»، واما بنفي العذاب والمنع عن الأثر المترتب على العمل المقترف مع بقاء أصله في نفس الكتاب، أو بنفيهما، فان المجعول الاعتباري من كونه ذنباً بالتشريع بيد الشارع

تعالى، ووضعهُ ورفعهُ لا يعني رفع أصل التشريع وحرمته، بل رفعه في المورد برفع حرمته أو أثره أو بقائهما معذوراً كما في الأعذار، وللبحث محل آخر في الأصول، والله تعالىٰ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد بل يمحو ما يشاء ويثبت.

والاستغفار طلب ذلك المنع وإيجاد المانع عن الله تعالى بقوله استغفر الله أو به مع عمله.

ثمّ أنّه لا إشكال في الاستغفار وطلب الغفران من الله تعالى عن الذنوب والخطيئات والسيّئات السالفة في هذه الدّنيا، والتوبة والرجوع إليه تعالىٰ في الأعمال اللاحقة طلباً للسعادة في الآخرة من ناحية العبد المذنب بنفسه وغفران الله تعالى وصيانته من عذاب الآخرة باستجابة طلبه واستغفاره بنحو عرفت.

قال تعالىٰ:

١ - ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرحيم﴾. **(الزمر [٣٩] الآية ٥٣)**

٢ - ﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويُجِرْكم من عذابٍ أليم﴾. **(الاحقاف [٤٦] الآية ٣١)**

٣ - ﴿ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء وكان الله غفوراً رحيما﴾. **(الفتح [٤٨] الآية ١٤)**

٤ - ﴿إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم﴾.
(التغابن [٦٤] الآية ١٧)

٥ - ﴿يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجلٍ مُسمّىٰ ان أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾. **(نوح [٧١] الآية ٤)**

وكثير من الآيات التي استعمل فيها الغفران بصيغ مختلفة تدلّ علىٰ غفران الله تعالى ذنوب عباده في هذه الدّنيا عند استغفارهم.

والآيات الخمس التي ذكرناها يمكن أن يتصور انّها مطلقة تشمل الغفران في الآخرة مع أنّ التأمّل فيها يبيّن انّها أيضاً راجعة إلى الغفران في الدّنيا، فإن تقدم وصف الاسراف على النفس والأمر بإجابة دعوة الله تعالى وإقراض الله وغيرها من القرائن الدالّة على أنها راجعة إلى غفران الذنوب في هذه الدّنيا.

وكذلك لا إشكال في استغفار النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وعباد الله الصالحين بل الملائكة المقرّبين للمذنبين في هذه الحياة الدّنيا أيضاً، حتّىٰ يغفر الله ذنوبهم باستغفارهم من الله تعالى لهم. قال تعالىٰ: ﴿... ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيما﴾ (النساء [٤] الآية ٦٤).

﴿... والملائكة يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون لمن في الأرض الا ان الله هو الغفور الرحيم﴾. (الشورى [٤٢] الآية ٥)

وصريح الآيتين كما ترىٰ يدلّ علىٰ قبول استغفار النبي صلى الله عليه وآله لمن جاءه عندما ظلم نفسه، وانّه يجد الله توّاباً رحيماً، وكذلك استغفار الملائكة لمن في الأرض فإنّه لو لم يؤثّر استغفار النبي والملائكة لهم لم يجدوا الله كذلك.

وهناك آيات تدلّ علىٰ عدم القبول في حقّ الكفار والمنافقين. قال تعالىٰ: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنّهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾. (التوبة [٩] الآية ٨٠)

وقال تعالىٰ: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم ورأيتهم يصدّون وهم مستكبرون* سواءٌ عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾. (المنافقون [٦٣] الآية ٥ و ٦)

فإن الآيات صريحة في أن الله تعالى لن يغفر لهم، وإن استغفر لهم النبي صلى الله عليه وآله سبعين مرّة، أي كثيراً والعلّة ظاهرة، فإن طبيعتهم قد تبدّلت وأنفسهم تغيّرت بالكفر والنفاق إلى الجحيمية والنارية، وكيف يمنع الله عن مقتضى طبيعتهم فإنّهم كانوا على

مستوى من الكفر والنفاق إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم، فإنّهم لا يعتنون بالله ورسوله، فالمانع في طبيعتهم وأنفسهم لا في سعة رحمة الله وغفرانه.

ثمّ أنّه لا إشكال في ظهور كثير من الآيات الراجعة إلى الغفران والاستغفار في اختصاص ذلك بأعمال الإنسان في هذه الدّنيا، وطلب الغفران هنا لا في الآخرة هناك، أما بظهور أنفسها مع ملاحظة السياق والآيات السابقة واللاحقة عليها حتى في الآيات التي يتصوّر من إطلاقها انّها تعمّ الآخرة ويوم القيامة، مثل قوله تعالىٰ: ﴿ان الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك...﴾. (النساء [٤] الآية ٤٨ و ١١٦)

وقوله تعالىٰ: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبّاؤه قل فَلِم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشرٌ ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذّب مَنْ يشاء...﴾. (المائدة [٥] الآية ١٨)

وقوله تعالىٰ: ﴿ألم تعلم ان الله له ملك السماوات والأرض يُعذّب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كلّ شيء قدير﴾. (المائدة [٥] الآية ٤٠)

وغير ذلك، بل وفي الآيات التي تدلّ على اتصاف الباري تعالى بوصف الغفران والرحمة، وهي كثيرة مثل انّه غفورٌ رحيمٌ في أكثر من خمسين آية وانّه غفور شكور، أو العزيز الغفور، أو الغفور الودود، وهو العزيز الغفّار في أربعة موارد.

فإنّ ظهور الآيات انّه تعالى غفورٌ للمذنبين في هذه الدّنيا بتوبتهم واستغفارهم قبل أن يخرجوا من هذا العالم فيغفر الله ذنوبهم ويجعلها كالعدم أو يجعل النكال والعذاب المترتب عليها حسب الجعل والاعتبار كالعدم فلا يعذّبهم في الآخرة.

نعم هناك آيات يمكن أن يُستظهر منها ان في القيامة أيضاً زائداً على الشفاعة وعفو الله تعالى تكريماً للشفيع وتوقيراً وغفراناً ورحمةً من الله تعالىٰ يمكن أن يناله بعض المذنبين الذين لم يتوبوا في هذه الدّنيا ولم يستغفروا فيها ولم تشملهم

الشفاعة في الآخرة، ومع ذلك لم ييأسوا من رحمة الله تعالى وغفرانه ينتظرونه ويتوقعونه لا سيّما عندما رأوا العذاب والنار الجحيم.

قال تعالى في ذكر إبراهيم عليه السلام: ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾. (الشعراء [٢٦] الآية ٨٢).

فإنّ نقل ذلك من الله تعالى عن لسان الخليل صريحٌ في أن الله تعالى غافر الخطيئات في يوم الدين يوم القيامة.

١ ـ وقال تعالى: ﴿اولئك هم المؤمنون حقّاً لهم درجات عند ربّهم ومغفرةٌ ورزقٌ كريم﴾. (الانفال [٨] الآية ٤)

٢ ـ ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقّاً لهم مغفرة ورزق كريم﴾. (الأنفال [٨] الآية ٧٤)

٣ ـ ﴿إلّا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرةٌ وأجرٌ كبير﴾.

(هود [١١] الآية ١١)

٤ ـ ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرةٌ ورزق كريم﴾.

(الحج [٢٢] الآية ٥٠)

٥ ـ ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرّؤون ممّا يقولون لهم مغفرةٌ ورزقٌ كريم﴾. (النور [٢٤] الآية ٢٦)

٦ ـ ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزقٌ كريم﴾.

(سبا [٣٤] الآية ٤)

٧ ـ ﴿انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشّره بمغفرةٍ ورزق كريم﴾. (يسن [٣٦] الآية ١١)

٨ ـ ﴿... وفي الآخرة عذابٌ شديد ومغفرةٌ من الله ورضوان وما الحياة الدّنيا إلّا متاع الغرور* سابقوا إلى مغفرة من ربّكم وجنّةٍ عرضها كعرض السماء

والأرض...﴾. (الحديد [٥٧] الآية ٢٠ و ٢١)

وغيرها من الآيات. وأنت ترى أن اطلاق كثير منها بل صراحتها يدلّ على ما نحن بصدده من وجود الغفران في يوم القيامة غير العفو والشفاعة، فإنّه في سياق الدرجات عند الربّ والرزق والأجر الكريم الذي يكون في القيامة والآخرة لا معنى له إلّا في تلك النشأة الآخرة، وكذلك عنوان الجزاء والبشارة في سياق الرزق الكريم هو الغفران في الآخرة لا في الدّنيا حسب ما يُستظهر من الآيات.

والله تعالى هو العالم بحقائق الأُمور، وبيده الخلق والأمر والملك يومئذٍ للواحد القهّار يفعل ما يشاء ويحكم ما يُريد، ﴿... هو أهل التقوىٰ وأهل المغفرة﴾.(المدثر [٧٤] الآية ٥٦).

وهناك كلام أشرنا إليه في فقه القرآن لدى البحث في التوبة والاستغفار في نهاية كتاب المحرّمات، فراجع.

ربّنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنّا سيئاتنا وتوفّنا مع الأبرار.

ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنّك لا تخلف الميعاد.

ربنا آتنا في الدُّنيا حسنة وفي الآخرة حسنةً وقِنا عذاب النار.

إنّك أنت المجيب يا ربّ العالمين.

والحمد لله أوّلاً وآخراً علىٰ ما وفّقنا لهـذا، وآخـر دعـوانـا إن الحـمد لله ربّ العالمين.

محتويات الكتاب